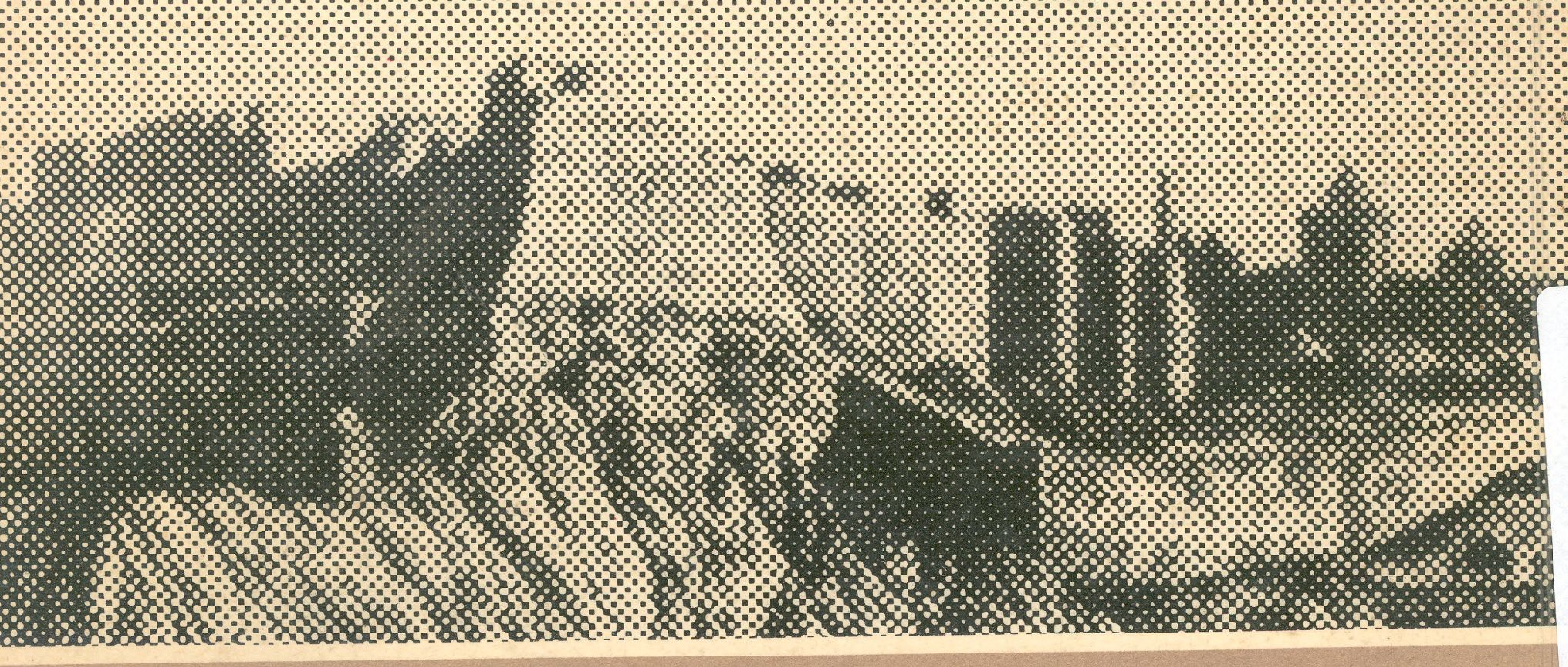
العمارة الإسلامية فى مصر

وصف قلعة الجبل

تأليف : ك . ا . كريزويل
ترجمة : دكتور جمال محمد محرز
مراجعة : دكتور عبد الرحمن زكى





الهيئة المصرية العامة للكتاب

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الدكتور / عبد الغنى أبو العينين
جمهورية مصر العربية

العمارة الإسلامية فى مصر

وصف قلعة الجبل

تأليف : ك . أ . كريزويل
ترجمة : دكتور جمال محمد محرز
مراجعة : دكتور عبد الرحمن زكى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

تصـــدير

هذه الدراسة الأثرية عن قلعة الجبل المعروفة بقلعة السلطان صلاح الدين الأيوبى هى نتائج أعمال التنقيب التى نهض بها عالم الآثار الإسلامية الأستاذ : ك . ا . س كريسويل Professor K.A.C. Creswell فى هـــذه القلعة الجليلة أثناء العشرينات من هذا القرن . وقد نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة هذه النتائج فى عام ١٩٢٤ تحت عنوان :

Archaeological Researches at the Citadel of Cairo

وفى أثناء الخمسينات استأنف أستاذنا الجليل أعمال التنقيب مرة أخرى ، فاتضحت له أشياء كانت قد احتجبت عنه . لتراكم الأبنية التى استحدثت على الأسوار والأبراج القديمة ولضخامة أعمال الردم والأنقاض فى داخل المبانى ولذلك عدل الأستاذ كريسويل بعض آرائه المعمارية الأولى .

فلما أقدم على تأليف المجلد الثانى من كتابه الفريد : العمارة الإسلامية فى مصر

The Muslim Architecture of Egypt : Ayyubids and Early Bahrite Mamluks. A.D. 1171 — 1326, Oxford. Charendon Press. 1959.

أضاف إليه الفصل الخاص بالقلعة بعد أن أدخل التعديلات التاريخية والمعمارية وما رآه لازما من الأشكال والرسوم .

وفى عام ١٩٦٣ رأت وزارة الثقافة والإرشاد القومى أن تصدر الجزء الخاص بالقلعة بعد ترجمته إلى اللغة العربية وأوكلت هذا العمل إلى الأستاذ دكتور جمال محمد محرز مدير مصلحة الآثار ، فقام بترجمته ثم كلفتنى بالمراجعة ، وكنت سعيدا حينما نهضت بهذا الواجب لسببين ، أولهما : شعورى بالواجب حيال أستاذى الجليل كريسويل ، وثانيهما : تعاون مع صديقى الدكتور جمال محرز الذى انتقل إلى رحمة الله فى ٩ من يناير ١٩٧٢ .

ولما أقدمت الهيئة العامة للكتاب على طبعه لاحظ المختصون أن الكتاب خال من الأشكال (الخرائط) والرسوم (١) الضرورية لإيضاح النص المترجم، ومطابقتها عليه بعد المراجعة فكلفني بالقيام بهذا العمل الذى استغرق بعض الوقت راجعت خلالها ما ضمه كتاب الأستاذ كازانوفا من الخرائط والرسوم التى جاء ذكرها فى نص الأستاذ كريسويل وألحقتها بالكتاب .

ونرجو أن يغتبط أستاذنا الجليل بهذا العمل الذى أديناه وبهذه الصورة التى أخرج بها الكتاب « وصف قلعة الجبل » فخر العمارة الإسلامية الحربية .

وفقنا الله .

يناير ١٩٧٣ عبد الرحمن زكى

---

(١) رئى أن تترك الأشكال (الخرائط) الملحقة بالنص العربي علي ما هي عليه في الأصل الانجليزى.

القلعة (١)

القسم الأول

مقدمة تاريخية :

أواخر أيام الأسرة الفاطمية ــ حريق الفسطاط ــ الظروف التى شيدت أثناءها أعمال صلاح الدين الحربية ــ صلاح الدين يصبح حاكم مصر ــ محاولات لاعادة الفاطميين ــ نظرية لين بول ــ رواية المقريزى ٠

الموقع ــ وصف وتحليل السور ــ الترتيب العام للسور ــ السور الشمالى ووصف عام ــ السور الشمالى ووصف تفصيلى ــ برج الصفة ــ من برج الصفة الى برج العلوة ــ وبرج كركيليان ــ برج كركيليان ــ من برج كركيليان الى برج الطرفة ــ برج الطرفة ــ برج المطار ــ مدخل مزور يكشف عنه الحفر ــ من برج المطار الى برج المبلط ــ برج المبلط ــ من برج المبلط الى برج الامام ــ برج الامام ــ مدخل ثان مزور ٠

---

(١) انظر المراجع فى نهاية البحث ٠ ظهر جزء من هذا البحث لأول مرة فى صورته الحالية تقريبا عام ١٩٢٤ تحت عنوان ابحاث اثريه فى قلعة القاهرة فى مجلة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية العدد ٣٢ س ٥٦/١٥٨
Archaeological Researches at the Citadel of Cairo: B. I. F. A. O. XXIII pp. 89-158.
ولم يكن من الميسور حينئذ دخول برج الصفة أو برج العلوة أو الجزء الأسفل من برج كركيليان ٠ وقد أصبح البرج الأخير بعد أعمال الحفر مدخلا مزورا ، الأمر الذى لم يكن منتظرا بالمرة ٠ وقد أدى هذا الكشف الى تغيير النظام المتبع لوصف السور ، وأدى أيضا الى ادخال اضافات على النص وعمل رسوم للاجزاء التى أمكن اكتشافها فى السنوات القليلة الأخيرة سواء بسواء ٠

أواخر أيام الأسرة الفاطمية :

فى عام ١١٥٣ ميلادية فقدت مصر كل ممتلكاتها فى فلسطين ، وفشل الوزير الصالح طلائع فى عقد حلف ضد الصليبيين يهدف إلى استرداد الأراضى المسلوبة. وتوفى الخليفة الفائز فى يوليو عام ١١٦٠ ميلادية وله من العمر أحد عشر عاما واختار الصالح طلائع العاضد (١١٦٠ / ١١٧١ م) الطفل البالغ من العمر تسع سنوات خليفة . وأدى هذا الاختيار إلى حدوث المؤامرات التى انتهت بقتل الوزير .

أما ابنه الذى أصبح وزيرا مكانه على ما هو واضح فقد قتله شاور العربى حاكم الصعيد فى عام ١١٦٣ ميلادية .

ونحى ضرغام شاور عن الحكم فهرب هذا إلى السلطان نور الدين (بالشام) يطلب مساعدته واعدا إياه ثلث خراج مصر إذا ما أعيد إلى منصبه (١) .

وقبل أن يتخذ نور الدين قراره غزا البلاد عمورى ملك بيت المقدس الجديد لأنه لم يتسلم من ضرغام الجزية المعتادة (٢) غير أنه طرد عنها بعد أن وصل إلى بلبيس ولما سمع ضرغام بمؤامرات شاور سعى عندئذ إلى التحالف مع منافسه الحالى (الصليبيين) وعندما رأى نور الدين الخطر قرر أن يضرب ضربته فورا . وقبل أن ينضم عمورى إلى جانب ضرغام كان شاور فى طريقه إلى مصر (أبريل عام ١١٦٤م) ومعه قوة من التركمان بقيادة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين المشهور فى الحروب

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٥٦٤، وترجمـــة دى ســــلان جـ ١ ص ٦٠٨/٩ ، جـ ٤ ص ٤٨٥ Lane, Poole : Saladin, pp. 80-81 ; History of Egypt, pp. 175-76. لنفس المؤلف وانظر أيضا مقالة سوبر نهيم عن صلاح الدين فى دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤ ص ٨٤ ومقالة فييت عن شاور فى نفس المرجع جـ ٤ ص ٣٥٩/٦٠ والظاهر أن الخليفة كان متخذا موقفا ســلبيا ، والواقع أن بهاء الدين يتكلم عن هذه الحوادث فيقول :

« وكانت عادة المصريين أنه اذا غلب شخص صاحب المنصب ، وعجز عن دفعه وعرفوا عجزه وقعوا للقاهر منهم ورتبوه ومكنوه فان قوتهم انما كانت بعسكر وزيرهم وهو ملقب عندهم بالسلطان . وما كانوا يرون المكاشفة ، وقواعدهم مستقرة من أول زمانهم على هذا المثال » .

(٢) يظهر أن الخلفـــاء اســـتطاعوا الى ذلك الحين تجنب الغزو باعلان الخضـــوع أو دفع جزيـــة سنوية .

The Annuam tributi pensionem of William of Tyre (XIX, 5) : Lane - Poole, Saladin p. 79.

الصليبية . وأعقب النصر فى بلبيس الاستيلاء على الفسطاط ، وعند دخول شاور من باب القنطرة (١) قتل ضرغام بعد أن هجره الناس أولا والخليفة والجيش ثانيا .

ولما أعيد شاور مرة أخرى إلى الحكم نقض وعده ورفض أن يدفع الجزية ، ولهذا أرسل شيركوه صلاح الدين لاحتلال بلبيس والأقاليم الشرقية فى حين استنجد شاور بعمورى الذى حضر وحاصر صلاح الدين فى بلبيس مدة ثلاثة أشهر . ووقعت أحداث فى سورية دعت إلى سرعة عودة كل من عمورى وشيركوه، ولذا عقدت هدنة بينهما (أكتوبر عام ١١٦٤ م) وانسحب شيركوه بجيشه ، وكما أوضحت حملة قورش وانسحاب الألف جندى الإغريقى — عن ضعف الإمبراطورية الفارسية حينئذ كذلك كشفت هذه الحملة عن غنى مصر وضعفها .

وأسقط فى يد نورالدين إذ منحه الخليفة الشيعى بركاته فعلا حرصا منه على أن يرى منافسه منحى عن مكانه . فبدأ شيركوه السير إلى مصر فى ١٢ من ربيع الأول عام ٥٦٢ هـ (٦ من يناير سنة ١١٦٧ م) برفقة ألفين من الفرسان المختارين ، ووصل بعد جولة طويلة إلى أطفيح على النيل على بعد ٤٠ ميلا جنوب القاهرة وعبر الى الضفة الغربية دون معوق ، ولكنه ما كاد أن يفعل ذلك حتى كان عمورى الذى هرع إلى مصر من فلسطين قد وصل إلى الضفة الشرقية وسار الجيشان كل فى مقابلة الآخر إلى القاهرة وضرب عمورى خيامه فى الفسطاط فى حين احتل شيركوه الجيزة (٢) .

وسعى عمورى عندئذ لإبرام معاهدة يقرها الخليفة الفاطمى بنفسه واقترح دفع مبلغ ٢٠٠ ألف دينار فورا و ٢٠٠ ألف أخرى عند طرد العدو من البلاد . وعندما تم الاتفاق على هذا ، عبر عمورى النيل فجأة فسار شيركوه مأخوذا من المباغتة متجها إلى الجنوب يتبعه عمورى الذى لحق به على بعد ١٠ أميال جنوب المنيا حيث دارت معركة حامية فى ١٨ من ابريل سنة ١١٦٧ م انتصر فيها شيركوه انتصارا مبينا ، ولما كان يحس بأنه ليس من القوة الكافية بحيث يمكنه السير إلى القاهرة فقد سار شمالا عن طريق الصحراء (٣) ودخل الاسكندرية دون مقاومة .

---

(١) Lane-Poole : Saladin, pp. 81-2, bis : History of Egypt, pp. 177-8 ; Schlumberger ; Compagnes du Roi Amaury 1ère pp. 48-5.

(المقصود هو الباب الواقع جنوب الفسطاط بالقرب من ساحل النيل) .

(٢) Lane-Poole : Saladin, pp. 82-5, His History of Egypt, pp. 178-9, Sobernheim, loc. cit. p. 84.

(٣) من المحتمل أنه سار عن طريق الفيوم الى وادى النطرون مارا بغرب الأهرام ومن وادى النطرون الى الاسكندرية ذلك الطريق الذى لايزال يستخدمه أعراب الصحراء الغربية . هذا الطريق =

وترك صلاح الدين حاكما هناك وتوجه شيركوه مرة أخرى إلى الصعيد وحاصر الصليبيون والمصريون الاسكندرية وتحرج موقف صلاح الدين غير أن عودة شيركوه ألهبت شجاعة المحصورين وأخمدت حماسة محصريهم مما أدى إلى إبرام معاهدة فى أوائل شوال عام ٥٦٢ هـ / (أوائل أغسطس عام ١١٦٧ م) (١) وكان من شروطها أن يغادر كل من شيركوه وعمورى مصر ولكن الأخير ترك حامية فى القاهرة والفسطاط .

حريق الفسطاط :

غزا عمورى البلاد مرة أخرى فى نوفمبر سنة ١١٦٨ م تحت الحاح نصحائه وأعلن عن وصوله بذبح جميع سكان بلبيس ، الأمر الذى دعا شاور أن يتخذ فى الحال احتياطات جزئية فأمر بإحراق الفسطاط بالرغم من ازدحامها بالسكان لئلا يحتمى بها الغزاة وهجرها جميع السكان فى جماعات (انظر وصف المقريزى بالجزء الأول من كتابنا هذا ص ١٢٠) ، [على بهجت وجبريل «حفريات الفسطاط» ١٣/١٤ ص ٣٣٨ — ٣٣٩ وترجمة كازانوفا ، ٣ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧] .

وفى ١٧ من ديسمبر عام ١١٦٨م أرسل نورالدين حملة ثالثة إلى مصر استجابة منه لرغبة الخليفة الفاطمى الملحة هذه المرة وكان قوام هذه الحملة ثمانية آلاف رجل وانضمت إلى الجيش المصرى فى ٨ من يناير بعد أن تجنبت القوات التى أرسلها الفرنجة لإعاقتها وعندئذ عاد عمورى إلى فلسطين ، ولكن شاور لم يتخذ أية خطوة لتنفيذ ما تعهد به لمنقذيه بل على العكس من ذلك وضع فعلا خطة للقبض على شيركوه أثناء وليمة أخوية ولذلك قبض عليه صلاح الدين الذى يغلب على الظن أنه تلقى أوامر من الخليفة مباشرة ليرسل إليه رأسه وهى نهاية ملائمة لعمل غير أمين . وعندئذ عين العاضد شيركوه وزيرا مكانه وكان ذلك فى ١٧ من ربيع الثانى عام ٥٦٤ هـ — (١٨ من يناير ١١٦٩ م) غير أنه توفى بعد شهرين فحل مكانه حفيده صلاح الدين فى ٢٢ من جمادى الثانى عام ٥٦٤ هـ — (٢٣ من مارس ١١٦٩م) (٢) .

= الذى يمر عبر منطقة مليئة بالحصى وليست بالرملية لابد أن يكون مخضرا فى أبريل لدرجة تكفى للحصول على العشب . انظر أيضا

H. G. E. White: The Monasteries of the Wadi n' Natrun, II p. 25, n. 5

(١) Sobernheim, loc. cit. p. 85.

(٢) بهاء الدين : صلاح الدين الترجمة المصدر نفسه ص ٥٣ — ٥٥ .
Lane-Poole. Saladin, pp. 95-8; His History of Egypt pp. 185-6.

الظروف التى شيدت أثناءها أعمال صلاح الدين الحربية :

لم يبدأ صلاح الدين أول أعماله الحربية الا بعد مضى عامين فيقول ابن أبى طى « فى هذه السنة (٥٦٦ هـ — ١١٧٠ — ٧١ م) شرع السلطان (يعنى صلاح الدين) فى عمارة سور القاهرة لأنه كان تهدم أكثره وسار طريقا لا يرد داخلا ولا خارجا (١) هذا العمل كان جزءا من خطة أهملت فيما بعد ليحل محلها ما هو أكثر منها طموحا . (٢) »

صلاح الدين يصبح حاكم مصر :

لم يمكث صلاح الدين وزيرا لفترة طويلة إذ أصبحت البلاد تحت سلطانه التام فى وقت قصير جدا وكانت سلطة الخليفة مهملة غالبا . وعندما وصل الأمر إلى هذه الحال كتب نور الدين إلى صلاح الدين يأمره بقطع الدعاء للخليفة الفاطمى يوم الجمعة وأن يذكر بدلا عنه المستضىء الخليفة العباسى ببغداد ، وتردد صلاح الدين فى تنفيذ ذلك ، ولخوفه من أن يهاجمه نور الدين يوما ما ظن أنه قد يصبح فى موقف أفضل إذا ما ذكر للمصريين أنه وزير الخليفة الفاطمى وليس حاكما من قبل العباسيين . ومهما يكن من شىء فإن نور الدين أصر على وجهة نظره ورأى صلاح الدين أن عليه أن يذعن إذ أنه ليس إلا مجرد مساعد لنور الدين ، ولكنه ظل مترددا . وفى هذه اللحظة ظهر غريب من الموصل يسمى الأمير العالم ولما لاحظ أن الجميع يخشون إحلال اسم الخليفة المستضىء محل الخليفة الفاطمى قال : « سأكون أول من يفعل ذلك » وفى أول جمعة من المحرم عام ٥٦٧ هـ (١٠ من سبتمبر عام ١١٧١م) صعد المنبر ودعا للخليفة العباسى دون أن يلقى أية مقاومة (٣) .

---

(١) أبو شامة : كتاب الروضتين جـ ١ ص ١٩٢، جـ ٢ ص ١٥ ـ ١٦ اقتبسها كازانوفا فى بحثه عن القلعة فى مذكرات البعثة الأثرية الفرنسية بالقاهرة جـ ٤ ص ٥٣٥ .

(٢) Casanova, Citadelle, loc. cit., pp. 535-8; Creswell, Brief Chronology of the Muhammedan Monuments of Egypt, B.I.F.O., XVI 54, ff.

(٣) ابن الاثير فى «مؤرخو الحروب الصليبية الشرقيون» جـ ١ ص ٥٧٨ وما بعدها . وقد اقتبسها كازانوفا من M.M.A.F.C. VI, Les Derniers Fatimides . وكذلك شلمبرجر فى المصدر السابق ص ٣/٢٠٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان طبعة بولاق جـ ٢ ص ٥٧٠ وترجمة دى سلان جـ ٤ ص ٤٤٧ ـ ٨ ، وترجمة بدج ص ٣٠٠ . ويذكر ابن حماد Bar Hebraeus chronagraphy, Bedjan, sed. p. 344. (١٢٢٠ م) رواية أكمل غير أنها مختلفة بعض الشىء . انظر فوندرهيدن النص ص ٦٣ والترجمة ص ٩٨ ويقول ابن الطقطاقا طبعة درنبرج ص ٣٥٨ وترجمة عمار ص ٤٥٦ انه كان فارسيا .

وفى يوم الجمعة التالى (١٧ من سبتمبر عام ١١٧١م) أمر صلاح الدين الخطباء فى الفسطاط والقاهرة أن يمنعوا الخطبة باسم العاضد ، وأن يدعى فيها للمستضىء (١). وتوفى العاضد فى ١٣ منه . ولم يشر بهاء الدين الذى تظهر روايته أقرب إلى الصدق إلى قصة الغريب الوافد من الموصل وقال : إن صلاح الدين نفسه أمر بذلك من أول الأمر وكان ذلك قبل وفاة العاضد بقليل واتفق المؤرخون (ابن الأثير وبهاء الدين) على وقوعها فى ١٠ من المحرم عام ٥٦٧ هـ — (١٣ سبتمبر عام ١١٧١م) (٢) .

وبموت الخليفة استولى صلاح الدين على القصر الفاطمى الفسيح ، وأخرج منه ما لايقل عن ١٨ ألف شخص منهم ٢٥٢ شخصا من ذكور الأسرة الفاطمية فقط ، وفصل الجنسين كل عن الآخر لكى تنقرض الأسرة ويذكر المقريزى أنهم وزعوا على النحو الآتى (٣) :

بمنزل المظفر	٣١	شخصا .
بإيوان القصر الشرقى	٥٥	شخصا :
بالقصر الغربى	١٦٦	شخصا :

ولم يحتفظ صلاح الدين لنفسه بشىء من الكنوز التى وجدت بالقصور . إذ قدم بعضا منها لسيده نور الدين ، وأعطى بعضا آخر لأمرائه . وسلمت المكتبة التى كانت تضم ١٢٠ ألف مجلد إلى كاتبه القاضى الفاضل ؛ واستمر هو نفسه يعيش فى دار الوزارة (٤) .

وفى العام التالى (٥٦٨ هـ = ١١٧٢ — ١١٧٣ م) قاد صلاح الدين حملة إلى الكرك والشوبك وحاصر كلا من المكانين وقاتل فى عدة مناوشات مع الصليبيين ولكنه عاد إلى مصر دون الحصول على كسب ما (٥) .

---

(١) المقريزى . السلوك طبعة زيادة جـ ١ ص ٤٤ سطر ١-٢ .
وترجمة بلوشيه . Revue de l'Orient latin VIII ص ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) انظر ترجمة صلاح الدين المصدر نفسه ص ٦١ — ٦٢ ولما كان كل منهما حيا فى وقت حدوث هذه الوقائع ; توفى ابن الأثير حوالى ١٢٣١ والتحق بهاء الدين كاتبا لصلاح الدين فى ١١٨٨) فلذلك يصبح من الصعوبة بمكان تقرير اى الروايتين افضل .

(٣) Casanova, Les Derniers Fatimides, loc. cit. pp. 435, 437 and 444

(٤) Lane-Poole. History p. 193.

(٥) بهاء الدين . الترجمة المصدر نفسه ص ٦٢ — ٦٣ .

محاولات لاعادة الفاطميين :

انتهز أنصار الفاطميين فرصة غياب صلاح الدين للقيام بمؤامرة واسعة النطاق يدفعهم إلى ذلك الشاعر العربى عمارة على ما يبدو ، واختاروا فعلا خليفة ووزيرا ويلوح أنهم كانوا على اتصال بالصليبيين وسنان زعيم الحشاشين الأكبر غير أن المؤامرة كشف أمرها فى حينه وفشلت (١) .

وتوفى نورالدين فى ١١ من شوال عام ٥٦٩ هـ (١٥من مارس عام ١١٧٤م) (٢) وشهد صيف هذا العـــام محاولة أخرى لاعادة الفاطميين إلى الحكم يقودها كنز الدولة أحد قوادهم السابقين ، واتخذ أسوان مقرا له وجمع جيشا من السودان وسار إلى قوص فأرسل صلاح الدين أخاه الملك العادل لمقابلته وأخمدت الثورة بعد إراقة كثيرمن الدماء فى ٧من صفر عام ٥٧٠ــ (٧من سبتمبر عام ١١٧٤م) (٣).

وفى رمضان من العام التالى (مارس ـــ أبريل عام ١١٧٥ م) وصل صلاح الدين من بغداد لتقليد ولايته على مصر وسورية (٤) .

خلفت وفاة نورالدين لصلاح الدين ثلاثة منافسين فقط على ما يحتمل خارج مصر . أولهم ابن نور الدين الطفل فى سورية ، والثانى سيف الدين حفيد نور الدين أمير الموصل ، والثالث السلطان السلجوقى ببلاد الروم أوآسيا الصغرى . وقد قرر صلاح الدين بعد أن أخمد ثورة كنز الدولة أن يعالج أمرمنافسة الأول على ما يبدو، ولذلك غادر البلاد إلى سورية ووصل إلى دمشق فى ٣٠ من ربيع الثانى عام ٥٧٠ هـ (٢٧ من نوفمبر عام ١١٧٤ م) (٥) . ولانريد أن ندخل فى تفاصيل هذه الحملة ونكتفى بالقول بأن انتصاره الباهر عند قرون حماه لم يترك له منافسا مسلما بين الفرات والنيل ، وأنه عاد إلى مصر فى ٦ من ربيع الأول عام ٥٧٢ هـ ـــ (٢٢ من سبتمبر ١١٧٦ م) بعد غياب دام عامين .

---

(١) كازانوفا . المصدر نفسه ص ٤٢٢ ـ ٧ ، وانظر أيضا ملاحظاته فى المجلة الآسيوية . Journal asiatique, 8ème série, XVII, pp. 326-9.

(٢) بهاء الدين . الترجمة ص ٦٥ .

(٣) بهاء الدين . الترجمة ص ٦٥ ـ ٦٦ ، المقريزى السلوك (طبعة زيادة) جـ (ص ٥٧ ص ٢١٤ ص ٥٨ سطر ٤ ؛ وترجمة بلوشيه فى مجلة الشرق اللاتينى جـ ٨ ص ٥١٥ ـ ١٦ ، كازانوفا : المصدر نفسه ص ٤٣٠ ـ ٣٣

(٤) أبو شامة جـ ٢ ص ٢٥٠ اقتبسها كازانوفا . المصدر نفسه ص ٤٠٨ .

(٥) بهاء الدين . الترجمة ص ٦٩ .

ويذكر المقريزى (١) أن ثورة أخرى قامت فى هذه السنة يقودها داود بن العاضد وأن الملك العادل أبو بكر أخا صلاح الدين قضى عليها . وليس من شك فى أن هذه الثورات كانت الدافع لصلاح الدين لأن يبنى قلعة لتكون مكانا يلتجىء إليه إذا قدر لثورة فاطمية أن تحرز نتائج خطيرة ،

نظرية لين بول :

ويشير لين بول فى هذا الصدد « لقد ظن البعض أن صلاح الدين أنشأ قلعة القاهرة لتحميه من ثورة محتملة الإندلاع يقوم بها أنصار الأسرة السابقة . ومع كل فان تفسيرا واضحا نجده فى أماكن إقامته الأولى إذ أن لكل مدينة سورية قلعتها أوحصنها وقد دلت التجارب أكثر من مرة على إمكان سقوط المدينة فى حين تظل القلعة ممتنعة ملجأ للناس وسبيلا للاسترداد » .

وعلى ذلك يجب أن يكون للقاهرة قلعتها أيضا ولابد أن يحتاج إليها صلاح الدين كمعقل دفاع ضد سيده نورالدين نفسه .

لقد حصل صلاح الدين على رضا نورالدين ملك سورية بتقديم هدايا من كنوز القصر الفاطمى . وذكرت الخطبة باسمه كحاكم أيام الجمع فى المساجد وبصفة خاصة فى جامع الحاكم بأمر الله الكبير الذى حل محل الأزهر جامعا رئيسيا للمدينة ، وظهر اسمه على السكة التى ضربها صلاح الدين بالقاهرة . ولكن على الرغم من هذا الخضوع الإسمى . واختفاء كل مظاهر السيادة الشخصية فإن صلاح الدين كان فى الواقع سيد نفسه يعضده فى حالته هذه جيش قوى تحت قيادة أخواته وأحفاده . لقد كان حقا ملك مصر وكان نور الدين فى غاية التنبه إلى كل هذا غير أن مشاكله مع الفرنجة والسلطان السلجوقى ببلاد الروم وعدد من حكام بلاد الجزيرة المشاغبين لم يترك له متسعا من الوقت ليقص أجنحة تابعه فى مصر ، ولم يكن ليعتمد على مساعدة صلاح الدين فى حربه المقدسة لأن صلاح الدين كان يعتقد لو أن سيده

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٣ ــ ٤ ، يشير لين بول (تاريخ مصر ملاحظة ص ٢٠٠) ان حكم صلاح الدين المستقل يبدأ من هذا النصر اذ أنه لم يسك نقودا باسمه الا بعد هذا النجاح . وفى أول الأمر ضرب اسم الخليفة الفاطمى على عملته ومن بعده نور الدين ولم يضرب اسمه أبدا . وعندما احتل دمشق أشرك اسم الصالح بن نور الدين مع اسمه على عملته التى ضربها هناك . وبعد انتصاره عند قرون حماة ضربت العملة باسمه لأول مرة .

(٢) المقريزى ج ١ ص ٢٣٣ . واقتبسها كازانوفا في المرجع السابق ص ٤٢١ ، ٤٣٣ .

أتيحت له الفرصة ليقبض عليه فإن ذلك يعني نهاية سلطانه ولاشيء يمكن أن يدفعه لأن يصبح فى متناول نور الدين (١) .

إن الافتراض القائل بأن خوف صلاح الدين من نور الدين كان له يد فى الأمر لايصمد أمام الفحص إذ لا يوجد ما يدل على أن صلاح الدين قد وجدت عنده نية بناء القلعة قبل مضى عامين من وفاة نور الدين . ومن جهة أخرى وعلى الرغم من أن وجود القلاع هو القاعدة فى سوريا فليس من المستحب أبدا أن يتبع هذا الأسلوب الباهظ التكاليف لولم يكن قد تعرض لثلاث ثورات فعلا ولشعوره بالخشية من ثورات أخرى . ولذلك كان من الطبيعى أن يتخذ هذه الوسيلة من وسائل الوقاية التى أصبحت مألوفة لديه أثناء رحلاته فى سوريا فقرر أن يبنى قلعة بمجرد عودته إلى القاهرة .

رواية المقريزى : يقول المقريزى :

دخل صلاح الدين القاهرة فى ٢٨ من ربيع الأول عام ٥٧٢هـ (٢٢ من سبتمبر ١١٧٦م) . وأمر بإنشاء سور حول القاهرة ومصر (أى الفسطاط) والقلعة وأقام على عمارتها الأمير قراقوش الذى بدأ فى القلعة والسور المحيط بها والخندق الدائر حولها (٢) .

ويقول فى موضع آخر :

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين (يوسف بن أيوب) لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالأمر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفـــاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى سلطان الشام (رحمة الله عليه) فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب فى سنة تسع وستين وخمسمائة (١١٧٣/٤ م) إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تحميه من نور الدين . (٣) فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات فى تلك السنة ، فخلا له الجو وأمن جانبه ورغب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر ، فإنه كان قد قسم القصرين (الفاطميين) بين أمرائه وأنزلهم فيها . فيقال إن السبب الذى دعاه الى اختيار مكان قلعة الجبل،

---

(١) صلاح الدين : ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) الخطط جـ ٢ ص ٢٣٢ ، سطر ٢٢ - ٢٤ ترجمة فان برشم فى
Notes d'archéologic arabe, Journal asiatique 8ème هامش رقم : XVII, p. 447

(٣) وذكر ذلك أيضا فى كتابه السلوك نشر زيادة جـ ١ ص ٥٢ ، سطر ٨ – ١٠ وترجمة بلوشيه فى
Revue de l'Orient Latin VIII p. 10

أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم و ليلة فعلق لحم حيوان آخر فى موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين و ليلتين (١) . فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك و أقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى (٢) فشرع فى بنائها . وبنى سور القاهرة الذى زاده فى سنة اثنتين وسبعين و خمسمائة (١١٧٦ ـــ ٧ م) (٣) و هدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الأهرام الصغار التى كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة ، وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور و القلعة فأهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل (محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب) فى قلعة الجبل واستنابته فى مملكة مصر وجعله ولى عهـــد فأتم بناء القلعة و أنشأ بها الآدر السلطانية و ذلك فى سنة أربع وستمائة (١٢٠٧ ـــ ٨ م) و ما برح يسكنها حتى مات ، فاستمرت من بعده دارا لمملكة مصر إلى يومنا هذا. وقد كان السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب يقيم بها أياما وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين فى أيام أبيه مـــدة ثم انتقل منها إلى دار الوزارة . قال ابن عبد الظاهر (٦٢٠ ـــ ٦٩٢ هـ = ١٢٢٣ ـــ ١٢٩٢ م) و الملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها ، بنى البرج الأحمر وغيره ثم كملت فى سنة أربع وستمائة (١٢٠٧ ـــ ٨ م) وتحول إليها من دار الوزارة ونقل إليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم فى بيت فيها فلم يزالوا فيه إلى أن حولوا منه فى سنة إحدى وسبعين وستمائة (١٢٧٢ ـــ ٣م) وقال أيضا « وفى آخر سنة اثنين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ ـــ ٤م) شرع السلطان الملك المنصور قلاوون فى عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير وبنى علوه مشرفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة (أبريل ـــ مايو ١٢٨٤ م) وقال ان قراقوش كان يستعمل فى بنـــاء القلعة والسور خمسين ألف أسير » (٤) .

---

(١) استخدمت هـــذه الفكرة القصصية لفحص الهواء فى هراه فى عام ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ ـ ١) انظر ترجمـــة معين الدين Barbier de Meynard, Journal Asiatique, 5ème série, XVI, pp. 474-5.

(٢) انظر ترجمته فى ابن خلكان (ط بولاق ١٢٧٥ هـ) جـ ١ ص ٦١٢ ـ ١٣ ترجمة دى سـلان جـ ٢ ص ٥٢٠ ـ ٢١ .

(٣) ويذكر السيوطي التاريخ نفسه : ترجمة جاريت ص ٤٧١ ـ ٢ . وابن اياس جـ ١ ص ٧٠ سطر ١٠ .

(٤) رأى ابن جبير فى ابريل عام ١١٨٣ م عددا لا يحصى من الأجانب يعملون فى البنـــاء طبعة رايت ص ٤٧ وطبعة دي غويه ص ٥٢ وترجمة سكابريللي ص ٢١ وترجمة برودهيرست ص ٤٣ .

البئر التى بالقلعة :

« هذه البئر من العجائب استنبطها قراقوش ، وقال ابن عبد الظاهر : « وهذه البئر من عجائب الأبنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء نقالة فى وسطها وتدور أبقار فى وسطها تنقل المـــاء من أسفلها ولها طريق إلى المـــاء ينزل البقر إلى معينها فى مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل : إن أرضها مسامتة أرض بركة الفيل وماؤها عذب سمعت من يحكى من المشايخ أنها لمـــا نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة فى مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها ، وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى كتاب عجائب البنيان أنه ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة » (١) .

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٠٣ سطر ٢٤ ، ص ٢٠٤ سطر ٢١ .

الموقع

إذا شوهد المقطم عرضاً من القاهرة ظهر كأنه جرف ينهض فجأة مسيطرا على وادى النيل ولكن هذا الوصف ليس كذلك فى الواقع بالمرة إذ يوجد فى الحقيقة عدد من النشز الصخرية تتقدم هذا الجرف وتختلف فيما بينها فى الحجم فأصغرها هو الذى يظهر بجوار برج يأخذ مياه قناطر ابن طولون بالبساتين ولدينا فى الجهة المقابلة له الرصد أو الأرض المرتفعة جنوب قصر الشمع وهى التى ذكرت باسم مرتفعات سان جورج فى خريطة نابليون وتنتهى هذه الأرض من الجانب الغربى بنشز يشرف على دير الطين وخط سكة حديد حلوان غير أن الجانب الشرقى ينحدر تدريجياً حتى المنسوب العام للهضبة .(١) وقد شوهت الطبقة سطحيا ، ولذا فإنها تشاهد قليلا من الشرق . وثمة نشزثان هام يكون جبل يشكر ذلك الموقع الذى اختاره ابن طولون لبناء مسجده وحى القطائع الجديد الذى انشأه . أما ما يظهر أنه النشز الثالث الكبير فهو ذلك الذى اختاره صلاح الدين موقعاً لقلعته ومهما يكن من شئ فإنه ليس فى الحقيقة نشز ولكنه طنف كان صلاح الدين قد فصله عن الكتلة الرئيسية حيث قطع الأحجار هنا عن قصد ولما كانت هذه المحاجر لاتزال مستخدمة حتى اليوم فقد نتج عن ذلك تراجع وجه الصخر بانتظام وهذا الطنف الصناعى المنفصل أكثر ارتفاعاً من النشزين الكبيرين المشار إليهما سابقاً ولكنه لايقع ضمن جميع المساحة التى تشغلها القلعة الآن لأن الطرف الجنوبى للقلعة مقام فوق أرض صناعية .

---

(١) يتكلم المقريزى عن الرصد فيقول : « هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبليه على بركة الحبش (فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا) وهو من شرقيه سهل فيوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود .. وكان يقال قديما الجرف ثم عرف بالرصد لأن الأفضل أبا القاسم شاهنشاه الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كرد لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد» . الخطط ج ١ ص ١٢٥ س ٢٦ الى الآخر . ترجمة بوريان فى M.M.A.F.C. XVII p. 363 وفان برشيم . Une Mosquée du Temps des Fatimides M.I.F. II p. 612-4
واسم الرصد لم يعد مستعملا . وربما كانت هذه الأرض المرتفعة موقع الحصن الرومانى الذى كان أمام قصر الشمع . انظر

A.J. Butler: Ancient Coptic Churches I pp. 172-5; Arab Conquest of Egypt pp. 244; Babylon of Egypt, pp. 7-8; Guest and Richmond, Misr in the Fifteenth Century (J.R.A.S., 1903, p. 806); Guest, The Foundation of Fustat and the Khittats of that town, ibid., 1907, pp. 61-2.

والاعتراضات التى أثارها كثير من المؤلفين ومنهم ماليه على سبيل المثال (١) وكررها غيره فى عبارات مملة والتى تقول إن الموقع قد أسئ اختياره لأن المقطم يشرف عليه لا قيمة لها فى عهد صلاح الدين . إذ لم يكن لأى سلاح من أسلحة القذائف القادرة على رمى قذائفه على القلعة من النشز الموجود خلفها (٢) :

---

(١) يقول « ان موقع القلعة ليس بالوضع الممتاز اذ يتحكم فيها الجبل فى الواقع حيث تسيطر قمته عليها ويمكن أن تقذف بالحجارة من هناك بالمقلاع بسهولة ، الأمر الذى يجعل الحراس فى موقف حرج » Description de l'Egypte. p. 190

(٢) ان النقطة التى يصبح عندها المقطم أكثر اقترابا من القلعة تقع عند قمة الخندق فى مواجهة برج الركن الجنوبى الشرقى . وتبلغ المسافة هنا حوالى ٣٥٠ مترا . وبالرغم من أن المنجنيقات التى كان يستخدمها الاغريق والرومان والتى كانت مزودة بمقلاع فى طرف أذرعتها على ما يقول اميانوس مارسيلينوس Ammianus Marcellinus (الكتاب رقم ٣٣ ، الفصل الرابع) تستطيع أن تقذف الاحجار الى مسافة تصل من ٤٠٠ ياردة الى ٥٠٠ ياردة الا أنه ليس من المحتمل أن يستطيع ذلك اى سلاح من أسلحة العصور الوسطى لسببين أولهما أنه ليس من دليل على أنها كانت مزودة عن طرف الذراع بمقلاع الامر الذى يضيف عنصرا ثالثا الى بعد المرمى تبعا لتجارب سير رالف بين جالواى Ralph Pyne Gallwey هذا من جهة وثانيهما لما يظهر من أن فن صناعة وتر قوى فعال قد نسى .

ويتضح من أبحاث بين جالواى وتجاربه العملية أن مسافة ٣٠٠ ياردة تقع ضمن نطاق أقصى مسافة للمرمى فى العصور الوسطى . انظر كتابه
Projectile-throwing engines of Ancients (London 1907), pp. 1-13

وينطبق مثل هذا الوصف على المنجنيق Trébuchet وهو عبارة عن نوع من أسلحة القذف كان مستخدما فى العصور الوسطى ويتكون من ساق (سهم أو قضيب) مشطوف عند أحد طرفيه بمقدار $\frac{1}{8}$ بوصة وموضوع على محور أفقى محمول على محاور . وكانت الذراع القصيرة غليظة جدا اما الطويلة فتتناقص فى السمك بالتدريج ويثبت بالذراع القصيرة ثقل من التراب أو الأحجار ويربط بنهاية الذراع الطويلة مقلاع للقذف . ولاعداد الآلة للعمل تجلب الذراع الطويلة الى أسفل بوساطة خطاف وعند تركها تدفع قوة جذب الوعاء الثقيل الطرف الطويل الى المحور وترمى القذيفة . انظر الوصف فى الكتاب السابق لبين جالواى ص ٢٧ — ٣٠ وكذلك ملاحظات الاستاذ ويليس Prof Willis على مرسم المنجنيق فى كتاب Sketch Book of Wilars de Honecort (كتب بين ١٢٤٣ ، ١٢٥١ م) ، ص ١٩٥ — ٢٠٣ .

وكان المقلاع عنصرا اضافيا على درجة كبيرة من الاهمية لانه يزيد فى مدى المرمى الى أكثر من ضعف المرمى الذى يمكن أن يصل اليه اذا كانت الذراع تنتهى بما يشبه الملعقة وذلك وفقا لتجارب الكولونيل دوفور ; Dufour : On the Artillery of the Ancients (Geneva 1840) واقتبسها الأمير لوى نابليون بونابرت Louis-Napoleon Bonaparte
Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie pp. 38-42

وقد عملت آلة كبيرة لتجربتها فى عام ١٨٥٠ م وكان لها سهم طوله ١٠٫٣٠ مترا وثقل للموازنة يبلغ ٤٫٥ طنا وأجريت التجربة فى Vincennes ورمت قذيفة ثقلها ٢٤ رطلا الى مسافة ١٧٥ مترا . انظر المصدر السابق ص ٣٨ — ٤٢ واللوحة ٣ شكل ١ واستخدم المنول المنجنيق وقد رسم أحدها فى كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين المكتوب فى عام ١٣١٠ م ونرى الرسم المذكور فى كتاب أومان .
Oman, History of the art of War (2nd ed.), II, pl. XXIII.

وقد نشر حديث رسم مبكر من كتاب مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى الذى يذكر انه كتبه لصلاح الدين انظر
Claude Cahen, un traité d'armurie composé pour Salah ed-Din, d'Etudes orientales, XII, pp. 141-3 ; 157-9

وانظر أيضا الدراسة الممتعة التى قام بها انلارت عن موضوع أدوات القذف فى العصور الوسطى فى العصور الوسطى فى
Manuel d'archéologie française- Première Partie, II pp. 44-50, figs 197-201.

ولم يكن الموقع خالياً تماماً إذ حاتم بن هرثمة والى مصر من عام ١٩٤ إلى ١٩٥ هـ (٨١٠ – ٨١١ م) كان قد اختاره لبناء جوسق عرف باسم قبة الهواء وهو الذى توفى فيه عيسى بن منصور أحد الولاة المتأخرين فى عام ٢٣٣ هـ (٨٤٧ – ٨٤٨ م) وعندما سقطت الأسرة الطولونية هدمت قبة الهواء عن قصد (١) وحول مكانها فيما بعد إلى قرافة شيد بها عدد من المساجد . ويظهر أنه كان بها قبل بناء القلعة المساجد التالية مبتدئين من الطرف الشمالى وهى :

١ – مسجد سعد الدولة . ٢ – مسجد معز الدولة . ٣ – مسجد عضد الدولة .

٤ – مسجد عبد الجبار . ٥ – مسجد أمين الملك . ٦ – قبر لاون .

٧ – مسجد القاضى النبيه . ٨ – قبر وخشى ٩ – مسجد أبى منصور قسطه (٢).

وصف وتحليل السور

الترتيب العام للسور :

لقد وفق كازانوفا عندما قال : إن أول ما يلفت النظر فى تصميم القلعة هو تقسيمها إلى سورين مختلفين تماماً . فالشمالى منهما يكون مستطيلا غير منتظم الشكل يبلغ طول ضلعه من الشرق الى الغرب ٦٥٠ مترا تقريباً ، ومن الشمالى إلى الجنوب ٣١٧ مترا ويتصل بالآخر برقبة تبلغ ١٥٠ متراً عرضاً ويفصل بين الجزءين حائط سميك جداً ينتهى عند كل طرف من طرفيه بأبراج ذات أقطار كبيرة وفى وسط هذا الحائط باب يسمى باب القلة يحميه برجان تخطيطهما متعدد الأضلاع (شكل ١) وإلى الجنوب من هذا الخط الفاصل توجد مساحة شاسعة غير منتظمة الشكل يتضح حتى للعين غير المدربة أنها ترجع إلى عدة عصور . وهذه المساحة أقل قليلا من السابقة ويبلغ أقصى أبعادها ٥١٠ م تقريباً من الشمال إلى الجنوب و ٢٧٠ متراً من الشرق إلى الغرب وهو بخلاف السور الشمالى الذى يدعمه عدة أبراج مربعة وأبراج نصف دائرية فى حين أن الجنوبى يتكون فى الغالبية العظمى من حوائط غير منتظمة يقسمها غالبا أبراج . وعندما شاهد المقريزى هذا المظهر غير الطبيعى عبر عن نفسه فقال « : وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر وأبراج وبدنات حتى

---

(١) المقريزى الخطط جـ ٢ ص ٢٠٢ س ٢ ، ٣١ ، وترجمة كازانوفا فى كتابه القلعة ص ٥٥٥–٦ (انظر الخطط جـ ٢ ص ٢٠١ س ٢٣) . Lane-Poole : Story of Cairo, p. 65.

(٢) His History, p. 31, Casanova, Citadelle, loc. cit., pp. 557-61.

تنتهي إلى القصر الأبلق ثم هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع أبراج القلاع(١) .

وقد علق كازانوفا على ذلك بقوله : « وعلى هذا فان هذا الوضع الشاذ يوضحه تماما مقارنة النصوص المختلفة . فهناك قلعة فى جانب ، وقصور فى الجانب الآخر فهى مدينة ملكية صغيرة (فرساى أوبوتسدام) شيدت فى حماية الحصن وأن الشذوذ سيختفى لو أعيد التخطيط الأصلى (٢) .

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٠٤ سطر ٣٣ – ٣٤ وقد اقتبسها كازانوفا فى المصدر السابق ص ٥٧٦ .
(٢) القلعة ص ٥٧٧ .

السور الشمالى

وصف عام :

فى هذه الأيام يرقى زائر القلعة إليها من الميدان الموجود أمام باب العزب فى طريق صاعد بعض الشئ ينقسم عند باب الخطابة . إذ يتجه فرعه الشمالى هابطاً إلى القرافة الشمالية (مقابرالخلفاء كما يطلق عليها) فى حين ينعطف الفرع الأيمن ويمر أسفل الركن الشمالى الغربى للسور الشمالى حيث يوجد برج نصف مستدير (أ) وجزء من حائط السور يستقر على نشز صخرى قليل الارتفاع (شكل ١) ويمر هذا الطريق الذى شيده محمد على على منحدر صناعى من الباب الجديد وهو باب عظيم ملحق به حجرات للحراس (لوحة ١٢ ب) من عمله أيضاً ويرتفع باستمرار ماراً بمدخل آخر معقود (الباب الوسطانى) إلى السور الجنوبى فى مواجهة مسجد الناصر محمد ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) وجامع محمد على . وعلى يسارنا باب القلة الذى سبق الإشارة إليه وهو المدخل الحالى إلى السور الشمالى أو القلعة ذاتها . وهذا الباب موجود فى وسط حائط ذى عرض عظيم يوضح نهايته برجان عظيمان مستديران (ب ، ج) قطر الأيسر منهما ٢١ متراً غير أنه متوسط الارتفاع أما الآخر فقطره ٢٤ متراً وارتفاعه حوالى ٢٥ متراً، وهذه الأبعاد مأخوذة من الخارج . ولكى نستمر فى فحصنا للجزء الخارجى للسور الشمالى علينا أن نستدير ونمر بالمسجدين الكبيرين اللذين أشرنا إليهما وننعطف يساراً فى مواجهة قاعة العدل التى بناها محمد على وننعطف إلى اليسار مرة أخرى ونجتاز برجا متوسط الحجم يغطى البئر المشهورة ومن ثم نميل إلى اليمين ونخرج من باب يسمى باب الجبل (لوحة ٢ ب) والباب الأخير مجرد فتحة مستطيلة عملت فى حائط سميك جداً يستمر فى اتجاه الجنوب من برج المقطم . ويكشف جانبا الفتحة غير الملسائين عن أحجار الدبش الداخلية التى تملأ الحائط ولا يوجد عقد أو عتب ولكن مجرد عروق خشبية وضعت عندما عملت الفتحة .

وقد أضيف سورذو شرفات نشاهده بلوحة (٢ ب) ليوفر دفاعا خارجيا ويحمل

نقشا بإسم يكن باشا وتاريخه ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ — ٦ م)(١) ومن المحتمل أن هذا التاريخ هو الذى قطع فيه الحائط الأصلى (٢) .

وعند ما نترك هذا الباب يظهر على يسارنا الآن سلسلة رائعة من التحصينات (لوحات ٢ — ٦) يتجه إلى الشرق تقريباً نحو جبل المقطم وثمة خط آخر (D) إلى يميننا يسير بعيداً عن المدخل فى اتجاه الجنوب . ولذلك فهو يكون مع الخط السابق زاوية قائمة . وهو على آية حال ذو طابع مختلف تماماً وبه ثلاثة أبراج فقط وتبدأ هاتان الواجهتان من البرج الكبير المستدير (C) الذى يعين الطرف الجنوبى للخط الفاصل بين السورين والواجهة الأولى هى التى يجب أن تسترعى انتباهنا الآن .

تبدأ هذه الواجهة بجزء من السور (E) طوله ١٦٫٨٠ من المتر مشيد من مبان ملساء أحجارها الرأسية (القائمة) ضيقة ثم نجد حائطا غريب المظهر من أحجار مسنمة (F) كتله أكثر طولا بالرغم من أن مداميكها فى نفس الارتفاع . ويتبع ذلك جزء آخر من أحجار ملساء (G) شبيهة بالأولى يقطعه بالقرب من نهايته الغربية برج العلوة ؟ وهو عبارة عن برج نصف مستدير (اللوحات ١ — ٤) وينتهى هذا الحائط الذى أعيد تدعيمه بزلاقة كبيرة ببرج كبير مربع (H) طول ضلعه ٢١ متراً مربعاً ومشيد من أحجار مسنمة تشبه الأحجار التى سبق الإشارة إليها . ثم نجد جزءاً (٥١ م) من حائط أملس (I) يتخلله برج صغير نصف مستدير (لوحة ٦ حـ) يقودنا إلى برج آخر مربع (J) ذو حجم ضخم طول واجهته ٣٠ متراً مشيد من أحجار مسنمة كالآخر ، وبالرغم من وجود برج واحد فى السور الكبير إلا أنه مع ذلك أكبر من برج قلعة نورفتش وأبعاده ٩٦ × ٩٣ قدما وارتفاعه ٧٠ قدماً (أى ٢٩٫٢٦ × ٢٨٫٣٣ × ٢١٫٣٣ من المتر (٣)) وهو من الكبر كبرج لندن الذى يبلغ ١٠٧ × ١١٨ قدماً تقريبا (٣٢٫٦١ × ٩٧ ر٣٥ من المتر (٤)

---

(١) Van Berchem, C.I.A., Egypte, I, p. 94 ; Casanova, Citadelle, pp. 716-17.

وتبعا لما يقوله الجبرتى (عجائب الاثار جـ ٢ ص ١٠١ والترجمة الفرنسية جـ ٤ ص ١٦٩) دخل يكن باشا والى مصر الجديد القلعة فى ٤ من المحرم من نفس العام (٧ نوفمبر ١٧٨٥) .

(٢) هذا الحائط الذى يكون جزءا من السور الشمالى ليس له ممر داخلى ويختلف بناؤه عن أى شيء آخر فى السور الشمالى .

(٣) انظر E.A. Brown : Great Buildings and how to enjoy them : Norman Architecture p. 68

(٤) Oman : Art of war in the Middle Ages, 2nd ed., II, p. 15.

وهناك مقارنة أخرى للبرج المربع الكبير بحصن الكرك الذى يضفى كثيرا على المظهر المتين لهذا الحصن المشهور وأبعاده (١٦٫٤٥ × ١٥ م)

Deschamps : Le Crac des Chevaliers, j. 155, no. 4.

الذى يتراوح ارتفاعه بين ثمانية وتسعة أمتار ويستمر حول الركن .

شكل (١) : قلعة الجبل ـ السور الشمالي

ويبعد عن هذا البرج الضخم بمقدار ٢٥ متراً من حائط أملس برجان نصف مستديران (ك) متجاوران (لوحه ٦ ج) ومن بعدهما يقودنا حائط أملس طوله ٥٩ متراً (ل) إلى برج بالزاوية الجنوبية الشرقية (لوحات ٦ ج — ٧ أ) .

وعلينا أن نوضح هنا نقطة « وهى أن بناء كل الأبراج نصف المستديرة من نوع واحد شأنها فى ذلك شأن الحائط الأملس ذى الأحجار الرأسية الضيقة السهل وإلى هنا نجد الأبراج والحوائط قد شيدت على مستوى سطح الأرض ، ولكن على مسافة ٥٠ متراً من الركن وقبل أن نصل إليه تبرز أمامنا ظاهرة جديدة على جانب كبير من الأهمية وهى ذلك النشز الرأسى من الصخر ويمتد إلى أكبر جزء من الجانب الشرقى وهو فى مبدأ الأمر يلاصق الحائط ولكن يبعد عنه فيما بعد بمقدار ٧ أو ٨ أمتار (انظر اللوحات ١ ، ٦ ، ٨) . إن الركن الذى وصلنا إليه الآن هو أقرب نقطة إلى المقطم من أى نقطة أخرى بالقلعة لأن المسافة بينهما حوالى ٣٥٠ متراً .

وإذا استدرنا حول هذا الركن قادنا جزء مستقيم تقريبا من الحائط (M) يبلغ طوله حوالى ١٧٠ متراً ويتخلله برجان نصف مستديران إلى برجين نصف مستديرين شديدى البروز وأحجامهما أكبر بكثير من تلك الأبراج التى قابلناها منذ قليل ، وهما غريبا الشكل حقا لأنهما مشيدان من أحجار مسنمة (لوحة ٧ ا) ولا يشبهان البرجين المزدوجين الموجودين بالواجهة المطلة على الجنـوب إذ لا صلة بينهما تقريبا . وثمة جزء آخر من حائط أملس (S) طوله ٦٦ مترا يؤدى بنـا إلى برج نصف مستدير (P) ذى حجم عادى ومن بعده جزء آخر بطول ٢٢ مترا ينتهى ببرج عظيم (Q) مستدير تقريبا مشيد من أحجار مسنمة ويسيطر على الوادى بين القلعة والمقطم . وإذا درنا حول الركن نلاحظ برجا آخر (R) شبيه به غير أن قطره أكبر منه (٢٢ م) ويبعد هذان البرجان أحدهما عن الآخر بمقدار ٢٢ مترا (لوحة ٨ — ٩) .

وبعد ذلك يرتد السور على نفسه فنجد جزءا من حائط أملس بطول ٧٠ مترا به برج نصف مستدير (R) يؤدى إلى زاوية منفرجة (لوحة ١٠) ومن ثم نجد جزءا آخر بطول ٤٥ مترا يتجه شمالا وينتهى ببرج نصف مستدير فى الركن (T) وحجرة أكبر قليلا من كثير من الأبراج نصف المستديرة التى مررنا بها آنفا (لوحة ١٠) ويظهر أنه مشيد من مواد سبق استخدامها لأن بعض الكتل مسنمة والبعض الآخر ليس كذلك ونجد بعد ذلك حائطا مستقيما تقريبا (U) من كتل

مختلطة متشابهة ينتهى فجأة بعد مسافة قدرها ٨٣ مترا ويبدأ بعد ذلك حائط جديد (V) مرتد إلى الوراء بمقدار ٧ أمتار ويستمر إلى مسافة ١٢٠ مترا (لوحة ١١) وعند هذه النقطة (لوحة ١١) يوجد برج عظيم نصف مستدير (W) ومن بعده يغير الحائط اتجاهه ويستمر بطول ٩٥ مترا وينتهى ببرج فى الركن الشمالى الغربى (A) الذى سبق أن مررنا به من قبل عندما دخلنا من مدخل محمد على الكبير المعقود (لوحة ١٢ ب) .

وصف تحليلى :

دعنا نعود الآن إلى باب الجبل وندرس بالتفصيل هذا السور برجا برجا . إن ذلك البرج المسمى ببرج المقطم : ذى التخطيط الحديث (لوحة ٢ — ٣) لايشبه بالمرة فى بنائه وتكوينه أى شىء آخر فى هذا السور . فأحجاره من الخارج ملساء وصلبة ومتينة ولكنه يختلف عن تلك الأبراج الموجودة بالحائط والأبراج نصف المستديرة فى اختفاء الكتل الرأسية الضيقة (السهل) التى تميز الأبراج الأخيرة وقلما تأثر بالجو بعكس باقى أجزاء السور تماما الذى عانى كثيرا من الجو بالقرب من الأرض بصفة خاصة ، إذ يصعب أن نجد جزءا منه فى حالة طيبة (١) . أما من الداخل فالأحجار صغيرة غير منحوتة والأقبية من الطوب وهى مادة لم تستخدم فى أى مكان آخر من السور . وهوبصفة عامة عبارة عن حجرة فى الوسط ذات قبة صغيرة نسبيا لأن الجدران سميكة جدا (أكثر من ٧ م) لدرجة توحى بأن هذا البرج قد شيد لمقاومة المدفعية . أما السلم الصاعد إلى القمة فقد بنى إلى يسار المدخل فى سمك الحائط مما يذكرنا بسلم أبراج قلعة الأبراج السبعة « يدى كولى كابو » باستامبول إلا بوجود فتحات أو علامات تدل عليها تربطه بالممر الداخلى الذى ستراه يسير فى الجانب الشرقى من الحائط . وقد شوه النصف الأسفل بعض الشىء . أما الجزء العلوى فيستقيم رأسيا ويتوجه طنف بارز متين ويفصل بين الوجه المشوه والرأس طيلسان شديد البروز .

وقد لاحظنا عند سيرنا حول السور الشمالى وجود نوعين مختلفين من المبانى فى

(١) لوحظت الحالة السيئة للواجهة منذ ٢٥٠ سنة مضت وأثرت فى ماليه الذى قال : فى الواقع مهما كانت الأحجار التى بنيت منها الحوائط من نوع ممتاز فان الجو الرطب وبرودة الليل بالاضافة الى الحرارة الشديدة المتتابعة أثناء النهار قد كلستها لدرجة أن المرء عند مشاهدته لهذا الحصن يعتقد أنه قد مضى على تشييده ألفين أو ثلاثة آلاف عام Description d'Egypte p. 190

المسافة الواقعة بين برج المقطم وبرج الصحراء ، فالنوع الأول (أ) عبارة عن مبان ملساء يبلغ ارتفاع مداميكها ٥ر ٤٣ سم طول الأحجار المستعرضة منها (حمل) ٨٠ سم تقريبا والرأسية (سهل) قليلة الارتفاع إذ يبلغ ١٩ سم ، والنوع الثانى (ب) من مبان مسنمة من كتل حجرية كبيرة يبلغ طول المستعرضة منها (حمل) مترا ونصف المتر تقريبا ، والرأسية (سهل) ٣٣ سم بالرغم من أن متوسط ارتفاع المدماك هو ٥ر٤٣ سم تقريبا كالسابق . والحوائط والأبراج نصف الدائرية من النوع الأول فى حين أن البرجين المربعين الكبيرين والبرجين المستديرين الكبيرين وبرج الصفة من النوع الثانى .

وها نحن الآن أمام مبان ترجع إلى فترتين فأيهما كانت الأسبق ؟ عندما قمت بفحص القلعة لأول مرة فى عام ١٩٢٣ (١) وجدت الإجابة على هذا السؤال عندما فحصت برج الحداد ولم أفلح فى ذلك الوقت فى دخول برج الصفة الذى يمدنا بنفس الإجابة ، وبعد مضى عدة سنوات نجحت فى الدخول من فتحة مزغل شديدة التشويه للأسف موجودة على الجانب الشرقى للبرج ووجدت أن مساحته الداخلية قد ملئت بالأنقاض . هذا وقد رمم البرج حديثا (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) ونظف تماما .

برج الصفة ـ (لوحات ٢ ـ ٣) (٢) :

يفصل برج الصفة عن برج المقطم جزء أملس من الحائط طوله ٦٠ر١٦ من المتر ومن الواضح أن هذا الجزء يحتوى على ممر إذ تظهر المزاغل الضيقة التى يفضى اليها ، غير أنه لم يكن فى مقدورى إيجاد مدخل يؤدى إليه إذ سد كل جانب من جانبيه وأخفيت الأبواب أو المنافذ التى يحتمل وجودها بالجانب الداخلى خلف مبانى الثكنات أما برج الصفة فيبلغ اتساعه ٨٠ر٢٥ من المتر وارتفاعه حوالى ١٥ مترا فوق مستوى سطح الأرض الحالى وهو غنى بفتحات المزاغل . واتضح من عملية الكشف البسيطة التى قامت بها لجنة حفظ الآثار العربية أسفل المزغل الثانى على اليسار فى نوفمبر عام ١٩٥٣ بناء على طلبى وجود الصخر على عمق ٣٠ر٣ من المتر وهذا يجعل الإرتفاع ٣٠ر١٨ من المتر أى أنه يزيد قليلا عن ٦ أمتار ، هذا من الخارج أما من الداخل فانه أزيد من ذلك بكثير ويبلغ عمق البرج من الخلف إلى الأمام ٣٠ر٢٥ من المتر وجوانبه متآكلة بعض الشئ

---

(١) Archaeological Researches at the Citadel of Cairo B.I.F.A.O. XXIII pp. 89-158.

(٢) استخدمت أسماء الأبراج كما وجدتها على خريطة الحملة الفرنسية بالرغم من انها غير مستعملة فى هذه الأيام على ما يظهر وقصدى من ذلك هو احياء هذه الأسماء .

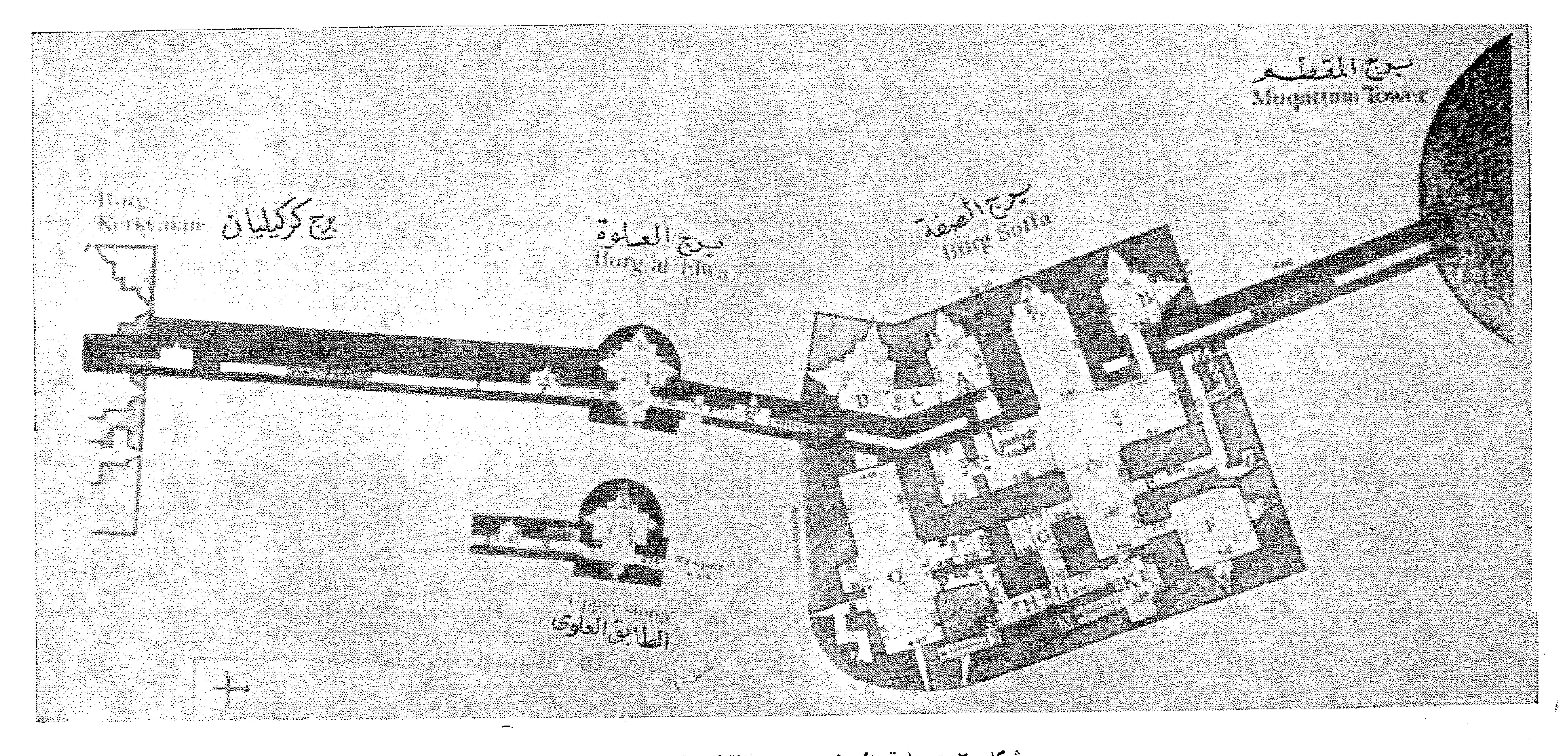
ومبانيه مسنمة على عكس الأبراج نصف المستديرة الصغيرة وسمته الرئيسية هى القاعة ذات التخطيط المتعامد (لوحة ٣ ب وشكل ٢) التى تبلغ أبعادها ١٨٫٣٨ من المتر من الشمال إلى الجنوب و١٤٫٣٨ من المتر من الشرق إلى الغرب .

أما الأذرع الأربعة فتغطيها أقبية من حجر منحوت ويبلغ ارتفاعها ٥٫٤٥ من المتر تقريباً وصنجها مزررة فى حين أن المربع الأوسط قبو متعامد ويوجد على جانبى الذراع الجنوبى حجرتان مربعتان تقريباً (A, B) وليس لها على أية حال فتحات تؤدى إلى هذا الذراع ، ويمكن الوصول إليها من الذراع الشرقى والغربى . ويغطى الحجرة الموجودة بالجنوب الغربى قبو متعامد فى حين أن الجنوبية الشرقية يغطيها قبو اسطوانى (خ) وقد زود الأول بمزغلين للسهام ، أما الآخر فبه فتحة واحدة وممر (C) مفتوح من الجانب الشرقى وينتهى إلى حجرة مماثلة (D) أبعادها على وجه التقريب هى ٣٫٧٥ × ٤٫١٥ من المتر ومغطاة بقبو متعامد ومزودة بمزغلين . وتتشابه جميع المزاغل ذات الفتحات الضيقة فى هذا البرج وتتكون من فجوات على شكل حرف V الأفرنجى وعمقها متر تقريباً ، ويغطيها قبو متقابل الأطراف يرتكز على جانبيه كأنه نصف مخروط ويوجد دواما فوق تاج العقد مباشرة نافذة ذات عتب مائل (كما فى لوحة ٥أ).

ولنعد الآن إلى الحجرة السابقة (أ) حيث نعثر على الإجابة عن سؤالنا . إذ يوجد بالحائط الخلفى عند النهاية اليسرى وعلى ارتفاع ٣٫٤٠ متراً مزغل تتجه فتحته نحونا (لوحة ٣) ، كما نلاحظ أيضاً أن مبانى الحوائط الجانبية غير مرتبطة أو غير متداخلة مع الحائط الخلفى المشيد من حجر جيرى من نوع نيموليت مختلف به الكثير من النيموليت . وهناك أيضاً قطع فى رباط البناء يتراوح عرضه بين ٣٠ ، ٤٠ سم تقريبا على جانبى الباب الذى يظهر أنه فتح فى الحائط ثم سوى بعد ذلك (١) وإذا عدنا إلى الحجرة الموجودة بالركن الجنوبى الغربى . نلاحظ أن الحوائط الجانبية لا تتصل هنا أيضاً بالحائط الخلفى المبنى من حجر جيرى مختلف النوع أيضا . وبمعنى آخر إن هذا البرج الكبير قد بنى كركيزة تستعرض سورا كان موجوداً من قبل وكان له بابان مفتوحان فيه ، كما فتح جزء آخر ليفسح مكانا للذراع الجنوبى للحجرة المتعامدة التخطيط . ويمكننا أن نشاهد أيضاً أن السور قد غير اتجاهه بمقدار ٣٠° بين الحجرتين الجنوبيتين الغربيتين وهذا يوضح لنا الشكل المسنن لواجهة البرج التى تبدو

---

(١) ان مبانى الجزء الخلفى من هذه الحجرة والحجرة ب قد أعيد بناء جزء كبير منها أثناء أعمال الاصلاح التى قامت بها اللجنة عام ١٩٥٢ انظر لوحة ٣ جـ التى أصبحت الآن وثيقة أثرية هامة .



شكل ٢ : قلعة الجبل - برج المقطم الى برج كركيلان

منفصلة لأول وهلة ، وعلى ذلك يمكننا أن ننسب السور إلى الفترة الأولى وبمعنى آخر إلى أعمال صلاح الدين مع التأكيد بأن الأبراج الكبيرة المبنية من الحجر المسنم ما هى إلا إضافات متأخرة وسنعود إلى هذه المسألة عند دراسة برج الحداد .

دعنا الآن نستمر فى فحصنا للأجزاء الباقية من البرج ، فى الجانب الغربى الشمالى ممر طويل على شكل حرف (L) عرضه ١ر٠٥ من المتر وله سقف مرتفع شيد من الحجر يرتكز على مدماك من كوابيل ذات وجه مائل ويؤدى هذا الممر إلى ثلاثة مراحيض (I, I, I) لكل مرحاض منها نافذة صغيرة مرتفعة . وثمة باب آخر إلى أقصى الخلف فى نفس الجانب يقود إلى حجرة (F) سطحها ٥ر١٢ متراً مربعاً وسقفها عبارة عن قبة من الحجر منخفضة الارتفاع ومبنية على مثلثات كروية ومزودة بمزغلين . وتنحرف نهاية الجانب الجنوبى كما رأينا لتؤدى إلى المرحاض رقم ٣ . ويجب أن أشير هنا إلى أن فتحات الأبواب فى هذا البرج فيما عدا بابين بالممر (H) لها عتبات تستند على كوابيل ذات الوجه المائل .

والباب الموجود على الجانب الشرقى للذراع الشمالى عبارة عن مدخل ممر معقود (G) متسع على شكل حرف (ك) ونجد عند نهايته الشمالية ممراً آخر ذا عقد اسطوانى (ج) ويتجه يميناً وشمالا . وعند النهاية اليسرى الأخيرة يوجد مدخل ذو عقد مدبب يفضى إلى حجرة ذات قبو متقاطع (K) أبعادها ٣ر١٩ × ٢ر٦٠ من المتر بها حنية بقبوة من الغرب والشمال ودرج (M) صاعد من الجانب الشرقى . وفى الجانب المقابل مدخل آخر معقود يستمر الممر منه إلى مسافه ١و٣ م وعندئذ نلاحظ درجا آخر (N) إلى اليسار . أما على اليمين فتشاهد فتحة ممر على شكل (L) يرتكز سقفه على مدماك من الكوابيل ذات الوجه المائل . ويقود هذا الممر إلى قاعة مقبية (Q) من نـوع يختلف عن القاعة الرئيسية وأصغر بكثير . وتذكرنا هذه القاعة بإيوانات القاعات إذبها جزء متوسط ذو عقد اسطوانى أبعاده ٤ر٣٠ × ٥ر١٠م . وإلى الجنوب إيوان له عقد اسطوانى عمقه ٥و٨٥ من المتر وارتفاعه ٥ر٠٤ من المتر وإلى الشمال إيوان آخر عمقه ٣و١٩ من المتر . وعند الطرف الجنوبى للايوان السابق نجد حنية ظهرها عبارة عن حائط سور صلاح الدين . وبأعلى الإيوان الشمالى نافذة عضادتاها منحرفة المقطع والجانب الشرقى ممر قصير مزور (R) تضيئه نافذة صغيرة مرتفعة ويؤدى إلى مرحاض آخر .

والظاهرة الفريدة فى هذا البرج هى إحكام تخطيطه وهو أمر نادر الحدوث فى

آثار القاهرة فيما عدا مبانى الاستحكامات الفاطمية فمثلا نجد أن محور القاعدة الكبرى ذات التخطيط المتعامد يتعامد تماما مع الواجهة (على قدر ما استطعت قياسه) وأن ظهر البرج يوازى الواجهة مع اختلاف بسيط قدره ٥سم .

ونلاحظ أن منسوب أرضية القلعة من الداخل قد ارتفع كثيرا وبصفة خاصة عند هذا المكان بحيث إنها أصبحت الآن على منسوب يصل إلى تيجان أقبية الجزء الذى انتهينا من دراسته . وقياسا على برج كركيليان (الصفحات التالية) نطمئن إلى القول بوجود طابق آخر يتشابه معه فى التخطيط ويعلوه فناء مكشوف تحيط به حنيات معقودة بها مزاغل ويعلو هذه مسطبة تعاون الشرافات (شكل ٣) وقد ضاع كل هذا فيما عدا الجزء العلوى للواجهة الخارجية (الجنوبية) التى لاتزال قائمة بارتفاع لا بأس به . وقد شيد فيما بعد حوالى عام ١٨٥٠ — ١٨٦٠ م بناء مستطيل الشكل أمام الجانب الداخلى للسور يبدأ من برج المقطم إلى نقطة تقع فى منتصف ظهر برج كركيليان تقريبا ويصل الدرج إلى السطح أمام هذا البناء . أما الدرج الثانى فينتهى تحت واجهته التى تسير بانحراف عابرة إياه .

وقد أصاب الواجهة الجنوبية لهذا البناء تعديل كما هو واضح وأعيد بناء جزء منه أثناء الاحتلال البريطانى ويمكن رؤية الواجهة الجنوبية من أعلى ممر الدروة وهى من طابقين أسفلهما مختف . ومن المحتمل أن بقايا الركن الجنوبى الغربى للطابق الشمالى لهذا البرج لا تزال باقية وربما الحجرة الجنوبية الغربية أيضا .

من برج الصفة الى برج العلوة وبرج كركيلان :

يفصل برج العلوة عن برج الصفـــة جزء من حائط السور يبلغ ٩ أمتار طولا ثم نجد بعد ذلك جزءا آخر طوله ٥٨ ر ٣٢ من المتر يدعمه بناء آخر من كتلة متماسكة صلدة ذات سطح مائل (انظر لوحة ٤) ويوجد الآن جزء آخر صلد على الجانب الشرقى للسور الجنوبى (١) الذى لم يـــكن موجودا على عهد نابليون (٢) ولهذا فإنى أنسب كلا منهما إلى عصر محمد على .

ومن الممـــكن الدخول فقط إلى المبانى التى تتصل بكل الواجهة الداخلية لهاتين البدنتين للسور عن طريق مزغلين هدمت حافاتها . وعندئذ نلاحظ أن اتساع

(١) Casanova, Citadelle pl. XV.

(٢) انظر Description de l'Egypte, Etat Moderne, I pl. 68

الممر هو٨٦ سم وارتفاعـــه ٦٥ و٢ من المتر وهو مسقف بكتل صماء ترتـــكز على مدماك من الـــكوابيل ذات الواجهة المائلة . وتوجد غرفتـــان للرمـــاة اتساع كل منهما ٧٥ ر ٢ من المتر ، ٤٢ر٢ من المتر على التوالى . ولتفادى هذا الاتساع انقص العرض بوساطة بناء مداميك من الـــكوابيل ذات الواجهة المائلة (كما فى شكل ٦) يبرز كل صف منها أسفل الآخر . أما المزاغل فقد انحرفت جوانبها أكثر من ذى قبل ويبلغ ارتفاعهـــا ٧٠و١ من المتر وهو أكبر بكثير من ارتفاع مزاغل التحصينات الفاطميـــة . وفضلا عن ذلك فإنها مفتوحة عند مستوى الأرض مما يساعد رامى السهام على دخولها ويصلى المهاجمين بسهامه عند الضرورة . وهـــذا الأمركان مستعملا فى النوع القديم من المزاغل . وتختلف هذه المزاغل عن مزاغل برج الصفة إذيعلو كل منها أسكفة ضخمة فوقها عقد مسطح تقريبا ليعتق عن الجزء الأوسط من الأسكفة .

أما البرج نصف المستدير فيزيد اتساعه عن ٦ أمتار قليلا ويبرز بمقدار ٩٥ر٥ من المتر ويتـــكون داخلـــه من قاعة متعامدة التخطيط ذات قبو متعامد عرضها ٨٠ر٤ من المتر وطولها ٥٥ر٢ م وبها ثلاثة مزاغل تشبه تماما تلك التى انتهينا من وصفها و من بين هذه المزاغل الثلاثة مزغلان يسمحان برمى السهام جانبيا ، أما المزغل الثالث فيوجه منه الرامى سهامه إلى الأمام . أما ظهر المزاغل فعبارة عن حنية عمقهـــا ٩٧ سم لها نافذة مستطيلة عرضها ٩٢ سم .

ولابد أن الممر الذى يستمر أصلا فى اتجاه الغرب كان يفضى إلى غرفة للرماه كانت تستخدم المزاغل الموجودة فى الحجرة الخلفية (A) ببرج الصفة (لوحة ٣ ب ـ شكل ٢) وقد شدت هذه الحجرة بسبب وضع درج فى الممر نفسه. ويصعد الدرج إلى ذلك الجزء الذى كان فى الغالب عبارة عن ممشى الدروة قبل أن تشيد به مبان فى وقت متأخر (١) .

والممر المتجه إلى الشرق مظلم لأن المزاغل تسدها مبان صماء متماسكة ويبلغ عرضه مترا ونصف المتر وهى التى سبق الإشارة إليها . وهذا الممر مغلق على بعد ١٢ر١٠ من المتر من البرج .

(١) نشاهد هذا عن طريق الانفصال الرأسى فى المبانى الموجودة على مسافة ٢٥ سم الى القرب من البرج والمتجه الى أسفل من أعلى السور حتى يصل الى نقطة تبعد عن المزغل بمقـدار خمسـة مداميك واذا درسنا البرجين نصف المستديرين بالجانب الشرقى فاننا نلاحظ أنهما مستوى الحـــاجز وان لهما جناحا على الجانب طوله ٥ر٦ ، ٥ر٧ سم ويشتمل على سلم يؤدى الى القمة وعلى الجانب الاخر نشاهد امتدادا أسفل الجزء المقوس بمقدار ٢٥ سم فقط (لوحة ٧ ـ ٨ وشكل ٧) .

وثمة مزغل آخر مشوه بأعلى البرج يساعدنا على الدخول إلى القاعة العليا التى تشابه السفلى تماما والتى لهـــا نفس الممر الخارج منها إلى الشرق وقد أغلقتها مبانى الشكنات على بعد ٢٢ر٨ من المتر .

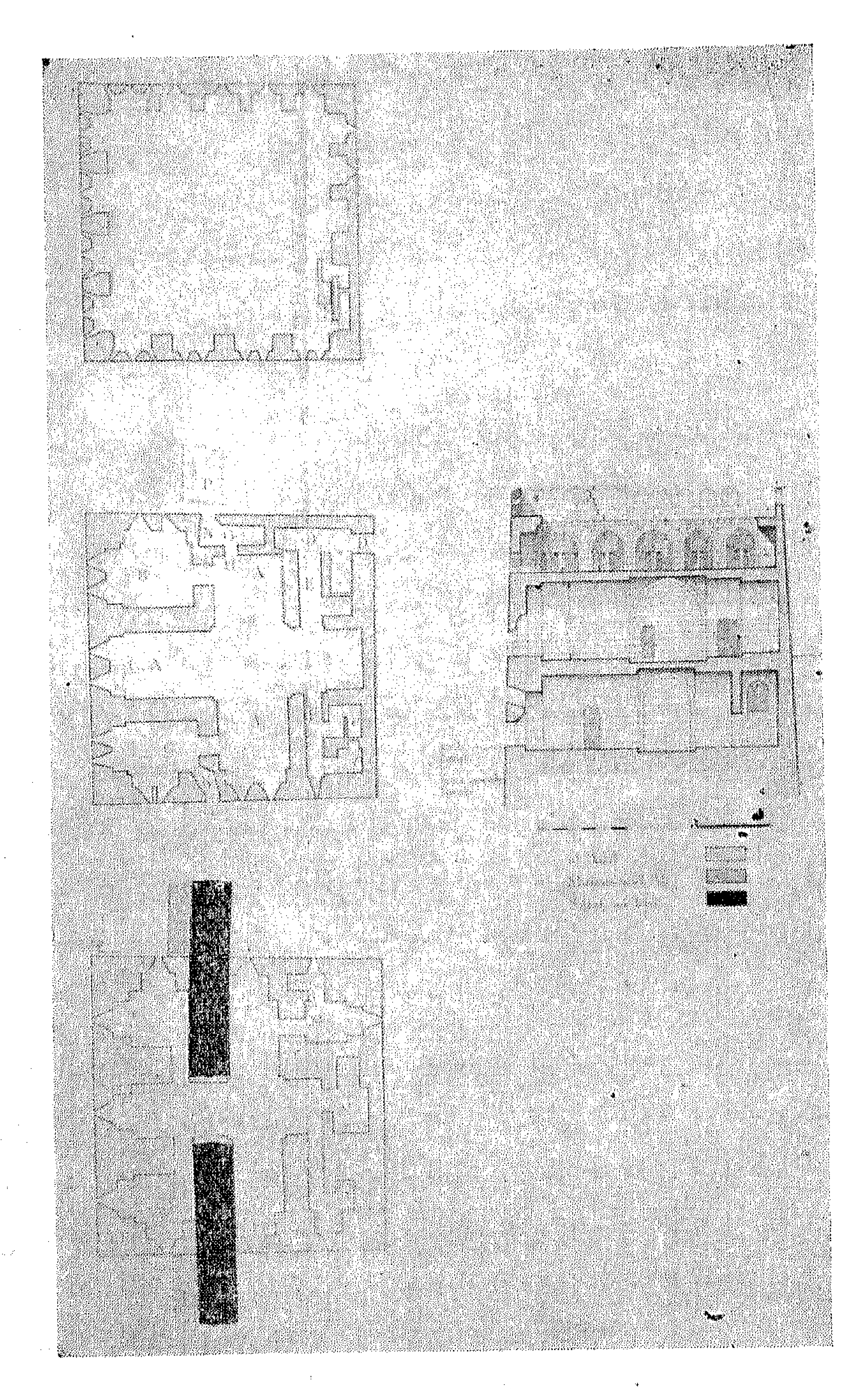
وعندما ندرس برج كركيلان سنرى أن النهاية الشرقية للممر العلوى مغلقة بدرج موجود أمام فتحة الباب تماما كما سبق أن لاحظنا ذلك فى النهاية الغربية للممر السفلى.

برج كركيلان :

تبلغ أبعاد هذا البرج الكبير ٢١ مترا تقريبا وارتفاعه ٦٠ر٢٠ من المتر ، ولكن الأرض ارتفعت هنا مرة أخرى بمقدار ثلاثة أمتار على الأقل ولهذا تصل إلى مستوى مزاغل الطابق السفلى من البرج . وقد بنى هذا البرج كما بنى برج الصفة من كتل مسنمة تميل واجهتها إلى السطح الخلفى بمقدار ٧٥ سم غير أنها لم توضع بإحكام لأنها تنحرف بمقدار ٨٠ سم (لوحة ٤ ب وشكل ٣) .

وعندما تدخل من باب (D) عند نهاية الممر عبر مجموعة من مساكن الجند نجد أمامنا درجا (J) يصعد إلى السطح وإذا انعطفنا إلى اليسار واخترقنا الممر (E) المسقوف بكتل من الحجر المرتكزة على ثلاثة مداميك من الكوابيل ذات الواجهة المائلة نصل إلى الذراع الجنوبى للقاعة الوسطى ذات التخطيط المتعامد ، ويغطى كل ذراع من أذرعها الأربعة سقف على هيئة عقد اسطوانى مدبب من حجر منحوت ذى صنج مزررة وارتفاعه ٤٨ر٥ من المتر ويبدأ مع جزء أوسط مسقوف بقبو متعامد أكثر ارتفاعا (لوحة ٥ أ) . والذراع الخارجى (الجنوبى) مزود بمزغلين . ويشغل الركنين الخارجيين للبرج حجرتان مستطيلتان لكل منهما قبو متعـــامد (ب ــ ج) وأربع مزاغل اثنان منهما أماميان والآخران جانبيان وبذلك يصبح لدينا عشرة مزاغل كلها متشابهة . وثمة حنية جوانبها مائلة يغطيها قبو متناقص حسن القطع يشبه نصف مخروط قائم على جانبه وفتحة للضوء فوق كل زوجين من المزاغل أسفل القبو مباشرة (لوحة ٥ أ) كما فى برج الصفة تماما .

ويوجد ممر ضيق آخر (F) يفتح من الذراع الشمالى للتخطيط المتعامد فى مواجهة الذراع الذى دخلنا منه مباشرة . وعند نهايته مرحاضان (L ١ ، ٢) مفتوحان من الجانب الشمالى ومزغلان آخران عند نهاية الذراع الشرقى . وعلى ذلك اتضح أن هذا البرج يمكن الدفاع عنه أيضا ضد العدو الذى يستطيع دخول السور . وفضلا على ذلك المدخل (د) الموجود بالجدار الخلفى تجد بابا صغيرا بالضلع الشرقى عرضه



شكل (٣) : قلعة الجبل - برج كركيلان ، مخطط الطوابق الأول والثانى والثالث والقطاع

٨٨ سم فقط ونصل من خلاله إلى الداخل عبر ممر ضيق (K) مسقوف بكتل من حجر مسطح مشيد على طنف مزدوج ذى واجهة منحرفة . ويسمح هـذا الباب بالدخول إلى البرج من ممشى الدروة باتساع ٩٠ر١ من المتر وكان يعلو فى عام ١٩٣٢ عن مستوى سطح الأرض بمقدار نصف المتر ، ولكنه أصبح الآن (١٩٥٣) على مستواها تقريبا . وفى عام ١٩٢٣ دهشت عندما لاحظت أن المرء لا يمكنه المرور إلى الخارج من خلال باب موجود فى الجزء المواجه غير أن المبانى التى كانت مغطاة بالملاط تظهر كأنها متماسكة عندما يدق عليها بمطرقة (١) .

ومهما يكن من شيء فقد أزيل الملاط عندما رمم البرج منذ بضع سنوات ، وعثر هنا على باب مسدود بالمبانى (H) عرضه ٩٤ سم فقط ، ويفتح على درج يؤدى عن يسارنا على بعد ١٤ درجة إلى باب عرضه ٨٩ سم يفضى إلى ممشى الدروة حيث لا يزال باقيا جزء من الشرافات ومع كل فان الشرافات قد فقدت أجزاءها العليا المستديرة وسدت الفراغات بينها وعمل فى كل وسط كل منها فتحة مستديرة تخترقها (لوحة ٤ أ) (٢) ونجد على يميننا درجا يهبط إلى الطابق الأسفل لم يكن الوصول إليه متيسرا فى عام ١٩٢٣ وقد غطى الجزء الأسفل بقبو اسطوانى أفقى والعلوى بقبو مرتفع وكلاهما مدبب ويصل مباشرة إلى أسفل الدرج (J) الذى يصل إلى أعلى البرج وقد تسبب الحيز الذى يشغله الدرج فى إحداث تعديل بسيط فى وضع شرق القاعة المتعامدة التخطيط مما أدى إلى أن أصبحت الحجرة الموجودة بالركن الجنوبى الغربى أكثر اتساعا من تلك الموجودة فى الجنوب الشرقى بمقدار ٨٠ سم .

غير أن هناك نقطة توضيحية هامة يجب أن نذكرها وهى أن المنبسط العلوى للدرج (N) حيث ينعطف إلى اليمين ليصل إلى ممشى الدروة قد قطع وكشف عن عدد من درجات الدرج تهبط إلى غرفة الرماة (P) الموجودة فى سور صلاح الدين ! ومن الواضح أن هذا الدرج قد بنى فى الممر لأن مدماك الكوابيل ذات الواجهة المائلة والحاملة لبلاطات السقف تتجه إليه مباشرة وهذا يبين أن الدهليز الذى وجدناه

---

(١) Archaeological Researches loc. cit. p. 105.

(٢) هذا هو الجزء الوحيد من كل أجزاء السور الشمالى الذى يحتفظ بالشرافات الأصلية التى ترجع الى عهد صلاح الدين فيما عدا اثنين أو ثلاثة بالجانب الشرقى للبرج الصغير القائم بين برج الامام وبرج الرملة (انظر فيما بعد) وبعض الشرافات المشوهة شرق برج كركيليان أما فى الأجزاء الأخرى يتراوح ارتفاعه بين مترين و ٤٠ر٢ من المتر ومزودة بفتحات مستديرة مصممة تصميما رديئا ويصعب أحكام التصويب فيها .

مسدودا على بعد عشرة أمتار إلى الشرق من برج العلوة والذى يعد استمرارا له يتجه إلى الشرق حتى يقطع جزء منه ليبنى العادل البرج العظيم المربع ، وهنا بنى درج صغير فى الممر تماماً كما وجدنا إلى الغرب من البرج الآخر .

وتنخفض أرضية الطابق السفلى بمقدار ٤٠ ر٦ من المتر عن أرضية أذرع القاعة المتعامدة التى تعلوه والتصميم متشابه غير أن مبانى الذراع (١) والحوائط أكثر تماسكا كما قل عرض الأقبية الأصلية بمقدار المتر . ويدخل المرء إلى الحجرات الموجودة بالركن الخارجى من الذراع الجنوبى بدلا من الذراع الشرقى والغربى كما فى برج الصفة (iii) ويوجد مزغل واحد بكل جانب من جوانب البرج الأخير ومزغلان فى الحجرات الجانبية . ومهما يكن من شىء فإن فتحة الضوء التى اعتدنا رؤيتها توجد فوق كل مزغل ، وارتفاع قبو الذراع الجنوبى هو ٢٣ ر٥ من المتر فهو والحالة هذه أقل ارتفاعا من قبو الطابق العلوى بمقدار ٢٥ سم (لوحة ٥ ج). ويهبط الدرج (G) المشار اليه سابقا والذى يقودنا إلى مشى الدروة إلى الحجرة (M) التى يمكن الوصول اليها من الذراع الغربى للقاعة المتعامدة . وقد اتضح أيضاً أن ثمة درجا ثانيا كان موجودا ويؤدى إلى خارج الحجرة ذات القبو المتعامد خلف طرف الذراع الشمالى وقد سقف الجزء الأسفل لهذا الدرج الصاعد إلى الجانب الأيسر بقبو اسطوانى أفقى فى حين يغطى الجزء العلوى سقف مستو يرتكز على طنف ثلاثى المداميك واجهته مائلة .

ويتضح هنا مرة أخرى أن هذا البرج قد وضع كركيزة فوق سور صلاح الدين ، مثله فى ذلك مثل برج الصفة . ونظرة نلقيها على تخطيط الطابق السفلى تدلنا على أن الحائط الموجود بالجانب الجنوبى للذراع المستعرض يسير موازيا للسور من الشرق إلى الغرب وثمة تأكيد آخر لذلك تمدنا به الحقيقة التى نستدل عليها من وجود انفصال بين مبانى البرج عند b_1, b_2, b_3, b_4 . وفضلا عن ذلك فإن الأحجار مملوءة بالنومولييت كما هو الحال فى الأجزاء التى ترجع إلى عهد صلاح الدين ، بينما يخلو منها الحجر المستخدم فى عهد العادل . وكان من الضرورى أن يقتطع ما يقرب من خمسة أمتار فقط فى سور صـــلاح الدين لإعداد مكان للذراع الجنوبى للقاعة المتعامدة التخطيط ، ومهما يكن من شىء فان تصميم الطابق العلوى لم يتأثر إذ تقع على مستوى ممشى الدروة الذى يرجع إلى عهد صلاح الدين .

وثمة مسألة هامة ألا وهى عدم وجود مخرج من البرج عند هذا المستوى ، ومع

(١) كان هذا الدرج مسدودا فى عام ١٩٢٣ ولا يمكن الوصول اليه فقـد سمحت الحوائط بتكوين دروة متماثلة .

Essai
de
Reconstitution
de la Citadelle
a l'époque de Makrizi
(Milieu du XVème siècle de notre ère)

AL MOUKATTAM

FOSSÉ

KALAAT AL DJABAL

TABAKATS (CASERNES)

KHATT SARIAT

AL KALAAT

MANEGE

LE CAIRE

FOSTAT

AQUEDUC (?)

MOSQUÉE DU SULTAN HASAN

شكل (٤) : قلعة الجبل عن كازانوفا كما تخيلها فى آيام المقريزى فى منتصف القرن ١٥ .

كل فإن المزاغل بالذراع الشرقى والغربى تدل على أن منسوب الأرضية قد ارتفع كما هو الشأن فى الأماكن الأخرى بالسور . فمثلا ارتفع المنسوب بمقدار ستة أمتار فى برج الصفة وبمقدار ٢٦ر٣ من المتر فى برج الإمام (شكل ٨ إلى آخره) .

وفى حالتنا هذه يجب أن يكون الارتفاع حوالى ٦ أمتار ، وهذا يعنى أن البرج المذكور كان من الممكن الدخول إليه من الممشى فقط وأن (D) قد عملت بها فتحات فى عهود حديثة عندما ارتفعت الأرض إلى المنسوب الحالى (١) ولم يكن من المستطاع الدخول إليه من الممر الموجود بالسور لأن نهايتيه كانتا مسدودتين . وبعبارة أخرى أن هذا البرج وبرج الصفة الذى ليس له مدخل على منسوب الأرض هو الآخر كانا من المبانى الصماء وأن كلا منهما يمكن الدفاع عنه وحده ضد قوة معادية وصلت إلى داخل السور لأن أى هجوم على طول الممر يتعرض للنيران الموجهة إليه من أعلى البرج .

وإذا صعدنا الدرج (J) إلى السطح نجد أنفسنا إزاء سور مستطيل أبعاده ٢٠ر١٥×٨٠ر١٥ من المتر مفتوح إلى السماء ويحيط به مجموعة من الحنايا ذات الأقبية الصدفية الشكل البالغ عمقها ٢٠ر١ من المتر ولها صنج مزررة تحمل المسطبة خلف الشرافات (لوحة ٥ جـ) وهذه الحنايا مزودة بمزغل أو اثنين أو ثلاثة وفى الحالة الأخيرة وضع مزغلان فى الأركان بطريقة شاذة وغريبة وهذا النظام لا نشاهده إلا مرتين فقط فى مكان آخر ببرج الصفورية بالقرب من النـاصرة (٢) وفى البرج الجنوبى الغربى لاستحكامات بعلبك (٣) ويدل موضع هذه المزاغل فضلا عن ذلك على أن هذا البرج قد صمم ليظل صامدا فى الدفاع حتى فى حالة اقتحام قوات العدو للسور نفسه .

ويقودنا درج بالجانب الشمالى إلى مسطبة نلاحظ عندما نرتقيها شيئاً طريفا وهو أن بعض الشرافات الأصلية قد بقيت بالجانب الداخلى (لوحة ٥ جـ وشكل ٣) فى حين أن الموجود منها بالبدنة الخارجية قد غطيت قمتها لتصبح صالحة لاستخدام البنادق غير أن الفتحات المستديرة رديئة التصميم لأنهـا مشوهة جدا ويصعب الإشراف منها . ويمـكن مشاهدة بقايا كوابيل السقاطات بالجزء البارز على كلا

---

(١) ثمة دليل آخر وهو أن أرضيته تعلو بمقدار ٩٧ سم عن الأرضية بدلا من أن تكون فى مستواها

(٢) Conder and Kitchener: Survey of Western Palestine p. 335-8

(٣) Kohl, Krencher and Reuther, etc., Baelbels III p. 64 and abl 54-5.

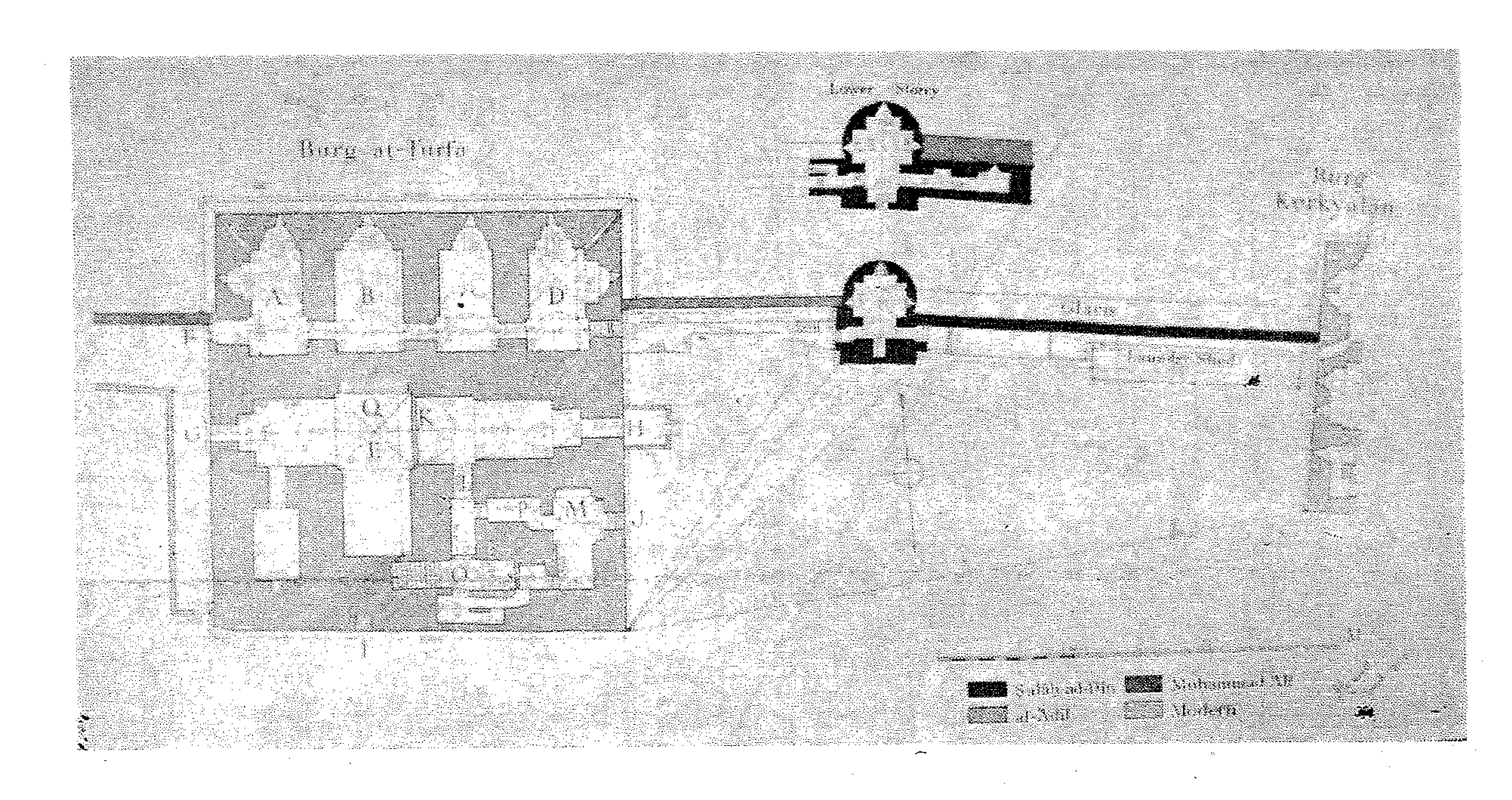
الجانبين من الخارج عند الركنين كما نشاهد بقايا اثنين آخرين على الواجهة الخارجية (لوحة ٤ ب) ويستدل من منسوبهما على أنهما كانا يستخدمان من المسطبة .

من برج كركيلان الى برج الطرفة :

عندما نترك برج كركيلان من الباب الشرقى نشاهد جزءا آخر من حائط السور يبلغ طوله فى الغالب ٣٠ مترا وهو كالجزء الأخير مدعم بدعامات ذات قمة منحدرة سمكها ٨٠ر١ و٧٥ر١ (لوحة ٢ ج ، ٦ ب) .

وقد أصبح ممشى الدروة الذى يبلغ عرضه ٩٠ر١ من المتر على مستوى منسوب الأرض الحالية . وبقيت بعض شرافاته الأصلية غير أنه قد عمل بكل منها فتحة لاستخدام البنادق كما سد الفراغ بينهما ويؤدى ممشى الدروة هذا إلى برج صغير نصف مستدير من النوع المعتاد وبه قاعدة متعامدة ، قبوها متعامد وبها ثلاثة مزاغل يسمح أحدهما برمى السهام إلى الأمام والآخران إلى الجانبين . ولكن إذا درسنا أبراجا سليمة بالجانب الشرقى سنذكر على الفور أن هذا البرج قد أصابه تشويه إذ ينقصه الجناح المشتمل على الدرج الصاعد إلى أعلى (انظر أجنحة الأبراج فى لوحة ٧ — ٨) وكذلك الدروة واستنتجت من هذا أن الجناح موضوع الدراسة كان على الجانب الشرقى ، معتمدا فى ذلك على تغيير وضع ممر الخروج الشرقى بجعله إلى اليسار ليمكن بناء حائط خارجى سميك نوعا ما يحتوى على الدرج كما هو الحال فى البرجين الآخرين الكائنين بين برج المبلط وبرج الإمام (شكل ٧) . وكتبت فى عام ١٩٢٤ أن الدرج الهابط إلى الطابق الأسفل كان موجودا هنا بلاشك غير أن أى أثر لمخرجه العلوى قد طمس وفى يناير ١٩٥٤ أزالت اللجنة أثناء أعمال ترميم القلعة الغطاء المسلح المشيد حول الجزء الأسفل من هذا البرج وشيدت مكانه مبان جيدة . وقد تمكنت بهذه المناسبة من دخول الطابق السفلى ووجدت أنه يشابه الطابق العلوى فيما عدا فارق وهو أن ممرا من النوع المعتاد يؤدى إلى الخارج فى اتجاه الشرق والغرب مارا بمزغل (شكل ٥) ثم ينتهى بمبان متماسكة على بعد ١٤ر٤ من المتر .

وقد أصاب الممر تشويه كما أوضحنا ليمكن توفير مكان للدرج الموجود بالجناح والذى لايزال باقيا منه عدة درجات كما رأينا . غير أن مبانى الممر ومدماك الكوابيل ذات الواجهة المائلة تنتهى على مسافة ٤ أمتار من قاعة البرج وتخلى مكانها لكومة من الأنقاض . ويوضح لنا هذا سبب نقصان عرض ممشى الدروة بمقدار ٣٥ر١ من المتر وبناء حائط عرضه ١٠ر١ من المتر أمام هذا الجزء . منتهيا من أعلى بشرافات



شكل (٥) : قلعة الجبل ـ برج كركيلان الى برج الطرفة

شكل (٥) : قلعة الجبل ـ برج كركيلان الى برج الطرفة

سمكها ٧٥ سم وقد أوضحنا الموضع الذى لابد أنه كانت تشغله دروة صلاح الدين بخط منقط . ويبلغ طول هذا الجزء من السور ١٥ر٧٠ من المتر ويجب أن نلاحظ أن الجزء الباقى التالى لبرج الطرفة ومقداره ٤ر٩٠ من المتر أكثر اتساعا ومن المفروض أن بقايا السور لا تمتد إلى هذا الجزء .

برج الطرفة :

تبلغ مساحة هذا البرج المتين (لوحات ٢أ ، ج ولوحة ٦ ج) ٣٠ مترا مربعا . وقد أصاب مبانيه بعض التلف مثله فى ذلك مثل برج الصفة وبرج كركيليان، وهو مشيد بالحجارة المسنمة ويتكون داخليا من جزءين مستقلين عن بعضهما دون أى باب يصل بينهما على ما هوظاهر . ويتكون الجزء الخارجى وهو الأصغر من أربع غرف كبيرة معقودة لرمى السهام (A, B, C, D) متوسط أبعادها ٧ر٢٠ × ٤ر٥٠ من المتر منظومة إذا صح القول على ممر يقطع البرج من جانب إلى آخر ، ولا بد أنه كان استمرارا لممشى الدروة (شكل ٥) ومع كل فإننا لا نجد حجرتين متشابهتين تماما . والحائط الخارجى سميك جدا لدرجة أن المزاغل عملت فى حنايا نصف مستديرة تسمح بالتحرك فى حرية كافية ويغطى كل مزغل قبو متناقص يشبه مصف مخروط قائم على جانبيه (لوحة ٥ أ) وهى من هذا الوجه تشابه تلك المزاغل الموجودة فى برج الصفة وبرج كركيليان، وثمة مزاغل فريدة فى نوعها على قدر ما يتخيل المرء عديمة الفائدة عملت فى الركنين الخارجين كما هو واضح، كما عمل مزغل فى كل جانب ، وعلى هذا نجد لدينا ثمانية مزاغل . ويختلف الجزء الخلفى لهذا البرج فى نظامه ، والميزة الواضحة فيه هى وجود قاعة فى الوسط متعامدة التخطيط أصابها بعض التشويه (١) ويستدق أحد أذرعتها نحو الغرب . وهناك ظاهرة أخرى شاذة هى عدد الأبواب إذ يوجد منها ثلاثة مستحدثة (F, G, H) وثلاثة أخرى يمكن التعرف عليها (I, J, R) ومن الممكن أن تكون هذه الأبواب جميعها فيما عدا البابين (F, R,) قد شيدت فى أزمان حديثة بعد أن ارتفع منسوب الأرض إلى مستواه الحالى إذ يوجد طابق سفلى لهذا البرج (لم أستطع دخوله) مثل برج كركيليان

---

(١) يتضح من التخطيط أن الجزء الذى يمكن أن يكون الذراع الجنوبى للصليب سد بحائط من الطوب (Q) وذلك يعكس ما كان منتظرا . والحائط الخلفى للحنية الثانية مشيد من حجر صلد كما هو ظاهر . وعلى ذلك فان الحائط المبنى من الطوب يجب أن يكون مجرد حائط لسد الحنية التى تقع عرضا على نفس محور الحنية وليس بحائط فاصل .

ويقع مدخله المسدود عند النقطة (S) كما يوجد بابان من نوع الأبواب المستخدمة عند الطرفين المتقابلين للحجرة الكبيرة الصلبة التى يقسمها فى الوقت الحاضر حائط من طوب مدهون بطلاء أبيض (K) إلى نصفين ويفتح من الذراع الشرقى حجرة ذات قبو اسطوانى أبعادها ١٥ر٥×٣٥ر٣ من المتر ويخرج من الذراع الأيسر ممر نادر معقود يقود إلى حجرة غير منتظمة الشكل (M) يغطى جزء منها قبو متعامد والجزء الآخر قبو اسطوانى ، وثمة حجرة مستعرضة (O) تفتح من الطرف الشمالى (L) وهنا نجد الدرج الصاعد إلى السقف .

وقد أزيلت تماما قمة البرج ولم يبق منها إلا مجرد سطح فسيح من الحصباء له دروة حديثة يتراوح سمكها من متر إلى ٣٥ر١ من المتر ، ومما لاشك فيه أنه كان ممرا للرمى فى صفين كما هو الحال فى قمة برج كركليان . ويجب علينا أن نلاحظ ظاهرة أخرى بهذا البرج وهى بروز ضلعه الغربى بمقدار ٩٢ر٦ من المتر ، وكذلك الضلع المقابل له بمقدار ٧٥ر٧ من المتر أى أن الوجه الخارجى للسور المتجه إلى الغرب يبرز بمقدار ٨٣ سم ، وتفسير هـذا هو أن السور قد تهدم ثم أعيد تدعيمه من أمام كما سبق أن رأينا .

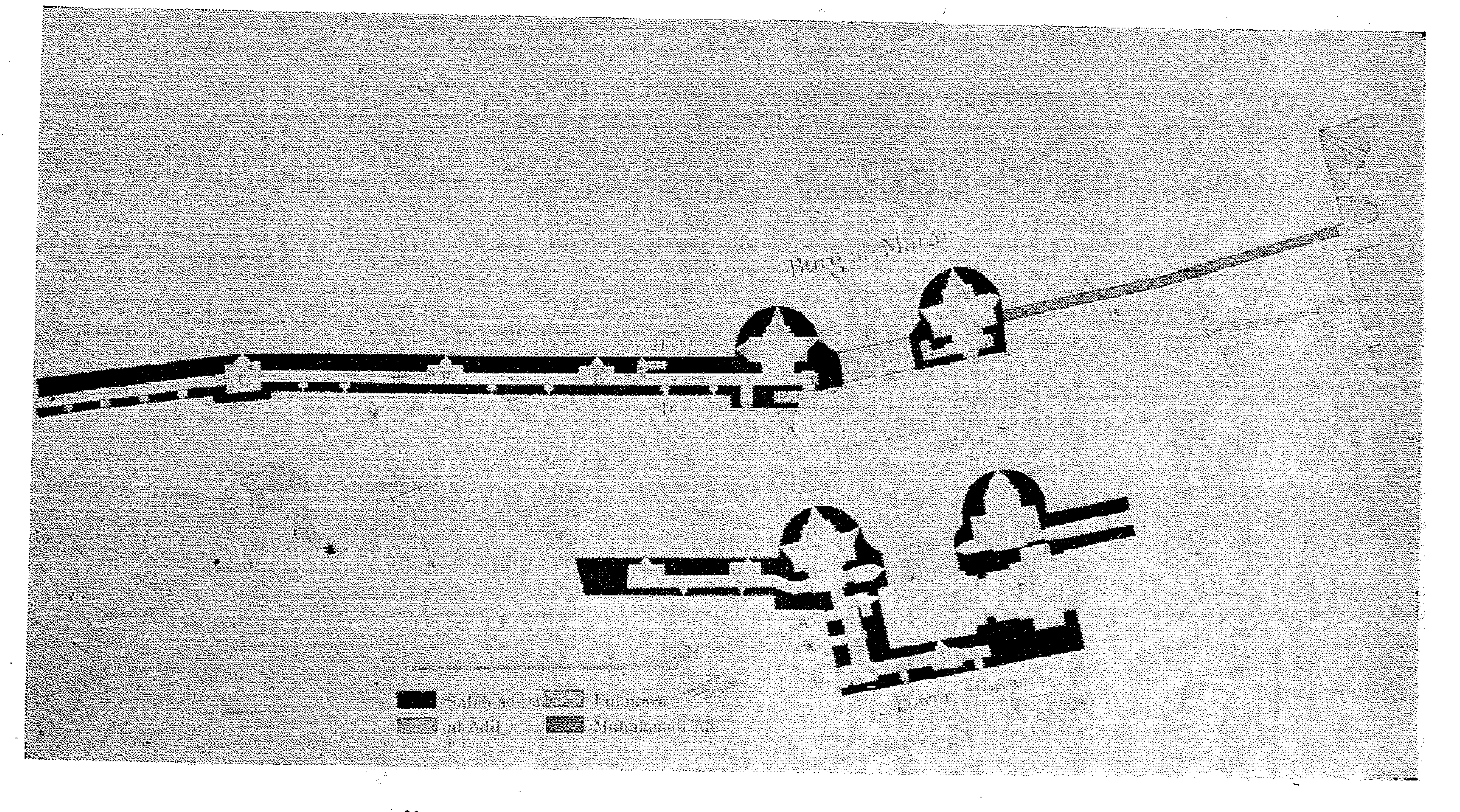
ويستمر السور إلى الشرق من هذا البرج لمسافة ٢٥ مترا ، وهو مشيد فى البداية بطريقة تشابه الأجزاء الأخرى التى سبق دراستها (شكل٦) أما العشرة الأمتار الأخيرة منه فقد أعيد تغطية واجهتها من الأرض ، ويرجع هذا العمل فى الغالب إلى محمد على استنادا إلى الدعامة الغربية . وإذا نظرنا إليه من الداخل (لوحة٥ جـ) إلى اليمين وجدناه عبارة عن حائط من المبانى ذات المزاغل المستديرة (أ) وبقايا ممشى الدروة (ب) الذى يعلو الآن بمقدار ٤٠ أو ٥٠ سم عن مستوى الأرض الداخلية وسمك هو ٨٠ ر٢ من المتر ممشى الدروة والدروة معا هو ٨٠ر٢ من المتر ونصل الآن إلى برج المطار (لوحة ٦ جـ) .

برج المطار : (١)

أطلق هذا الاسم الموجود بخريطة نابليون للقاهرة على زوج من أبراج نصف مستديرة ارتفاعها ١٥ مترا ويجاور أحدهما الآخر دون اتصال داخلى بينهما ، وهما

---

(١) هذا البرج كما يدل اسمه لابد أنه كان للحمام الزاجل المستخدم فى حمل الرسائل ، ويقرر المقريزى أن مكانا كهذا كان موجودا بالقلعة ويقول ان الرسائل كانت تكتب على ورق رقيق جدا ، وليس لها هامش . والألقاب التى يحتوى عليها البروتوكول عادة كانت تختصر الى أدنى حد ممكن وتربط الرسائل تحت اجنحة الحمام بخيط من الحرير ثم بالذيل فى وقت متأخر . وقد صحب الحمام الزاجل القوات المملوكية فى سوريا ولابد أنه كان ذا قيمة خلال حملات المغول عندما يحاصر العدو مدينة او عندما تصبح الحاجة الى الامداد ملحة لقوات المقدمة . وعندما تهبط حمامة تحمل رسالة لم يكن لأحد أن يفضها الا السلطان نفسه .



شكل (٦) : قلعة الجبل ـ برج المطار والطابق السفلى .. الخ

متشابهان فى الحجم والتصميم، ويتكون كل منهما من قاعة متعامدة ذات قبو متعامد مع مزغل أمامى واثنين جانبيين (شكل ٦) ولا تجد بداخل البرج ما يدل على أنه كان متصلا بالمسطبة المتجهة إلى الغرب لأن مبانى الجانب الأيمن عند A تدور دون انقطاع ولأن المداميك مستمرة . ولا يمكن للممر أن يؤدى إلى الخارج على اليسار لأن الخط المستقيم لمثل هذا الممر يشغله درج مسدود الآن إلى منتصفه ، ويصعد إلى السقف ويقضى هذا الدرج تماما على أى احتمال بوجود مخرج على هذا الجانب والبرج الثانى متداخل فى الحائط من جهة الشرق وهو متصل به كما هو ظاهر ، ولكن بالرغم من استمرار الدهليز لمسافة ١٫٧٤ من المتر جهة الغرب فإن ذلك يقصد إيصال الباب (ب) الى الفتحة • ويظهر أن الحائط عند نهاية هذا الممر أصيل متماسك لأن المداميك تستمر فى نفس المستوى فى جميع الاتجاهات وتدل على أن الجزء الأخير ليس سدا حديثا • ولا بد من وجود قاعة سفلى فى كل برج من البرجين اذ نشاهد من الخارج مزاغل مسدودة على ارتفاع ٦ أمتار من مستوى سطح الأرض الخارجية ولكنى لم أنجح فى الوصول اليها • وبين البرجين جزء صلد من مبانى السور (٢) طوله ٣٠٫٥ من المتر وسمكه ٢٫٥ مترا ولابد أن هذا الجزء متأخر فى الزمن لأن مبانيه مختلفة (١) ولأنه ينفصل تماما عن المبانى الموجودة على جانبيه (لوحة ٥ هـ)

=المقريزى الخطط جـ ٢ ص ٣٣١ ــ ٢ ترجمة كازانوفا المصدر نفسه ص ٥٩٦ ــ ٧ وملاحظة كرمير فى كتابه سلاطين المماليك جـ ٢ ص ١١٥ ــ ١٢٠
Hartmann, Politische Geographie des Mamlukenreichs Z.D.M.G., L. II, pp. 500-1.

(من كتاب فضل الله العمرى) فى مجلة Z.D.M.G. عن القلقشندى
Demombynes, La Syrie à l'Epoque des Mamelouks pp. 150-54

ويقول المقريزى الذى انتهى من كتابه فى ١٤٢٤ على ما يبدو أن مراكز الحمام اختفت تقريبا على عهده ولكن شيلتبرجر يشير اليها فى عهد برسباى (١٤٢٢ ــ ٣٨)
(Bondage and travels of Johann Schiltberger, Haklylut, Socy, p. 53. Pero Tafur in 1436-7 Travels and adventures, Lett's transl., pp. 68-9.

وأول ملاحظة قابلتها عن مراكز الحمام الراجل فى الاسلام هى الاشارة التى أوردها مسكويه من عام ٣١٥ هـ (٩٢٧ ــ ٩٢٨ م) طبعة
Amedroz and Margoliouth, text, I, p. 179). translation, IV, p. 202.

وثمة مثل مبكر واضح تمدنا به الحوليات السورية .
ترجمة Tritton فى مجلة الجمعية الآسيوية (J.R.A.S. ١٩٣٣ ص ٢٨١) ونعلم منها أن مراكز الحمام كانت تستخدم بوساطة فرقة التجسس الاسلامية عام ١٩٤٤ لامداد الأتابك زنكى بمعلومات عن ضعف أورفا •

ويقول جاسبار برناردينو Gaspar Bernardino الذى عبر الصحراء من مدينة مشهد الى حلب عام ١٦٠٦ أو ١٦٠٧ أن قائد القافلة كان يطلق حمامة كل يومين ليخبر اخوانه فى بغداد بسلامتهم Carruthers (D.) The Desert Route to India pp. XIX-XX

(١) متوسط ارتفاع المداميك ٣٩ سم وللكتل حواف مهذبة تحيط بسطح خشن هو فى الواقع بروز مزين •

وفى الواقع أن خط الاتصال قد فصل بشكل ملحوظ وإنى لغير قادر على إيضاح ما حدث ومع ذلك فإن كل شيء يدل على أن لدينا هنا بقايا باب بالرغم من صمت المصادر ، هكذا كتبت فى عام ١٩٢٤ .

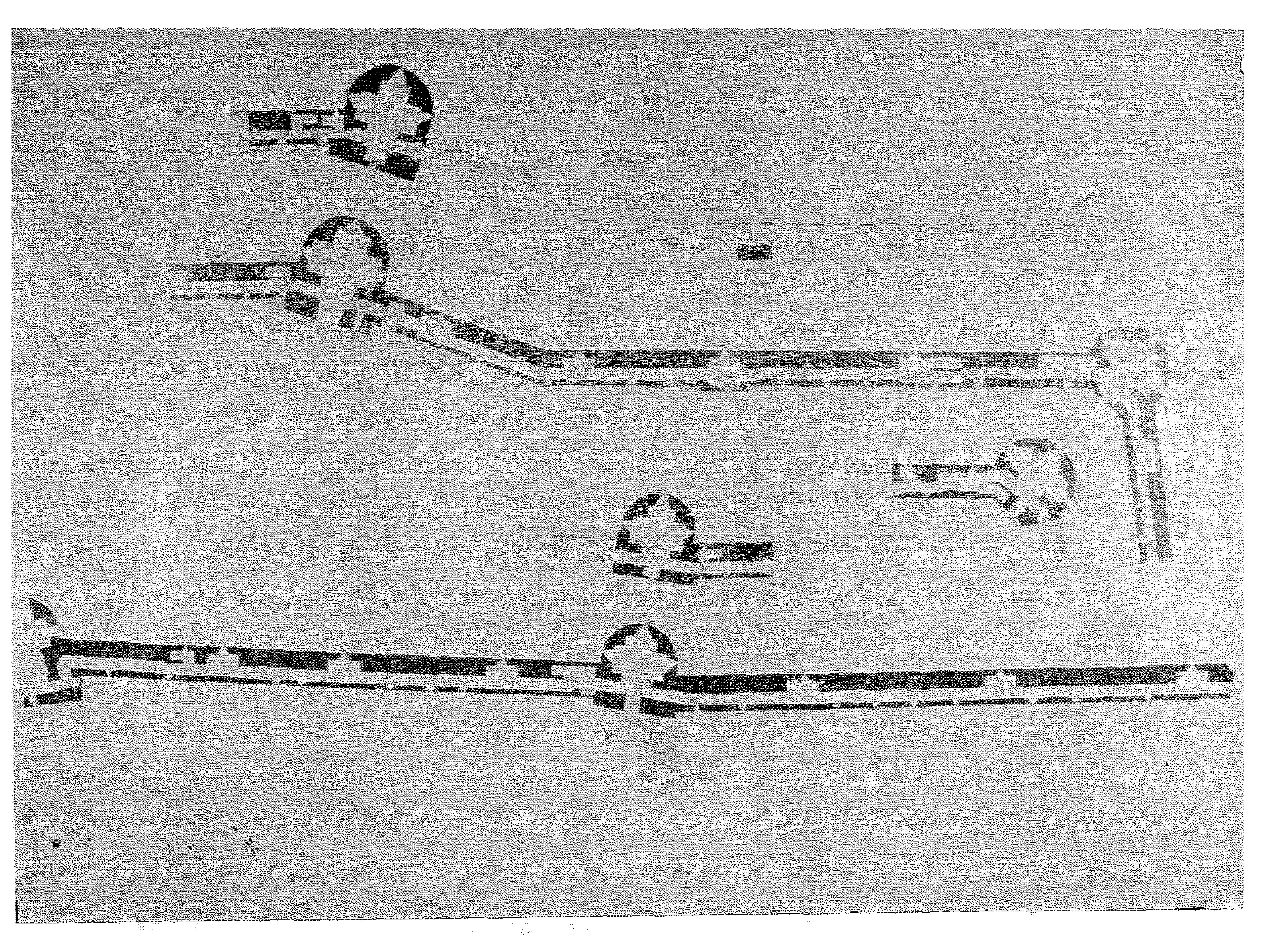
مدخل مزور يكشف عنه الحفر :

ومهما يكن من شيء فإنه بعد فترة قصيرة من نشر دراساتى الأثرية عن القلعة فى ذلك العام ، حصلت على سلم مرتفع ونجحت فى دخول القاعة السفلى للبرج الشرقى بحشر نفسى فى مزغل غير سليم ، وقد اتضح أنها تشابه تقريبا القاعة العليا فيما عدا أن لها مزغلا آخر ، ويؤدى دهليز مزود بمزغلين إلى الخارج على الجانب الشرقى كما هو الحال فى أعلى ، ولكنه يستمر لمسافة تقرب من ١٣ مترا فقط بسبب الصخر الذى يرتفع فجأة بمقدار ٨ر٥ مترا تقريبا (لوحة ٦ حـ) ويفتح باب فى الخلف على دهليز اتضح بعد تنظيفه أنه يدور على جانبى حفرة عمقها ٨ر٥ مترا ، مملوءة بالمخلفات (١) .

وقد نظفت الحفرة أخيراً واتضح أن أبعادها هى ٦ر٥×٤ر٥ مترا تقريبا ، وكشف بالجانب الغربى عن حنية معقودة عمقها ٩٣ سم بأعلاها مزغل لرمى القذائف وعن فتحة باب معقود فى الخلف عرضها ٢ر٨٠ م (لوحة ٦ أ) وفوق قمة العقد مباشرة جزء غائر السطح ومن الواضح أنه كان معدا لتثبيت نقش لا أثر له الآن . ويفتح المدخل المقنطر على ممر كبير ذى قبو اسطوانى طوله ٦ أمتار تقريبا وله حنيات عن يمين وعن شمال ليجلس بها الحراس ، ويؤدى هذا الممر إلى داخل القلعة على مسافة عدة أمتار أسفل المستوى الحالى للأرض . وبعبارة أخرى لدينا هنا مدخل مزور شبيه بذلك الذى سندرسه حاليا فيما عدا أنه ينعطف إلى اليسار بدلا من اليمين كالآخر ، ولقد سد هذا المدخل بحائط متماسك بين البرجين وربما حدث ذلك فى عهد طومان باى أو جانبلاط أيام التهديد العثمانى ، ويبدأ درج (S?) عند الفتحة التى أشرنا إليها ملاصقا لها ، ويأخذ فى الهبوط بمقدار ١٠ درجات ثم ينعطف بزاوية قائمة ، ونصل بعد ٩ درجات أخرى إلى غرفة للرماه أسفل المستوى الحالى للأرض بمقدار ٤ر١٠ م وهذه القاعة مزودة بمزغل ضيق يسمح برمى السهام فى اتجاه إلى أسفل محور المدخل المسدود ، ويصل بنا عدد آخر من الدرجات المغطاة بالمخلفات

---

(١) لقد امكننى حينئذ الوصول الى اتفاق موفق الكولونيل ستوكس Stokes كبير مهندسى تنظيف البئر كما وافق أيضا باتريكولو من لجنة حفظ الآثار على ترميم المبانى كانت فى حالة سيئة .



شكل (٧) : قلعة الجبل – برج المبلط الى برج الامام

إلى باب عند V يقع أسفل مستوى الأرض الحالية بمقدار ٦ أمتار على الأقل حيث يصعد درج إلى القاعة السفلى للبرج الشرقى . ويغطى هذه الدرجات سقف حجرى يرتكز على مداميك من كوابيل ماثلة الوجه ولكن لما كانت غرف الرماة أوسع بكثير فقد استند سقفها على ثلاثة مداميك بارزة من هذه الكوابيل .

ويدل الفحص على أن الفتحتين W_1, W_2 (فى شكل ٦) كانتا أصلا حنيتين هدم جدارهما الخلفى . ومن المحتمل أن نوافذ صغيرة كانت هنا شبيهة بهاتين النافذتين الموجودتين بالدرج الهابط غير أن مبانى هذا الجزء فى حالة سيئة جـدا . وبالإضافة إلى ذلك حدث هناك هبوط على طول ذلك الجانب إلى حيث توجد

وعندما نظف القبو الكبير ظهرت ثغرة بفخذ العقد الموجود بالجانب الجنوبى ومن خلاله أمكن الصعود إلى القاعة السفلى للبرج الغربى ، وبهذه القاعة مزغلان فقط أحدهما سده الحائط العظيم . ويقود دهليز السور إلى خارج الجانب الغربى ولكنه مغلق بعد ٥ أمتار .

ولا يجب أن نظن أن الجزء الخلفى لفتحة الباب المسامت الآن لمستوى الأرض كان على هذا النحو فى الأصل إذ لابد أنه كان برجا عظيما خاليا من الداخل يبلغ ارتفاعه ارتفاع البرجين الجانبيين مثل المدخل الذى سندرسه الآن ولا بد أن الدرج K الذى يؤدى إلى قمة البرج الشرقى ومن ثم إلى ممشى الدروة كان يفضى إلى حجرة بمستوى الأرض الحالى وقياسا على الباب الآخر لابد من وجود دهليز يعلو الدرج مزود بمزغل تطلق منه السهام إلى أسفل محور الفتحة المسدودة أيضا . ولا بد أن المزغل الموجود فوق فتحة الباب كان يستعمل من حجرة أخرى ومن هذا المزغل يمكن للمرء الذهاب إلى القاعة العليا للبرج الغربى . ولا بد أن قمة قبو هذه الحجرة كانت تتكون مسطحا مسامتا لقمة البرج الغربى .

ويتضح الآن أن الطريق الوحيد الصاعد إلى قمة الأبراج وممشى الدروة كان من الباب (V) إذ لايوجد درج مفتوح يهبط إلى الواجهة الداخلية للسور كما هو الحال فى الاستحكامات الفاطمية بالقرب من باب النصر وباب الفتوح . والمصعد الوحيد إلى ممشى الدروة بالسور كله هو الدرج الداخلى « بأجنحة » الأبراج وعلى ذلك فنحن إزاء مدرسة (أسلوب) للتحصينات تختلف عن أساوب المدرسة الفاطمية وسنشير إلى هذه المسألة فيما بعد .

من برج المطار الى برج المباط :

ونصل الآن إلى بداية جزء من السور فى حالة جيدة تماما من الحفاظ ويستمر دهليزه الداخلى دون انقطاع لمسافة ٦٥٠ مترا فيما عدا القطاعين يرجع أحدهما إلى أكثر من ثلاثين عاما ويبلغ سمك هذا الجزء من السور ٢٫٨٠ من المتر تقريبا ويتراوح عرض الدهليز الموجود بداخله بين — ٨٥ سم، ٩٣ سم ومتوسط ارتفاعه ٢٫٢٥ من المتر (لوحة ٦ب شكل ٦) . ويلاحظ أن السور قد زود على مسافات تختلف بين ٨٫٥ إلى ١٢٫٩ مترا بحجرات رمى السهام E, F, G ذات عمق كاف يسمح للشخص أن يرمى عن قوسه دون أن يعوق حركة الممر (١) .

والمزاغل ذات واجهة منحرفة جدا ويبلغ ارتفاعها ١٫٧٠ سم فهى أكبر بكثير من مزاغل التحصينات الفاطمية بالقاهرة (انظر الجزء الأول من كتاب العمارة الإسلامية الفصل ٩ — ١١) ، وفضلا عن ذلك فإنها مفتوحة عند مستوى سطح الأرض مما يساعد الرامى على الدخول إليها مباشرة ويصلى العدو بسهامه وهذا أمر يستحيل حدوثه مع النوع القديم منها ، ولذلك يجب اعتبارها

---

(١) تبلغ المسافة بين ظهر الممر الى حافة المزغل ٢٫١٠ من المتر تقريبا . ويحتفظ متحف القاهرة ببعض سهام قديمه تركية يتراوح طولها بين ٧٢٫٧٥ ، ٧٣ سم وسبعة سهام عثر عليها فولزنجر وواتزنجر بقلعه دمشق ومتوسط طول السهم ٧٣٫١٦ سم وتتفق هذه السهام مع طول السهم التركى الحربى الذى نراه فى أشكال نشرها Pyne-Galleway وهو ٢٨٫٥ بوصة (٧٢٫٥ سم) انظر كتابه
Projectile and Throwing Engines of the Ancients, Part II, pp. 7-8.
ومقاس القوسين اللذين حصل عليها كليومونت — جلينو — من القبة بقلعة بيت المقدس هى ٦٩٫٥ سم غير أنهمافقدا طرفهما المعدنى
Palestine Exploration Fund 2. st., 1902 p. 136
انظر أيضا Dupuis (H.L.), The Holy places (1856), II pp. 10-11
Beaufort (E.A.), Egyptian Sepulchres and Syrian Shrines (1860), II, pp. 168-9.
وهو أول من أشار الى الكشف عنها . وكذلك انظر
Sir Charles Wilson, Picturesque Palestine II, pp. 161-3.
الذى يشير الى الكشف عن عدد ضخم منها فى برج Hippicus منذ ثلاثين سنة مضت (١٨٥٠)
وقد حصل Hanauer بعد الحرب العظمى الاولى على ثلاثة قسى من قلعة دمشق ويقول ان طول كل منها هو ٧٠٫٥ سم بما فى ذلك طرفها غير المهذب P.E.F., 2, st. 1924. p. 69
وقد عثر Tyrwhitt Drake فى عام ١٨٧١ بقلعة حلب على أسهم أطول بعض الشىء ويقول انها تتراوح بين ٢٠ و ٢١ بوصة (٧٦٫٥، ٧٦) انظر Burton and Drake; Unexplored Syria, II, p. 187.
وعلى ذلك فان رامى السهم يحتاج الى ٧٣ سم فضلا عن ٤٥ سم هى طول ذراعه أو الى ١١٨ سم ليرمى السهم واذا طرحنا هذا من ٢٫١٠ سم يتبقى ٩٢ سم وهى نفس عرض الممر .

مرحلة متقدمة وهى بدلا من أن تغطى بقبو متناقص شبيه بنصف مخروط قائم على جانبيه قد غطيت فى كل حالة بعتب كبير يعلوه عقد مسطح تقريبا وضع بحيث تخفف الحمل عن الجزء الأوسط للعتب . ويجب على أن أذكر الحقيقة التى تقول إن هذا الوصف ينطبق على جميع المزاغل الموجودة فى : (A) الأبراج نصف المستديرة التى فرغنا توا من دراستها والدهاليز الخارجة منها (b) كل الدهليز الذى قلت إنه يستمر لمسافة ٦٥٠ مترا من هذه النقطة (C) جميع الأبراج نصف المستديرة التى يمر خلالها .

ويبلغ متوسط عرض الجدار الخارجى ١٫١٥ م والداخلى ٦٥ سم فقط . وبالأخير عدة نوافذ ، وسنلاحظ أنها وضعت بشكل يسمح بإضاءة المسافة بين حجرات الرماة التى تضيئها مزاغل وحدها إضاءة كافية والدهليز كله مسقوف ببلاطات من المحجر المتماسك ترتكز على مدماك من الكوابيل ذات الوجه المائل وفى قاعات الرماة انقصت الزيادة فى العرض بمدماك آخر من الكوابيل وزود المدماك الثـــالث بثلاثة أخرى (لوحة ٦ ب) نظرا لاتساعه غـــير العادى (٢٫٠٥ م) .

وبالقرب من مدخل هذا الدهليز حجرة صغيرة ضيقة (H) ولقد ظننت مرة أنها بداية دهليز ولما أنزلت الأرضية المكونة من أحجار الدبش إلى عمق قدم كان هذا كافيا ليرينا أن الحوائط الجانبية الموجهة لا تهبط إلى أسفل ومن ثم لم يكن الدبش سدا جديدا للفراغ وليس من شك فى أن هذه الحجرة كانت مرحاضا . ويختلف مستوى الأرضية قليلا وتهبط بصفة عامة بمقدار درجة عن أرضية كل قاعة ولكنها تصعد بعد الثانية بمقدار أربع درجات وتستمر عند هذا المستوى .

برج المبلط :

إن البرج الموجود بالركن وأعنى برج المبلط يشابه البرج التالى للمدخل فيما عدا أنه منحرف (١) ليسمح برمى السهام فى اتجاه أمامى نحو الواجهة الجنوبية والشرقية (لوحة ٦ جـ ، ٧ أو شكل ٧) .

وكان الوصول أصلا إلى ممشى الذروة التى تعلو عن المماشى الموجودة إلى

---

(١) ومهما يكن فان محاوره كما ترى فى التخطيط (شكل ٧) لا تشطر تماما الزاوية التى تتكون مع السور .

القرب من برج المطار بمقدار ٥ أمتار عن طريق درج عند (K) (شكل ٦) غير أن مدخله مسدود ويصعد المرء الآن بسلم خشبي مثبت بالجانب الشرقى للبروز الطفيف . ولا نرى شرافات ولكن نشاهد دروة بها فتحات مستديرة لاستخدام البنادق وهى مشوهة جدا ورديئة التصميم تشابه فى ذلك الدروة الموجودة بأعلى برج كركيليان . وتعلو قمة الدروة بمقدار ١٦ر٨٠ من المتر عن النشز الصخرى الذى يبلغ ارتفاعه هو نفسه ٩ أمتار ، ومما لاشك فيه أن هذه الدروة ترجع إلى عصر محمد على ، وقد فقدت كل الأبراج نصف المستديرة شرافاتها أيضا . وتوجت من جديد بدروة من نفس المبانى ولكن عملت بها فتحات للمدافع .

ومن الممكن المرور ودخول الطابق العلوى للبرج الكائن بالركن ، ويتضح من فحص الجزء الداخلى أنه مشابه للطابق السفلى (شكل ٧) وبمرورنا منه نجد درجا يصعد بانحراف خلف البرج إلى القمة ونجد عن يميننا قبل خروجنا مباشرة فتحة باب مسدودة ولا بد أنها كانت تفتح على درج يهبط إلى الدهليز السفلى للواجهة الشرقية ، وسنرى أن مثل هذا الاتصال الداخلى موجود ملاصق للجانب الشرقى لكل قاعة برج ؛ وقد عملت السدة من مبان جديدة وهى تتميز عن غيرها بنحتها الذى تم بوساطة آلة مسننة كما هى العادة التى لاتزال متبعة إلى الوقت الحاضر . وقد رمم جدار الممر الواقع إلى اليمين فى الوقت نفسه ونرى فقط حد فتحة الباب بالجانب الأيسر عند القمة أما بالجانب الآخر فنجد السدة المميزة مع الحائط الجديد المواجه لعدة أمتار .

لقد حدث بالقلعة فى أزمان حديثة أن سد عدد كبير من الأبواب إلى آخره بمبان غير جيدة من الدبش ، ولكن المثال السابق له صفة مختلفة تماما . ويمكن أن نجد بعض أجزاء من مبان جيدة من حجارة منحوتة فى دهاليز السور وفى الأبراج ولم يوجد هذا النوع من نحت الأحجار على قدر خبرتى ، بالقاهرة إلا بعد الغزو التركى ، وهذا يدل على أن القلعة قد اعتنى بترميمها خلال العهد التركى بالرغم من صمت المصادر الظاهر ، وقد غطيت فتحات الدخول والخروج من هذا البرج بعتب من كتلة عاتقة مفرغة من أسفل .

علينا أن نعود الآن إلى القاعة السفلى ، وسنلاحظ مرة أخرى عند دخولنا إياها أن ممرا مشابها يخرج منها عند الجانب المقابل . وبعد عشرة أمتار يهبط هذا الممر عدة درجات (شكل ٧ عند A) وعلى مسافة عدد من الأمتار بعد ذلك نجده

مسدودا . وسبب هذا واضح إذ اختفت مداميك الكوابيل بالجانب الأيسر . وهبطت قليلا بلاطات السقف الثقيلة وبنى حائط رفيع من الدبش أمام الجانب الأيسر ليحمل الطرف الساقط من بلاطات السقف . أما الممر فقد سد بالدبش من باب الاحتياط .

غير أن ثمة ظاهرة محيرة تصادفنا هنا وهى أن ارتفاع هذه المسافة القصيرة من الممر ضعف الارتفاع العادى تقريبا . ويتكون عند الخلف أى الطرف الشمالى من طابقين تتكون أرضية العلوى منهما من بلاطات الممر الهابطة من سقف الممر الذى يبدأ بعد هبوط عدة درجات كما سبق القول ؛ ونصل إلى المستوى العلوى بصعود عدد من الدرجات موضوعة على الجانب الأيمن للممر الذى يتسع عند هذه النقطة اتساعا زائدا ملحوظا . وعندما نصعد هذه الدرجات المحطمة نصل إلى بداية ممر على طوله مترا أو ما يقرب من ذلك وينتهى فجأة بجزء من حائط أملس فى حالة جيدة ، ومهما يكن فهو ليس عملا أصيلا إذ أنه يتميز بالنحت التركى المشار إليه من قبل ، ولا تتفق مداميكه مع مداميك الحوائط الجانبية تماما ، ويتفق مستوى هذا الممر العلوى مع مستوى الدهليز الداخلى للجزء التالى من السور الذى يجرى على مستوى أعلى قليلا من مستوى الجزء الذى فرغنا من فحصه ، وفى أعلى الذروة نجد أن اختلاف المستوى قد حدث فى مكانين : (ا) بأربع درجات عند مدخل البرج . (ب) وبدرجتين تتوغلان فى الفتحة بالجانب الشمالى ج . وعند تخطيط هـذا كله يتضح أن المسافة بين واجهة حائط السده ونهاية الممر فى الخلف تزيد عن ٤ سم تماما .

ولكن إلى أين يؤدى الممر السفلى ؟ إن المرء يميل من أول نظرة إلى الاعتقاد بأنه يؤدى إلى دهليز سفلى موجود بالسور الشرقى ، ومع ذلك فإن مزاغل الدهليز العلوى الذى سندخله حالا يقل ارتفاعها بمقدار ٤ سم عن حافة الصخر كما نشاهد فعلا من البرج التالى . وبالرغم من أن هذا الأمر يسمح بوجود مكان للدهليز الأسفل فإن المزاغل الضيقة ستنفتح فى هذه الحالة على مستوى الصخر مما يدعو المرء إلى تنحية هذه الفكرة .

وثمة تفسير آخر يفرض نفسه وهو هل يرتد الدهليز على نفسه أسفل الدهليز الذى مررنا منه للتو ؟ لقد رأينا دهليزا سفليا يوجد أسفل النصف الغربى منه على الأقل .

وبالرغم من أنه لايوجد عمق أكثر من هذا خلال مسافة العشرين مترا الأولى من النهاية الشرقية عما هو موجود فى الجانب الأخر للبرج فإن الاعتراض الخاص بانخفاض لا ينهض هنا لعدم وجود حافة الصخر لأن الوجه الأساسى للنشز يتسامت مع السور (لوحة ٦ أ) ولكننا كنا متسرعين للغاية . ونجد نفس الظروف فى المسافة الأولى المواجهة للشرق حيث لاتوجد غير حافة عريضة من الصخر تركت بين قمة النشز والسور وذلك عندما نصل إلى برج الأول (لوحة ٦ جـ ، ٧ أ ، ب) وعلى ذلك فمن المسموح به أن نعتقد أن الممر المسدود يستمر وكأنه دهليز سفلى يذهب بعيدا حتى البرج التالى . ولسوء الحظ لا يمكن فحص الواجهة الخارجية للحائط والمزاغل التى ربما كانت موجودة به لأنها مغطاة بطبقة سميكة من الأسمنت بارتفاع يزيد عن ثلاثة أمتار (١) .

ولا يزال هناك احتمال آخر . فإن الشمال من هذا الركن مباشرة نجد برجا غريب الشكل نصف مستدير متماسكا صلدا مشيدا على سطح الأرض ويكاد يعلو ارتفاعه عن قمة النشز فقط (لوحة ٦ جـ ، ٧ أ) ويتضح من مبانيه أنها ترجع إلى العهد التركى المتأخر وكما يتضح ذلك من أدلة أخرى . فهل يهبط بنا هذا الممر إلى مخرج سرى أغلقه الآن هذا البرج الصلد ؟

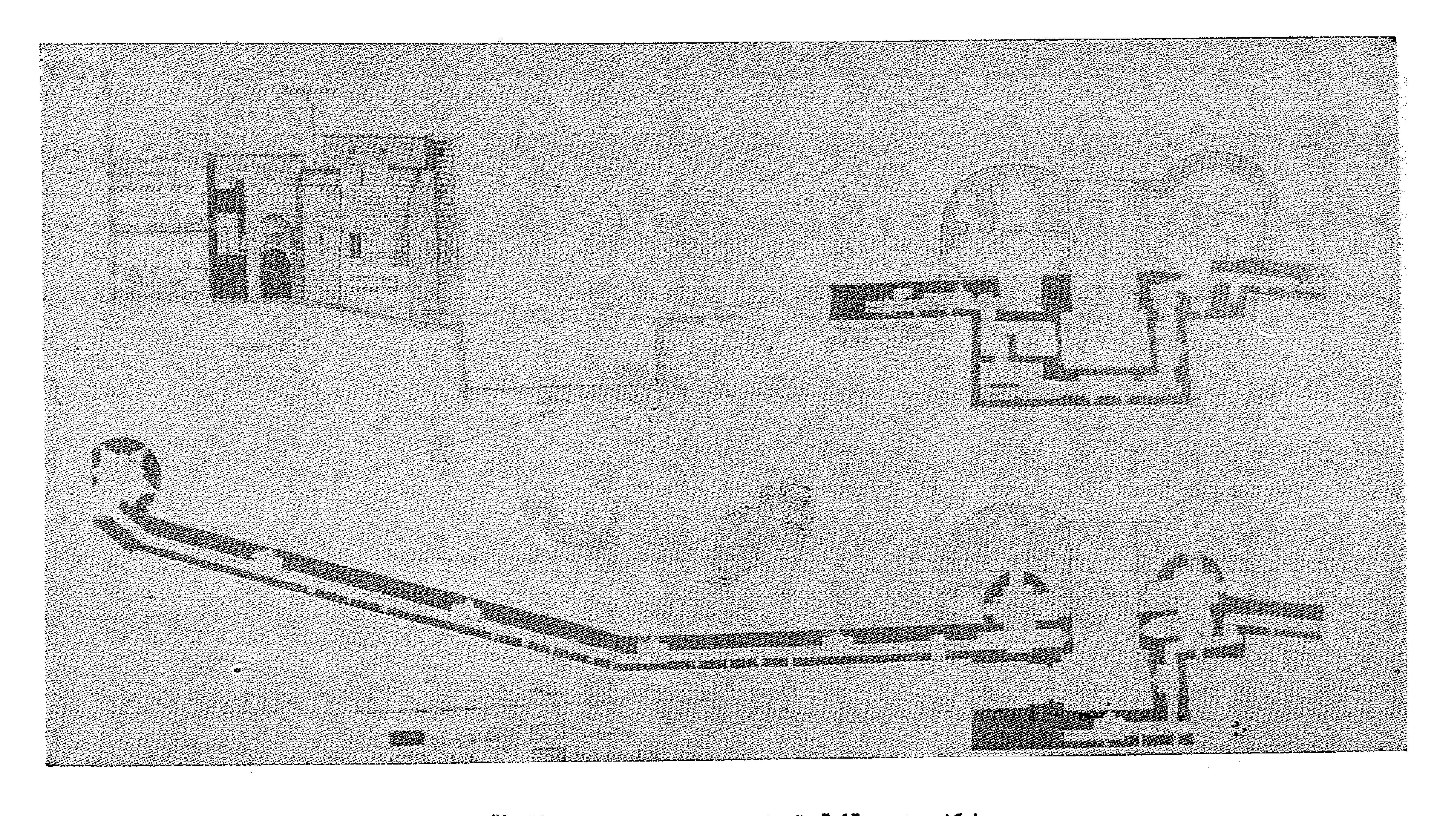
من برج المبلط الى برج الامام :

هذا الجزء من السور البالغ طوله ١٧٥ مترا يدعمه برجان فى الوسط (يسمى أحدهما برج المقوصر) يقسمانه إلى ثلاثة أقسام أطوالها هى ٥٥ ، ٥٣ ، ٤٣ مترا على التوالى (لوحة ٧) .

وهو يشبه هذا الجزء الذى درسناه الآن . فسمك الحائط وعرض الدهليز وشكل المزاغل والنوافذ بالجانب الداخلى التسقيف ببلاطات من الحجر ذى السطح المستوى المرتكز على مدماك من الكوابيل المائلة المستمرة ؛ كل هذا متشابه فى الجزءين والاختلاف الوحيد بينهما نجده فى سقف قاعات الرماة الأربعة الأولى الموجودة فى الطرف الجنوبى (G, H, I, J) إذ غطيت هنا بأقبية اسطوانية

---

(١) وهناك تفسير لهذه الظاهرة . فى عام ١٨٨٩ ساعدنى الحظ على رؤية العرب وهم ينزعون آمنين كتلة ضخمة من الحجر لتكسيرها الى حصى صغير وينقلونها لمسافة بضع خطوات من هنا وبعد ذلك مع سوء الاستعمال هذا وغطيت الأجزاء التى ظهرت بأسمنت متماسك أكسبها شيئا من المنظر الجميل ؛ ولكنه يحافظ على بقايا قلعة صلاح الدين القديمة (انظر كازانوفا القلعة ص ٥٤٤ وما بعدها)



شكل (٨) : قلعة الجبل ـ برج الامام (باب القرافة)

بدلا من السقوف المستوية كما تكون محاورها زاوية قائمة مع الحائط (شكل ٧) وكذلك تتشابه الأبراج فكل منها يتكون من طابقين من قاعات متعامدة التخطيط بها ثلاثة مزاغل أحدهما يسمح برمى السهام إلى الأمام والآخران جانبيان ويتصل بكل منها على مستوى الدروة ممر قصير (K, L, M) وهو الذى يكون كما يقال سورا من طابقين لمسافة ٧ أمتار أو ما يقرب من ذلك . أعد الدرج الصاعد إلى قبة البرج فى هذه الأجنحة وقد ملىء الدرج الموجود فى البرج القائم بالركن والذى يصل الدهليز بالدروة بالدبش ولكنه سليم فى البرج الثانى ومهدم فى البرج الثالث وأغلق طرفه العلوى . وثمة درج رابع (Q) سليم تماما يصعد خلال أرضية الدروة لمسافة عدة أمتار قليلة الى الجنوب من برج الإمام . وهناك زوج من الحنيات القليلة العمق عند طرفى هذه الممرات العلوية (شكل ٧) ويفتح منها إلى الخلف الأبواب المزدوجة التى تفصل الأبراج عن الدروة وفوق كل جانب فتحة مربعة لوضع عرق من الخشب كان بها محور الباب وفى الدهليز من أسفل حنيات مشابهة تدل على أنه كان فى الإمكان فصلها الى أجزاء مستقلة .

ويتراجع بعد البرج الأول النشز الصخرى المسامت فعلا للسور عند الركن تاركا حافة متوسط عرضها ١٠ أمتار حتى يكاد يقترب من برج الإمام حيث ينتهى فجأة وتنعطف حافته إلى الداخل ويختفى أسفل منحدر من الأنقاض (لوحة ٧ ب ، ٨ أ) (١) .

برج الامام مدخل آخر مزور :

ونصل إلى برج الإمام وهو عبارة عن برج عظيم مزدوج ابعاده ٧٠ ر٢٨ م عرضا و ٧٠ر٢٠ من المتر عمقا وكانت قمته قبل أن أقوم بتنظيفه بفضل معونة اللجنة فى عام ١٩٢٣ (٢) عبارة عن سطح من الحصباء ولم تكن هناك أية إشارة تدل على أنه كان بابا للقلعة وقد دعم البرج فى وقت متأخر ثم أتلف عمدا فى عهد متأخر وسد وملىء بالأنقاض .

ويمر المرء اليوم من الدهليز الموجود بالسور إلى قاعة ذات قبو اسطوانى (B) يبلغ طولها حوالى ٧ أمتار وتقع على زاوية قائمة من السور (شكل ٨) وعلى اليسار

(١) بعض هذه الأنقاض عبارة عن مهملات قذف بها من المزاغل المجاورة عندما نظف الدهليز والابراج ولكن بعضها كان موجودا فعلا وهى بلا شك ترجع الى البقايا التى سقطت من أعمال البنائين بالدروه من وقت لآخر .

(٢) انظر للمؤلف Archoeological Researches pp. 150-55

حنيتان مقبيتان (C, D) مزودتان بمزاغل موجهتان إلى المسافة المحصورة بين البرجين . وإذا خرجنا عن طريق الممر المزور نصل فى الحال إلى قاعة الرماة (G) التى تشابه تماما قاعات السور . و ينعطف الممر ويقودنا إلى حجرة رماة أخرى (H) صممت بحيث تسيطر على المسافة بين البرجين . ونصل بعد ذلك إلى درج تقسمه بسطتان إلى ثلاثة أقسام ، ويصعد إلى ذلك الجزء الذى كان يوما ما الطابق الثانى غير أنه مكشوف اليوم إلى السماء . وقد غطى الدرج بسقف من جزءين على مستويات مختلفة . ومكون من كتل حجرية موضوعة على مدماك من الكوابيل المتصلة المائلة الوجه . ويغطى الدهليز بين « H, G » بنفس الطريقة وغطى كل مزغل من المزاغل فى H, G, D, C بعتب يعلوه عقد عاتق ، وبعبارة أخرى لدينا هنا كل مميزات أعمال صلاح الدين ، فى حين أن المبانى الخارجة (لوحة ٧ب) مسنمة وتشبه فى ذلك برج الصفة و برج كركيليان وبرج الطرفة و برج الرملة وبرج الحداد .

وعندما نصل إلى قمة هذا الدرج يمكننا النظر إلى أسفل ، إلى الساحة المحصورة بين البرجين ، وملاحظة بداية القبو الكبير الذى يغطى مساحة المدخل M بينهما . وكان لهذه الساحة قبو متعامد فى الوسط وآخران أسطوانيان عند الطرفين ، وقد سقط القبو غير أن جزءا من بدايته يبلغ المتر لا يزال باقيا . وكذلك أطراف القبو المتعامد على جانبى البرجين وثلاثة صنج كبيرة من صنج العقد الموجود بالطرف الداخلى للقبو لا نزال ملتصقة بعضها ببعض وقد ظهر كل هذا أثناء رفع الأنقاض (١) وعند الطرف الداخلى لهذه الساحة المعقودة توجد مساحة (س) أبعادها ٥٠ر٤ × ٥٠ ر٧ م على وجه التقريب مكشوفة إلى السماء ولا بد أنها كانت تكون نوعا من جب يتحكم فيه من أعلى . وتقابل ذلك الفناء المسمى **propugnaculum** فى البوابات الرومانية (٢) ، وكذلك يمكننا رؤية قمة البرج الموجود إلى اليسار وسمته الأساسية هى القاعة المتعامدة التخطيط التى كانت ولا شك ذات قبو متعامد فى الوسط و أقبية

---

(١) مقياس كل صنجة ٧٥ سم عرضا ، ٣٨ر٣٧ سم طولا عند الطرف الخارجى والداخلى على التوالى .

(٢) تتكون البوابات الرومانية المحصنة بصفة عامة من مدخل خارجى وآخر داخلى وبينهما وعلى المحور نفسه فناء يسمى Propugnaculum ولا تزال بقايا هذه البوابات موجودة فى قصر الشمع بالقاهرة ومهما يكن من شىء فان هذه البوابات كانت معروفة فى عصور مبكرة جدا فقد عرفت مثلا فى خور ساباد بأحد الأبواب التى عثر عليها فى مكانها (انظر
Perrot et Chipiez : Art in Chaldaea and Syria, I, Fig. 90.
وفى باب عشقار بابلون (انظر الترجمة الانجليزية الفصل السادس من
Koldewey : The Excavations at Babylon.
وفى باب قلعة سنجرلى الحثية انظر
Von Luschan, Ausgrabungen in Sandschirli, pp. 111, 307 Talf X-XIV
Bell (Edward), Early Architecture in Western Asia pp. 77 and 90-91

اسطوانية بالأذرع غير أنه لم يتبق آثار لهذه الأقبية . وتتحكم حنية مزودة بمزغل تشرف على مساحة المدخل الكبيرة المعقودة وثمة مزغل آخر ترمى منه السهام إلى الأمام ومزغلان آخران فى اتجاه السور لتسديد النيران الجانبية ، ويقود ممر إلى ممشى الدروة عن طريق عدد من الدرجات عند Q ويوجد درج عند (R) ولا بد أنه كان يصعد إلى السطح الرئيسى فوق الأقبية التى كانت تغطى يوما هذه الحجرات فوق الساحة العظمى للمدخل .

وإذا سرنا حول الجانب الآخر حيث يوجد ممر مسقوف أمكننا رؤية حنية معقودة عمقها ٧٥ سم عند L ، وعند ظهرها بوابة تفض إلى داخل السور . وكل من الحنية والبوابة مغطى بعقد مدبب ذى صنج طويلة وكانت صنج الحنية مزرة . وهنا ظاهرة ملحوظة وهى أن حافات صنج عقد البوابة مشطوفة ويبلغ طول هذا الشطف سنتيمترا ونصف السنتيمتر وهو أسلوب نجده فقط فى أحد الأماكن بالتحصينات الفاطمية بالقاهرة (انظر كتاب العمارة الإسلامية ج ١ ص ١٦٨ ولوحة ٥١ ب) (١) .

وبالحنية الموجودة فوق المدخل المعقود جزء مستطيل غائر ولا بد أنه كان يحتوى على بلاطة بها نقش اعتمادا على السطح المكسور ولسوء الحظ لم يبق لهذه الكتابة أثر (لوحة ٧ ج) (٢) .

---

(١) هذا أمر نادر فى العمارة الاسلامية بسورية فهى قاصرة غالبا على قدر معلوماتنا على أعمال نور الدين وفيما يلى قائمة بأمثلة معروفة لى كلها بمدينة حلب : جامع الشامية ٥٤٥ هـ (١١٥٥م) ، مدرسة خان التتون ٥٦٤ هـ (١١٦٨ – ٩م) ، مارستان نور الدين ٥٤١ هـ ٥٧٠ – (١١٤٦ – ٧٦م) ، مدرسة شاد بخت ٥٨٩ هـ – ١١٩٣ م . وقد لفت نظرى مسيو دى لورى الى مثل غير مؤرخ موجود بدمشق .

(٢) كان اختفاء هذه البلاطة أمرا غير سار بالمرة وكان يحدونى أمل كبير فى العثور عليها بين الانقاض التى كانت تملأ مساحة المدخل الكبرى ولكنها لم تظهر . ويقول فان برشم فى ملحقه لجامع الكتابات العربية عن مصر ج ١ ص ٧٢٦ – ٧ ان مستر لين بول عثر بين أوراق عمه و ١٠ . لين على صورة لنقش له سمح له بنشره هنا ويتكون من خمسة أسطر يحتمل أنها من النوع نفسه الموجود وحروف النقش نفسها المنشور تحت رقم ٤٩ غير المؤرخ « لقد أمر ببناء هذا الباب المبارك والسور الملاصق له الملك الناصر الذى وحد كلمة المؤمنين وهزم عبدة الصليب ، صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذى الذى أحيى سلطان الخلافة فى شهور سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ – ٨١م) . ويلاحظ فان برشم أن عبارات النص وقرب التاريخ تثبت أن هذا النص يصف أحد أبواب السور الذى بناه صلاح الدين بالقاهرة حيث أمكن للين بول أن يكشف عنه وربما فى موضعه خلال رحلته بهذه المدينة . فهل يمكن أن يكون هو ذلك النص المفقود ؟ ربما أنه حفظ فى قصر محمد على ونسخه لين ؟ لقد استمرت أعمال صلاح الدين بالقلعة من ٥٧٢ (١١٧٦ م) الى ٥٧٩ هـ (١١٨٣ – ٤ م) ولذا ربما كان عام ٥٧٦ هـ هو التاريخ الذى انتهى فيه من هذه البوابة اذ نظرا لأنها تفضى الى الفناء المكشوف لا شك أنها كملت قبل باب المدرج الذى يصل القلعة بالمدينة .

وتفضى البوابة أولا إلى قبو عرضه ١٨ ر٣ م وطوله ٥٦ر١ م والذى كان الباب يفتح نحوه ولا شك ، وبعد ذلك نجد قبوا اسطوانيا عرضه ٧٥ ر٣ م وطوله ٥٥ ر٥ م تقريبا وطرفه الأقصى مسدود (١) ولكنه يظهر فجأة خلف السور المتجه شمالا . ويرتفع مستوى سطح الأرض داخل القلعة عند هذه النقطة بمقدار ٥ر٥ مترا عن عتب البوابة الكبرى وبمقدار ٢٦ر٣ م عن عتب Z ونجد إلى يسار الممر المعقود وإلى يمينه حنية عميقة يعلو عتبها عن سطح الأرض بمقدار نصف المتر ومما لاشك فيه أنهما كانتا مسطبتين للحراس يجلسون عليهما .

ويمكن ملاحظة ظاهرة فريدة وهامة عند M وهى عبارة عن انفصال رأسى فى المبانى بكلا الجانبين عند b, b' ويرتفع هذا الانفصال من القاعدة إلى الطابق العلوى وهو كامل بحيث يمكن أن تدخل عصى عند b' من جانب إلى الجانب الآخر ولكن ما هو أكثر أهمية من كل هذا هو القاعة السفلى بالبرج الأيسر التى تزودنا بمفتاح تاريخ هذا التكوين كله .

هذه القاعة التى يمكن دخولها الآن إما من الممر الموجود بالسور عند M أم عن طريق المزغل المتسع تدل على أن الباب قد أصابه تعديل يشابه التعديل الذى سوف نجده عند برج الرماة وبرج الحداد . ونجد أنفسنا عندما ندخل فى قاعة صغيرة من نوع مماثل لما رأيناه فى الأبراج نصف — المستديرة للسور ومع كل فان الجزء الأوسط للقاعة له قبو اسطوانى وعلى اليمين واليسار حنية معقودة لابد أن كلا منها كان يعاون مزغلا ترمى منه السهام جانبيا ، وقد قطع الحائط الخلفى للحنية الشمالية ويمكن المرور من الفتحة إلى قاعة أخرى مزودة بمزغل من النوع الذى قابلناه فى أعمال العادل ، وكذلك قطع الطرف النهائى للقاعة ذات القبو الاسطوانى وعلى ذلك يمكننا المرور إلى H وإذا انعطفنا عند دخولنا أى قاعة من هذه القاعات نلاحظ الوجه المقوس للبرج الداخلى تماما كما سنرى فى برج الرملة وبرج الحداد . وعلى ذلك يكون العادل قد دعم الأبراج الجانبية لهذا الباب بالأسلوب نفسه المستخدم فى برج الحداد وبرج الرملة . وقد حصلنا على تأكيد تام لوجهة النظر هذه عند تنظيف الطابق العلوى بكل برج وذلك عند ما ظهر الطرف العلوى للبرج الداخلى كأنه أكبر من نصف دائرة (f, f') بمقدار ١٥ سم أو ٢٠ سم أعلى الجزء الواقع أسفل منه . وعلى ذلك لابد أن السلطان العادل أزال الجزء العلوى للبرجين

(١) يجب أن يكون سمك هذا الحائط حوالى ٧٠ سم .

الذى يرجع إلى صلاح الدين ، وأضاف الجزء الخارجى وفشل فى رفع الأرضية التى كانت جزءا من أرضية الطابق العلوى إلى مستوى الطابق المطلوب تماما . وقد ظهرت نفس نصف الدائرة المرتفعة بعد أن نظفت أرضية البرج الأيمن كلية غير أن تصميم هذه الأرضية قد كشف جزءا منه فقط واختفى تماما الجزء المتقدم منها ، وليس من السهل المرور من القاعة الواقعة أسفل ذلك إلى الحجرتين الخارجيتين بالرغم من تشويه المزاغل وتحويلها إلى أبواب لأن الفتحات سدت بقطع كبيرة مربعة تقريبا من الأحجار دون ملاط . ولا يمكننى أن أقول ما إذا كان ثمة حجرة توجد أسفل ذلك أو أن الفراغ قد ملىء بقطع الحجر ، ولكن اختفاء أى دليل لمزاغل من الخارج يشير إلى النتيجة الأخيرة ، ولا يزال ظاهرا العتب المقوس بالحنية الشمالية كما فى البرج المقابل . فى أى وقت سد هذا الباب الرائع ؟ كان هذا الباب مفتوحا أيام المقريزى بالرغم مما ذكر عن ندرة استخدامه وصعوبة الوصول إليه ويقودنا هذا إلى تاريخ بعد منتصف القرن ١٥ م ، ويظهر بالتالى شدة احتمال بناء هذا الحائط البالغ سمكه مترين والذى يسد مساحة المدخل فى أيام التهديد التركى فى عهد جنبلاط وطومان باى عام ٩٠٦ هـ (١٥٠١م) ولكن جزأه العلوى لم يدمر فى الوقت نفسه ويظهر أنه كان مستخدما كمساكن لحراس السور لفترة ما فيما بعد . ثم إن المزاغل بالجانب الداخلى قد حولت إلى أبواب لتسمح بالوصول إلى المساحة الموجودة بين البرجين الذى ارتفع مستواهما بمقدار مترين ونصف المتر فى الوقت نفسه ورصفت ببلاطات صغيرة وبقيت هكذا لبعض الوقت ثم دمر الجزء العلوى لسبب أو لآخر ونقلت المواد إلى ساحة المدخل التى ملئت بالأنقاض إلى مستوى ممشى الدروة وقد عثر فوق هذه الأرضية أثناء نقل الأنقاض على كميات من الأحجار ومن بينها ثلاث صنج ضخمة لعقد الطرف الداخلى للقبو وهى لا تزال متماسكة مع بعضها (هامش٢ ص ٤٧) ولا تزال الأرضية موجودة فيما عدا الجزء الموجود أمام المدخل نفسه الذى أزيل واتجهت الحفر إلى أسفل حيث العتب (راجع لوحة ٧ جـ) . ولا يظهر فى هذه الأيام أى أثر لأماكن الوصول إلى هذا الباب العظيم ، الأمر الذى لا يدعو إلى الاستغراب إذ لا شك أنه دمر وقت أن سد ولكن من الواضح أن الوصول إليه كان ولابد عن طريق الخندق تماما كما هو الحال فى باب برج الظفر حيث كشفت أعمال الحفر الحديثة عن وجود رصيف (مسطبة) حجرى خارج الباب وطنف عند

طرفه الخارجى وخندق به دعامة حجرية متماسكة فى الوسط ترتفع إلى نفس مستوى حافة مسند من مبانى من الدبش .

وترى مدام ديفونشير(١) بمناسبة تسميته ببرج الإمام خلال القرن ١٨ م أنه ربما كان مسكنا لإمام مسجد سيدى سارية القريب منه نسبيا ، ويظهر لى احتمال صحة هذا الرأى وبخاصة أننا نسمع دواما عن جعل الأبراج مساكن أو سجونا مثلما أعطى الخليفة العباسى برجا ليقيم فيه وكما سجنت شجرة الدر فى برج آخر يسمى البرج الأحمر .

(١) سيدة بلجيكية الأصل شغفت بالآثار الاسلامية وبخاصة تاريخ مصر . عاشت فى القاهرة خلال النصف الأول من القرن العشرين ، ولها دراسات أثرية قيمة (المراجع) .

القلعة

القسم الثانى

من برج الامام الى برج الرملة ـ برج الرملة ـ برج الحداد ـ باب خلفى أو سري ـ برج الصحراء ـ وظيفة الباب الثانى الخلفى ـ من برج الصحراء غربا ـ الركن الشمالى الغربى ـ تأريخ البرج المربع ـ تاريخ البرج المستدير ـ جزء السور المتجه جنوبا ـ محاولة دراسة السور الأول المبكر ـ باب المدرج ـ حائط برقوق الحاجب ـ جزء السور المتجه جنوبا من باب المدرج ـ باب القرافة ـ ملخص الدراسة ـ السور الجنوبى ـ المراجع •

من برج الامام الى برج الرملة :

يمكن الوصول إلى برج الرملة من برج الإمام إذا تركنا البرج الأخير عند مستواه الأدنى وسرنا عبر الممر الموجود بالسور ، ونصل بعد اجتيازنا أربع غرف لرمى السهام إلى الطابق السفلى لبرج نصف مستدير له قاعة متعامدة التخطيط من النوع الشائع ، ومن بعدها يستمر الممر لمسافة ٣٠ مترا حتى تصل إلى الطابق السفلى لبرج الرملة ويوجد فى هذا الجزء من السور ثلاث غرف لرمى السهام . ودرج يصعد إلى ممشى الدروة شيد أعلاه الآن مبانى الثكنات (شكل ٩) .

وإذا تركنا برج الإمام عند مستواه العلوى وسرنا على طول ممشى الدروة لمسافة ٧٠ مترا وصلنا إلى الجزء العلوى للبرج نصف المستدير الذى انتهينا من الإشارة إليه ويبلغ ارتفاع هذا البرج ١٢ مترا وهو مبنى على امتداد لنفس النشز ارتفاعه ١٠ أمتار — ويستمر بطول الجانب كله وتكوين هذا البرج يشابه تكوين تلك الأبراج التى فحصناها فعلا . ويصل المرء إلى طابقه العلوى إذا اجتاز الدروة إلى ممر يوجد على جانبه الأيمن درج B يصعد إلى القمة : ويفضى هذا الممر إلى قاعة متعامدة التصميم (A) من النوع الذى اعتدنا مشاهدته وفى الجانب المقابل لها ممر آخر (C) يؤدى بنا إلى الفضاء مرة أخرى . ومهما يكن من أمر فقد سدتها مبانى الثكنات لمسافة ٩٠ و ٣ من المتر من القاعة السفلى . وعندما نصعد إلى قمة هذا البرج نجد أنه كشبيهه . فقد عملت له دروة جديدة بها فتحات للمدافع . ومهما يكن من شىء فلا يزال من الممكن مشاهدة بقايا الشرافات الأصلية بالجانب الآخر .

وإذا وضعنا سلما خشبيا عند هذه النقطة أمكننا الصعود إلى قمة كانت فى يوم ما ثكنات المتزوجين من جنود جيش الاحتلال وهى مجموعة عظيمة من الثكنات كانت تشغل هذا الطرف من القلعة (١) .

---

(١) انظر لوحة ٨ أ وفيها يمكن مشاهدة نافذتين من هذا الجزء بين البرج الصغير والبرج الكبير فى منتصف اللوحة .

والطابق العلوى لهذه الثكنات على مستوى الدروة التى تكون الآن جزءا من الأرضية فى حين تستمر الدروة فى الارتفاع لتكون الحائط الخارجى وهذا هو بالطبع السبب فى غلق الممر القصير الموجود أسفل قاعة البرج والذى لابد أنه كان يوما ما مفتوحا على جزء آخر من الدروة . وإذا سرنا على السطح المستوى للثكنات وصلنا إلى برج الرملة الذى يرتفع أعلى منها (لوحة ٨ ، ٩) .

برج الرملة :

هو برج عظيم يغلب عليه الطابع المستدير ويبلغ قطره ١٨ مترا ومشيد من الأحجار المسنمة الشبيهة بتلك الأحجار الموجودة فى البرجين الآخرين المربعين بالواجهة الجنوبية . وارتفاع البرج ٨٠ر٢٠ من المتر فوق الصخر من قاعدته إلى الدروة — ولقد سبق أن لاحظنا وجود نوعين من المبانى فى هذا الجزء من السور الذى درسناه بالتفصيل (ا) مبانى ملساء يبلغ متوسط ارتفاع مداميكها ٥ ر٤٣ سم وطول الحمل ٨٠ سم أما السهل فضيقة جدا وقليل منها يزيد عن ١٩ سم .

(ب) مبانى مسنمة من كتل ضخمة يبلغ الحمل منها المتر ونصف المتر تقريبا طولا والسهل ٣٣ سم وذلك بالرغم من أن متوسط ارتفاع المدماك ٤٢ سم . والسور والأبراج نصف المستديرة من النوع الأول والبرجان الكبيران المربعان وبرج الصفة من النوع الأخير . وزيادة على ذلك فقد رأينا أن جدران السور والأبراج نصف المستديرة متشابهة فيما بينها إذ عملت كل المزاغل على نظام واحد فهى ذات أسكفة لها عقد عاتق مسطح وتتشابه كذلك كل الأبراج فى الحجم والتخطيط فهى متعامدة وأقبيتها متعامدة أيضاً . فأى نوع من هذه الأعمال هو الأول وبمعنى آخر أيهما من عمل صلاح الدين ؟ ومن هو المسئول عن الأعمال الأخرى ؟ إن البرج الذى وصلنا إليه يمدنا بالإجابة على الجزء الأول من السؤال للمرة الثالثة ولذا دعنا ننزل الدرج (D شكل ٩) الهابط إلى داخل الواجهة الخلفية ونفحص داخله . فعندما نهبط نجد أنفسنا فى ممر من نوع اعتدنا عليه يبلغ عرضه ٩٠ سم تقريبا مسقوف ببلاطات من الحجر ترتكز على مدماك على هيئة كوابيل مائلة الوجه . ونظرا لأن السلم يهبط بانحراف علينا أن نعود القهقرى لندخل القاعة الوسطى التى تثير دهشتنا بالرغم من قطرها الخارجى الكبير إذ أنها ليست أكبر من

شكل (٩) : قلعة الجبل - برج الرملة وبرج الحداد

تلك القاعات التى رأيناها . وزيادة على ذلك وبالرغم من أن المبانى تغطيها طبقة سميكة من الملاط إلا أن من السهل أن نلاحظ اتباع التصميم نفسه وأعنى تصميما متعامدا والقبو متعامد والمزغل المتجهة إلى الخارج منها وآخر إلى اليمين وثالث إلى اليسار ليمكن عن طرفيهما اطلاق السهام إلى الجانبين ، غير أن هذه المزاغل قد شوهت تشويها شديدا فقد أزيلت فى الواقع بحيث يمكن المرور منها وإذا فعلنا ذلك وجدنا أن كل واحد منهما يؤدى إلى حجرة أبعادها هى ٢٠ر٤ × ٧٠ر٢ م تقريبا مسقوفة بعقد اسطوانى مدبب. وعلى كلا الجانبين البعيدين نجد مزغلا وحنية على شكل حرف V يغطيها قبو مخروطى متناقص ولكن الأهم من هذا كله هو ما نلاحظه عندما ندور لنترك كل حجرة فالجانب الذى دخلنا منه منحنى التصميم فهو فى الواقع الواجهة الخارجية لبرج ننظر إليه : برج فى حجم الأبراج نفسها نصف المستديرة الأخرى ومن نظامها وهو مستخدم الآن كمجرد قلب شيد حوله برج متين قطره ١٨ م . أما مزاغله المشوهة الآن فقد وسعت فى جانب لتستخدم كأبواب لغرف أدوات القذف بالبرج الأخير وقد وضح الآن كل شىء فالبرج نصف المستدير الصغير ذو المبانى الملساء وجزء السور المتعلق به كانا موجودين قبل أن يحتويه البرج المتين ذو المبانى المسنمة . وعلى ذلك يجب أن ينسب إلى صلاح الدين هذا الجزء من السور الموجود به الأبراج نصف المستديرة السليم لمسافة تزيد عن ٦٥٠ مترا . ولكن إلى من ينسب النوع الآخر من هذه الأعمال ؟

وكما سنرى نجد أن النقش الموجود فوق باب المدرج ينسب القلعة إلى صلاح الدين وهو مؤرخ عام ٥٧٩ هـ (١١٨٣ — ٤ م) وهذا يدعو المرء إلى الاعتقاد بأن هذا التاريخ — كما هو الحال دائماً يشير إلى إتمام البناء ومع ذلك فإن المقريزى فى العبارة الهامة التى نشرناها فى بداية الدراسة تجعل هذه التكملة مستحيلة إذ يقول « وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة فأهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل فى قلعة الجبل واستتبابه فى مملكة مصر وجعله ولى عهد فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك فى سنة أربع وستمائة » .

ويؤكد هذا البكرى الصديق فيقول : « وفى أيامه (الملك العادل) انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الأصفر إلى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة وأول

من سكنها الكامل نائباً عن أبيه (١) وهذا يقودني إلى النتيجة الآتية . وهي أن الأبراج ذات المباني المسنمة قد شيدت بأمر من العادل ولكن من الأفضل أن نبحث عن تأييد من وجهة النظر المعمارية بمقارنتها بما تبقى من المباني الحربية للعادل في جهات أخرى مثل قلعة دمشق التي يرجع جزء كبير منها إليه(٢) .

وقلعة بصرى التي شيدها بناء على النص الموجود بها بين عام ٥٩٩ هـ و ٦٢٠ هـ (١٢٠٢ — ١٢٢٣ م) (٣) وبقايا تحصينات جبل طابور(٤) .

ويمكن ملاحظة أوجه الشبه التالية (١) استخدمت المباني المسنمة في كل حالة(٢) ، الأبراج مربعة أو مستطيلة في كل حالة(٣) . تكوين المزاغل التي لاحظناها في الأبراج المربعة يشابه مزاغل جبل طابور أي قبو متناقص كأنه نصف مخروط قائم على جانبيه مبني من أحجار جيدة القطع .

وبالرغم من أوجه التشابه هذه فلا يزال في الإمكان التساؤل عما إذا كان من سبب بجانب الاختلافات في الأسلوب يدعو إلى الاعتقاد بأن الأبراج المربعة بالجانب

---

(١) اقتبسها وترجمها كازانوفا ص ٥٧٣ . توقفت الأعمال المشار اليها بسبب حوادث ١٠٦٢ هـ ١٦٥٣ م والمخطوط الموجود بالمعهد الفرنسي نسخ في عام ١٠٧٢ هـ — (١٦٦١ — ١٦٦٢م) .

(٢) Sobernheim : Die Inschriften der Zitadelle von Damascus

Der Islam ص ٣ ص ١ — ٢٢٨

Sauvaget : La Citadelle de Damas, Syria XI pp. 59-90, 214-41

(وبصفة خاصة ص ٢٢١ — ٦) .

King : The Defences of the Citadel of Damascus — Archaologia, XCIV, pp. 59-96, pl. XVI.

(٣) Wetzstein : Reisebericht uber Hauran und die Trachonen p. 71

Seetzen : Reisen durch Syrien I pp. 68, 72.3

Burchbardt : Travels in Syria p. 233

F. von Ricter : Wollfahrten in Morgemlande pp. 181-2

Buchingham (J.S.), Travels among the : Tafl II-III arab tribes, pp. 202-6.

Léon de Laborde, Voyage de la Syrie, pp. 63-4 and pls. LVII-LVIII ; Lord Lindsay, Letters II pp. 135-6 ; Ray, Voyage dans le Haouram, pp. 183-6 ; Mouk. The Gdden Hormetc. II pp. 272-3 ; Parter (J.L.), Five Years in Damascus, II pp. 145-50, de Vogini, Syrie Central, p. 40 ; Schumacher, Dis sindliche Basum, Z. D. P. V. 1897., pp. 146-8 and abb 46 Brunnow and ron. Domaszewski, Die Provincia Arabia, III, pp. 44-60 fig 927, Wiet, Repertoire, IX p. 241, X, pp. 62-3, 87-8, 109-8, 152-3 and 192-3.

(٤) شيده هو وابنه الملك المعظم بين ٦٠٧ ، ٦١٢ هـ (١٢١١ — ١٢١٥ — ١٦ م) وهدم بعد سنوات قليلة لأسباب استراتيجية . انظر

Van Berchem : Inscriptions arabes, de Syrie M.I.E. III pp. 439-63 ; 512-14

والمراجع المذكورة فيه

Conder and Kitchener, Survey of western Palestine, I, pp. 369.-8 and 388-91.

الجنوبى هى إضافات إلى العمل الأصلى ؟ نعم لأنها تخل بنظام المسافات المتشابهة تقريباً بين الأبراج نصف المستديرة . وهذه الأبراج الأخيرة موضوعة على مسافات تتراوح بين ٤٠ ، ٥٥ م فيما بينها ، ونظرة إلى التصميم تدل على أن برج كركيليان وبرج الطرفة قد وضعا بين الأبراج نصف المستديرة بحيث إن الحائط ينقسم إلى أطوال هى ٢٥ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٥ر٣٢ متراً على التوالى ، وعلى ذلك فإن هذه الأبراج المربعة تكتسب من وجهة النظر هذه صفة الأبراج غير الأصلية .

ولكن لماذا وضعت هنا ؟ والإجابة على هذا سهلة لأن نشزاً صخرياً يبلغ متوسط ارتفاعه ٥ر٨ مترا سبق ذكره يبدأ عند نقطة تبعد ٤٥ مترا غرب الركن ويستمر فعلا على طول الضلع الشرقى (١) وعلى ذلك يتضح عدم الحاجة إلى تدعيم هذا الجزء فى حين أن الأمر يدعو إلى تدعيم باقى الضلع الجنوبى لأنه مشيد على أرض مستوية ويتفق فى هذا العمارة والطوبوغرافية والمصادر . وفيما يتعلق بالبرجين الكبيرين المستديرين برج الرملة وبرج الحداد فإنهما بنيا حول البرجين الأصليين الصغيرين الموجودين بالركن للسيطرة على الطريق بين القلعة والمقطم . وفى ذلك الوقت كان النيل يصل إلى ما هو معروف الآن بميدان رمسيس وكان السور الشمالى للقاهرة كما أمده صلاح الدين يرتكز عليه على هيئة برج كبير يسمى برج المقس . وفى الجهة المقابلة كان السور يتجه شرقاً إلى برج الظفر ثم ينعطف جنوباً إلى باب الوزير . وعلى ذلك إذا كان هناك نفر من الرجال على الضفة الشرقية للنيل لايرغبون فى دخول القاهرة يمكنهم السير جنوبا عن طريق الممر الضيق بين القلعة والمقطم فقط(٢) وهو الممر الذى كان حينئذ أكثر ضيقا عند طرفه الشمالى عما هو عليه الآن . وعلى هذا تتضح أهمية هذين البرجين والسبب فى تدعيمهما فى عهد العادل .

والآن دعنا نمعن فى فحص هذا البرج . كان على أن أحصل على سلم لأصل إلى الطابق السفلى وأهبط الجب الذى تكون بين الثكنات والواجهة الخلفية للبرج ، ونلاحظ أثناء الهبوط أن مبانى الثكنات لاترتبط بحوائط السور عند مستوى الأرض بل على العكس من ذلك تنفصل عنها بدهليز كبير ذى قبو اسطوانى يستمر خلال

---

(١) لا يظهر هذا بوضوح فى الوقت الحاضر عند الطرف الشمالى بسبب المخلفات التى تراكمت هناك .

(٢) الا اذا كان قد استعدوا بالطبع للقيام بدورة تبلغ ١٢ ميلا أو ما يقرب من ذلك بدون مياه للصعود الى قمة المقطم عن طريق الوادى الواقع خلف العباسية ثم الهبوط عن طريق الوادى خلف طره .

ضلعين من أضلاع هذا البروز فى حين ترك الفراغ بين البرجين الكبيرين بالركن مفتوحا إلى السماء(١) .

ويمكننا المرور من هذا القبو الاسطوانى فتدخل إلى الحائط بين برج الرملة وبرج الحداد بوساطة نوافذ زودت بها واجهته الخلفية وهناك بابان (G, H) عند الطرفين المقابلين لهـذا الجزء من الحائط والطابق السفلى لبرج الرملة صورة طبق الأصل من الطابق العلوى ، وقد قطعت جوانب مزاغل البرج الداخلى مثل العليا ، ولكن ليس فى الإمكان المرور إلى القاعة بسبب ارتفاع الأتربة والمهملات . ولكى ندخل القاعة الأخرى كان على أن أزحف على بطنى ، وكما هو الحال فى الطابق العلوى نجد هنا قاعة صغيرة إضافية (I) ولعلها مرحاض على اليمين ، ويمكن للمرء أن يرى ويتعرف على مبانى صلاح الدين التى يكون الحائط ضلعا من أضلاع هذه القاعة كما أوضحنا من قبل (٢) . ويمكننا السير فى اتجاه الجنوب الغربى داخل الدهليز الموجود بالسور الذى فرغنا لتونا من وصفه حتى نصل الى الطابق السفلى لبرج نصف مستديرة ، وهو شبيه بالطابق العلوى ومن ثم إلى برج الإمام . هذا الدهليز جميعه يشابه تماما فى كل وجه من الوجوه الجزءين اللذين فحصناهما فعلا (شكل ٨) وإذا خرجنا من الطابق السفلى لبرج الرملة من الضلع الشمالى وجدنا أنفسنا فى جزء رابع من الممر مطابق فى نظامه يقودنا إلى الطابق السفلى لبرج الحداد .

برج الحداد — (لوحة ٨ ، ٩) :

يتكون هذا البرج المنيع كمثيله برج الرملة ، فهو يشتمل على برج صغير نصف مستدير فى نفس الحجم ومن نفس الطابع المعروفين لنا الآن ، وهو محصور داخل إضافة ضخمة قطرها ٢٢ مترا وارتفاعها ٢١٫٧٠ من المتر ويقودنا الدهليز بالطبع إلى الداخل المتعامد (N) للبرج الأصلى الذى نمر منه إلى الجزء الجديد خلال مزاغل

---

(١) هذه الثكنات لها حجرات على مستوى الارض فى الاتجاه الداخلى كما أن لها حجرات فى الاتجاه الخارجى لايمكن اضاءتها . غير ان الطابق العلوى الذى يمتد عبر هذا القبو الاسطوانى الى ذلك الجزء الذى كان أصلا نوعا من الحجرات يفتحان على ممر وسط طويل ، أحد هذين النوعين يتجـه داخليا والآخر يمتد فوق القبو الاسطوانى ويتجه خارجيا . وارضية هذه الحجرات بمستوى المشى الأصلى للدورة وجدرانها الخارجية عبارة عن الدورة المستمرة فى صعودها

(٢) مبانى الطابق السفلى فى هذا البرج وبرج الحـداد لا تشـابه مبانى الطابق العلوى فهى غير مشوهة نتيجة تغطية المبانى بطبقة من اللاط . ومن السهل ملاحظة مبانى صلاح الدين من السـهل لوجود أحجار السهل الضيقة ظاهرة .

مشوهة كما هو الحال سابقا ، وقد أتاحت الزيادة فى القطر البالغة ١٥ مترا مكانا لخمس غرف لأدوات القذف (P) تفتح من ممشى مقبى (O) ويفصلها عن قلب البرج الذى هو من أعمال صلاح الدين ويتداخل فى قبو هذا الممشى الأقبية الاسطوانية المدببة لحجرات المساعدين التى يستخدمها المساعدون وإذا مررنا خلاله أمكننا التعرف على المبانى الملساء للمبانى الوسطى المركزية التى بقى منها مزغل واحد (Q) لم يشوه . ومزاغل حجرات إطلاق المساعدين غطيت أسكفتها بأقبية متناقصة من حجر جيد القطع مثل تلك الأحجار الموجودة بالأبراج المربعة الضخمة الموجودة بالضلع الجنوبى ، وفى أعمال تدعيم العادل لبرج الرملة غير أن واحدا منها فقط مفتوح الآن وأصابه تشويه ، وقد وضع البرج الداخلى عند زاوية البروز كما رأينا بطريقة تخالف البرج الآخر الذى وضع مماثلا تقريبا لبرج المبلط ، ويمكن أن نلحظ من التصميم أن الاتصال بين الدهليز وممشى الدروة قد أصبح على مسافات أقرب بالضلع الجنوبى و الشرقى لهذا البروز أكثر من أى مكان آخر . وثمة درج (R) بالضلع الغربى للبرج الداخلى ببرج الحداد يصعد إلى الطابق العلوى يمكن اعتباره سلما إضافيا للبرج تماما كما هو الحال فى أماكن أخرى ، مع استثناء البرج الداخلى لبرج الرملة ، ويوجد درج ثان (Z) فى نفس الإضافة وعلى مستوى أعلى كان يؤدى يوما إلى قمة البرج الداخلى أما الآن فهو جزء من المساحة الكبرى التى تكون قمة هذا البرج العظيم المركب .

وهذا البرج هو الوحيد الذى يمثل اختلافا فى النوع عن كل الأبراج نصف المستديرة الموجودة بالسور ، وبالرغم من أن القاعة السفلى متعامدة واعتيادية فى كل مظهر من مظاهرها إلا أن القاعة العليا (S) مثمنة وأضلاعها الثمانية نافذة واحدة (بالخلف) ومدخلان (أحدهما مسدود) وثلاثة مزاغل فى حنيات عادية جدا فى شكلها ومزغلان ضيقان بلا حنيات . ويتشابه البرج الخارجى فى تخطيطه عند هذا المستوى بالطابق السفلى فيما عدا أن حجراته الأربع الصغيرة الإضافية المستجدة لرمى السهام (T) قد زود كل منها بمزغل أضيف فيما بعد كما هو واضح.

ويجب أن نلاحظ مسألة بسيطة وهى أن الممر الضيق (U) المفتوح عند الطرف الأيمن للممشى مسقوف بقبو اسطوانى . وهذا الميل لاستخدام قبو اسطوانى حتى فى الممرات الضيقة التى كان مهندسو صلاح الدين يغطونها دائما ببلاطات مسطحة على كورنيش من كوابيل مائلة الوجه يعتبر صفة لكل الأعمال التى أنسبها إلى

العادل . وقمة هذا البرج مزودة بسبع حنيات ذات أقبية اسطوانية تحمل مسطبة أربعة منها تستخدم مزاغلا حولت جميعها إلا واحدة منها الى فتحات لفوهات المدافع (لوحة b, d, e) وقد تم ذلك فى عهد نابليون على الأرجح . والثلاثة الباقية أعدت سقاطات (لوحة ٩ c — a) ولكن فتحت فتحات المدافع فى الجدار الخارجى فى أماكن أخرى ولا يظهر أثر فى أعلى برج الرملة :

باب سرى : (Postern Gate)

نجد بابا سريا بحائط السور بالضلع الغربى لبرج الحداد وعلى مسافة ١٦ ر٢ من المتر منه (لوحة ١٠ a, b) وهذا الباب مسدود الآن وهو صغير جدا عرضه ٥٥ ر١ م وارتفاعه ٢ مترا فقط . هذا الباب الذى لا يظهر أن أحدا من الكتاب قد أشار اليه كان الغرض منه بلاشك هو أن يكون مخرجا للرجال الخارجين لمهاجمة قوة معادية تحاول المرور بين القلعة والمقطم.

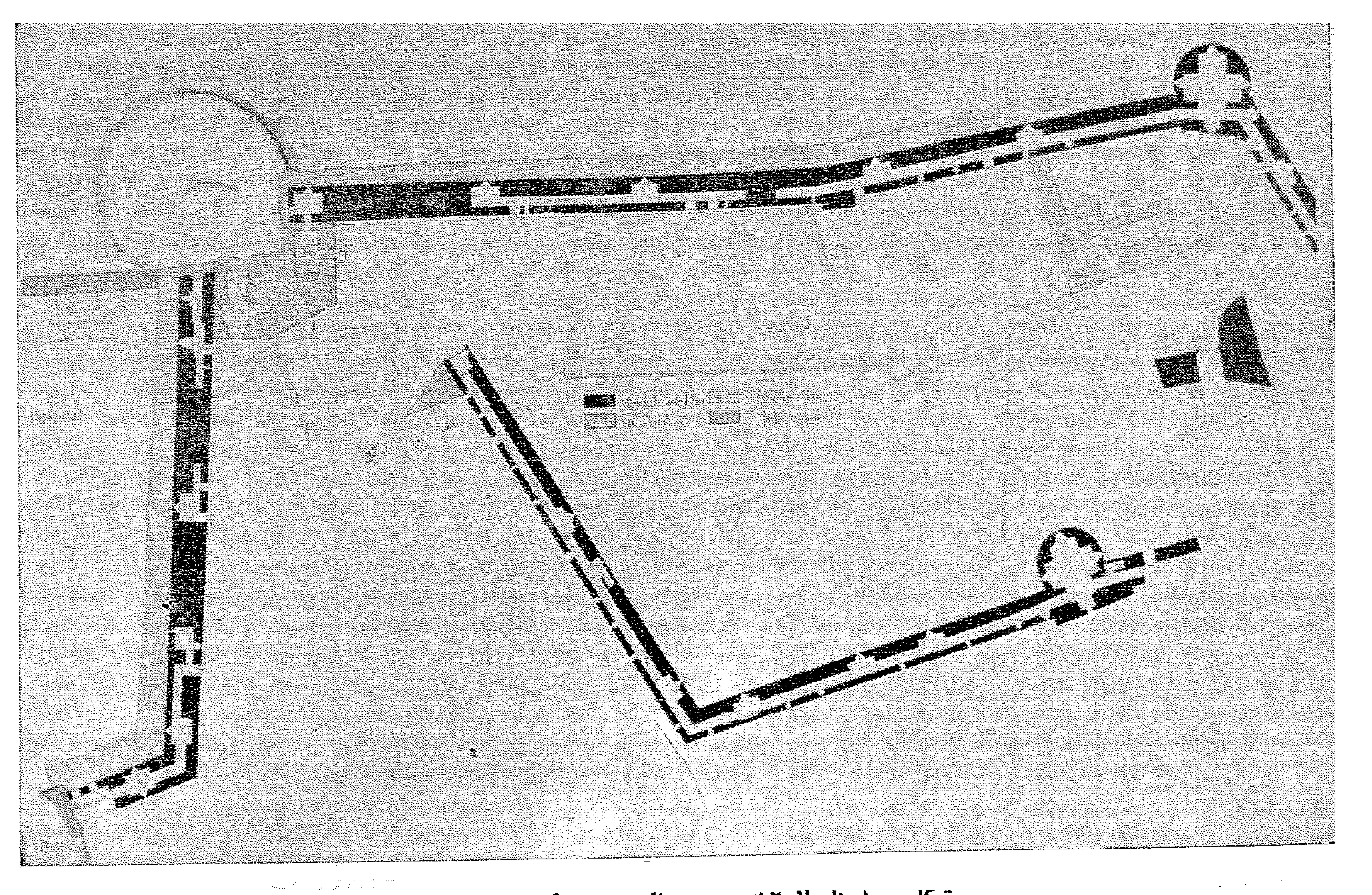
ويفتح من الضلع الغربى للقاعة السفلى للبرج دهليز حائط السور ؛ ويمر مباشرة أعلى قمة هذا الباب ويستمر لمسافة تزيد عن ٣٠ مترا . وقد زود هذا الجزء بثلاث غرف لرمى السهام (V) ذات كوات . ومنذ سنوات قليله مضت كان من الممكن الاستمرار فى اتجاه برج الصحراء . ولكن لم يعد هذا ممكنا للأسف لأن الجانب الداخلى للدهليز قد قطع لمسافة ١٠ أمتار تقريبا ، كما فتح فى الخارجى نافذتان لاضاءة مجموعة من حجرات الثكنات (X) وهو من أعمال التدمير السيئة (١) . ولكى نصل إلى الجزء التالى من الدهليز علينا أن نذهب إلى برج الصحراء :

برج الصحراء :

وهو برج مركب كما يتضح لنا من أول نظرة ، ويظهر من الخارج أنه برج نصف مستدير موضوع على ركن من أركان السور (لوحة ١٠) ، ولكن عندما

---

(١) الضلع الشرقى والجنوبى لهذا البروز يفصلهما عن الثكنات عند مستوى الأرض قبو اسطوانى كبير كما رأينا فعلا . ومهما يكن من أمر فلا يوجد بالضلع الشمالى مثل هذه الأقبية الاسطوانية فقد حلت محلها حجرات ثكنات غير مستخدمة وغير مضاءة وهذا يعنى أن الطابق السفلى للثكنات قد رتب على نظام الطابق العلوى ويتكون من الحجرات على كلا الجانبين ممر وسط بدلا من الجانب الداخلى فقط . أما الشباكان المشار اليهما أعلاه فقد فتحا حوالى ١٩٢٠ ليسمحا بسكنى حجرتين مظلمتين وقد علمت فى صيف ١٩٢١ أنه قد تم التصديق على خطة لعمل خمس أو ست نوافذ أخرى فى حائط السور لتسمح بشغل الحجرات المظلمة فتوجهت فى الحال لمقابلة الكولونيل ويلسون رئيس المهندسين بمصر وعرضت عليه وجهة نظرى ويسرنى أن أقول انه قرر الا تشوه أعمال صلاح الدين ويؤسفنى أن أقول أنها شوهت بعد عدة سنوات .



شكل ١٠ (اصلا ١٢) : برج الصحراء والجدار المتجه غربا

ننظر إليه من الداخل فإن أول ما يظهر لنا هو مربع ضخم من المبانى المسنمة أبعاده ١٢٫٧٠ × ٣٠ و٢١٫ من المتر ويحتل الزاوية المرتدة (لوحة ٨و١٠) ، أما المبانى التى يتضح أنها قد بنيت مرة أخرى أو أصلح الجزء العلوى منها تشبه مداميكها السفلى مداميك البرج الكبير والبرجين المستديرين . وثمة باب فى وسط الضلع الجنوبى من الواضح أنه أعيد عمله مرة أخرى يسمح بالدخول إلى الداخل الغريب المظهر . إذ نلاحظ عند دخولنا ممرا طويلاله قبو اسطوانى (شكل ١٢) عرضه ٢٫٢٢ من المتر يتجه نحو باب ذى عقد مدبب (B) وهو فى الواقع باب سرى آخر سد سدا محكما (لوحة ١٠) ونجد على مسافة ٢٫٦٠ من المتر من هذا الباب انفصالا رأسيا كاملا (C) فى المبانى على الجانبين وبالقبو من أعلى ، الأمر الذى يؤكد بوضوح أن المربع عمل إضافى . ونجد على يسار الممر ذى القبو المدبب سلما عريضا (D) يقود إلى سطح كان يشغله يوما ما صهريج كبير مستدير من الحديد يسع ٩٧٠٠٠ جالون وعلى جانبيه حامل ثلاثى من الحديد (١) . وثمة عقد ثان على الجانب الأيسر للممر يفضى إلى ممر أضيق (E) يؤدى إلى حجرة كبيرة ذات قبو اسطوانى (F) عرضها ٨٫٨٥ من المتر ، ونجد بالركن الجنوبى الغربى الممرات الفريدة (G) الموضحة بالتصميم ، ويظهر أن وظيفتها الاقتصاد فى المبانى أسفل السلم . وعلى يمين الممر الرئيسى قاعة أخرى ذات قبو اسطوانى « H » عرضها ٥٫٧ من المتر وعلى ضلعها البعيد سلم يؤدى إلى الدهليز الداخلى [I] لحائط السور كما هو واضح . والفتحة [J] التى نمر من خلالها إلى الدهليز تستحق الاهتمام فمن الواضح أنها فتحت فيما بعد بحيث تسمح جوانبها التى لا تواجهنا برؤية الدبش الذى يملأ المسافة الموجودة بين أحجار الواجهة. وللفتحة [K] التالية لها نفس الخاصية وبالرغم من ضيق السلم فأنه مسقف بقبو اسطوانى مدبب بدلا من سقف مسطح يعتمد على كورنيش من كوابيل ذات واجهة ماثلة وأعتقد أن هذا المستطيل الكبير المدعم عمل آخر من أعمال العادل .

ويؤدى انعطاف الدهليز إلى برج نصف مستدير [L] غير أن بقيته فى الجانب المواجه مسدودة . ومهما يكن من شىء فإن المدماك المستمر المكون من كوابيل ماثلة الواجهة الذى لاحظناه لمسافة تزيد عن ٦٥٠ مترا لا يزال يرى هنا . وتوجد درجتان قبل أن نصل إلى العائق الغرض منها المرور فوق عقد الباب السرى أسفلها وتختلف قاعة البرج هذه عن مثيلاتها وهى مظلمة جدا والسبب فى ذلك واضح إذ

---

(١) نراه باللوحات ٨ ، ٩

سدت الحنية الموجودة بالجانب الأيسر « الغربى » وبذلك لم يعد مرئيا المزغل الذى يؤدى إليه . أما المزغلان الآخران فمفتوحان فى شقوق موجودة فى كتلة مبانى يبلغ سمكها مترين تقريبا ، من الواضح أن هذا عمل متأخر . لأن الواجهة الأساسية للمبانى الأصلية لا يزال من الممكن لمسها إلى اليمين وإلى اليسار بوضع أصبع خلال المزاغل وإذا عدنا إلى الدهليز الذى دخلنا منه نجد أن نفس المصير قد لحق بالمزغل « M » الموجود بالحنية التالية للبرج . ونظرا لازالة جزء من العائق عند هذه النقطة فإننا نرى الواجهة الخارجية للمبانى المحيطة وهى تنحنى إلى الخارج . وإذا هبطنا إلى المدخل ذى القبو الاسطوانى وصعدنا إلى قبة البرج نجد أن عرض البروز نصف المستدير عند الزاوية يزيد على ١٠ أمتار بدلا من أن يكون حوالى ٧ أمتار . ونلاحظ بالإضافة إلى هذا أن الممر المتجه إلى الغرب أعرض من تلك الممرات التى رأيناها إلى الآن . ومما يثير الدهشة أن عرض ممشى الدروة ٩٥ ر ٤ من المتر بدلا من ٩٥ ر ٣ من المتر لأن عرض ممشى الدروة متر ، ولأن سمك حائط السور يتراوح بين ٧٥ ر ٢ من المتر و ٨٥ ر ٢ مترا كما وجدنا فى مكان آخر . وأبعد من ذلك بقليل نلاحظ صفا من الأحجار كأنها صورة للطريق موازية للسطح بالطول وتبعد حافتها الخارجية عن الواجهة الداخلية للسور بمقدار ٨٥ ر ٢ من المتر ويوجد كثير من الشقوق على جانب هذا الصف من الأحجار التالى للدروة . ومن الممكن أن نضع عصاة بطولها بالواجهة الأصلية للمبانى فى المسافة جميعها وبمعنى آخر أن هذا الحائط كله قد دعم بحائط إضافى يبلغ سمكه ١٠ ر ٢ من المتر « ٩٥ ر ٤ — ٨٥ ر ٢ م » وزيادة على ذلك نجد أن هذه الكسوة قد عملت حول البرج نصف المستدير وتكاد تغطى المزغل الأول بالحائط جنوب البرج .

وتتكون هذه الكسوة (Facing) التى نراها من الخارج من كتل حجرية بعضها مسنم وبعضها الآخر أملس وأرى أنها مواد سبق استخدامها وأعيد استخدامها من جديد ، والأحمال المسنمة أقصر من الأحمال الموجودة فى المبانى الأخرى التى قابلناها إلى الآن . ولا نرى بالطبع الباب السرى لأنه محجوب بهذه الكسوة ومن الواضح الآن أن المستطيل الكبير بممره المنحرف كما يدل التخطيط على ذلك قد صمم بحيث يتيح مكانا للوصول إلى هذا الباب الجانبى فيجب أن يرجع هذا العمل إلى عصر متأخر . وإنى أنسب المستطيل إلى العادل وإلى من يجب أن تنسب الكسوة ؟ إنها تنسب كما هو واضح إلى شخص كان يخشى المدفعية . وربما

هو الذى أضاف جدارا صلدا سمكه ١٠ ر ٢ من المتر إلى جدار آخر سمكه ٨٥ ر ٢ من المتر فعلا ويرتفع على قمة منحدر مما جعل استخدام الكباش المدمرة أمرا مستحيلا على أغلب الظن . والآن إن أول السلاطين الذين كان عليهم أن يخشوا المدفعية هم قايتباى وجانبلاط وطومانباى الذين شهد حكمهم ازدياد تصاعد التهديد التركى بسبب انتصارات السلطان بايزيد الثانى . ومهما يكن من شيء فالظاهر أن قايتباى وطن نفسه على تدعيم حصون الحدود الشمالية لامبراطورية المماليك فى حلب وبيرجيك وروم وقلعة عينتاب إلى آخره (١) وبالرغم من أن النقش الموجود بطول باب المدرج (٢) يذكر اصلاحات قام بها إلا أنه من المحتمل أنها لاترقى كثيرا إلى درجة الصدق إذ لم يشر اليها مؤرخ ما (٣) ، ومن جهة أخرى يقول ابن إياس عند ذكره لجمادى الأولى عام ٩٠٦ هـ (٤) ثم أخذ فى أسباب تحصين القلعة فركب حولها المكاحل المعمرة بالمدافع وأصلح سورها وأبراجها ، وبنى فوق سلم المدرج بابا وهو الموجود الآن ، ثم بنى برجا محيطا على باب السلسلة فبناه بالفص الحجر وصنع فيه مرامى وأبوابا صغارا ثم سد باب الميدان وباب حوش الغرب وباب الاسطبل الذى عند الصرة وصار ينزل فى النهار مرتين يكشف على

---

(١) فى عام ٨٨٢ هـ (٧٨/١٤٧٧ م) قام قايتباى بحملة تفتيش على قلاع الحدود التى أمر بترميمها وتقويتها واعدادها للعمل . وتشهد اليوم النقوش الموجودة بقلعة حلب وأسوارها وابواب بيرجيك وقلعة عينتاب على بعد نظره وحيويته وقد أشار الى هذه الرحلة ابن اياس باختصار فقط (جـ ٢ ص ١٧٥) ولكن ذكر نصفها كاملة أبو البقاين الجيعان الذى صاحبه ونشر هذا النص لا نزونى (فى تورين عام ١٨٧٨ م) وترجمته الى الفرنسية مدام ديفونشير فى مجلة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية المجلد العشرين . وعن هذه النقوش التى تسجل هذه الأعمال التى انتهت بعد خمس سنوات على ما يبدو ـ انظر كتاب تحف الانباء فى تاريخ حلب ص ١٣٤ ـ ٨ لبيشوف وكذلك

Sobernheim : Die Arabischen Inschriften von Aleppo. Der Islam, XV, pp. 165-6 187-8 and 190-92

من حلب ،

Van Berchem : Inscriptions arabes de Syrie, M.I.E., III, pp. 439-63 ; 512-14.

(عن بير جيك)

and pp. 107-8

وقد سر قايتباى كثيرا بهذا العمل لدرجة انه أطلق على نفسه لقب صاحب القلاع الرومية وهو اللقب الذى يظهر لأول مرة فى نقش بوكاله السروجية بالقاهرة حوالى ٨٨٥ هـ ـ انظر فان برشم : مصر جـ ١ ص ٥٠١ / ٤ .

(٢) باب المدرج غير مستعمل الآن وهو الموصل بين القلعة والمدينة سيجيء وصفه قبل نهاية هذه الدراسة .

(٣) كازانوفا : القلعة ص ٧٠٢ / ٣ .

(٤) كازانوفا : المصدر نفسه ص ٧٠٤ نقلا عن مخطوطة باريس المكتبة الأهلية رقم ٥٩٥ ب ورقة ١٧٦ ب .

العمارة بنفسه ثم رسم بهدم مدرسة السلطان حسن فهدم منها بعض شيء من وراء ظهر محراب القبة وأقاموا يهدموا فيها ثلاثة أيام فلم يقدروا على هدم ذلك فتكلم الأمير تغرى بردى الأستادار مع السلطان فى عدم ذلك فرجع إليه السلطان وترك الهدم عنها وقد تأسف الناس على هدمها لأنه لم يعمر فى الدنيا مثلها ولو هدمها ما كان يفيد من هدمها شيئا وما كان يقدر على هدمها فكان ترك ذلك أوجب وقد ظهر عجزه عن ذلك ».

والحق أنه لايوجد نص لجانبلاط يؤيد ما ذكر آنفا ، ومع كل فيوجد نص بطول باب المدرج مؤرخ رمضان ٩٠٦ هـ (مارس / أبريل ١٥٠١ م) أى بعد أربعة أشهر من التاريخ الذى سجله ابن إياس وهو باسم طومان باى الأول الذى حكم مدة ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما فقط كما يقول كازانوفا ، ونصل بذلك إلى النتيجة الآتية وهى أن النص يسجل أعمال جانبلاط وأن طومان باى قد حاول أن ينسبها لنفسه (١) وعلى ذلك أعتقد أن هذه الكسوة جزء من الأعمال التى قام بها أحد هذين السلطانين فى عام ٩٠٦ هـ (١٥٠٠/١ م) .

وظيفة الباب السرى الثانى :

ماذا كان الغرض من الباب السرى الثانى ؟ أظن أن توضيح ذلك تجده فى برج الساقية العالى البالغ ارتفاعه ٥٠ر١٦ م والقائم على بعد ١٢٠ مترا إلى الشمال ، ويعين بئرا عمقها ٥٠ ر٤٤ مترا من فتحة عند قاعدة البرج . ومن الممكن أن يرجع هذا البرج المشيد من أحجار ملساء حسنة الترتيب جدا إلى عصر متأخر جدا غير أن البئر المنحوتة جيدا فى الصخر من السهل إرجاعها إلى زمن تشييد القلعة ؛ وعلى كل حال فمن الصعب وجود أى سبب آخر لهذا الباب السرى ، ويمكن الاعتراض على ذلك بأن موقع البئر يدل على – استراتيجية رديئة إذ أنه واقع خارج سور القلعة ، ولكن لما كان من المحتمل أن السور الشرقى للقاهرة قد قصد به أن يصل إلى هذا البرج بالرغم من أنه انتهى عند باب الوزير فقط (٢) . فإن البئر لن تكون بناء على هذه الخطة بلاحماية . ويجب علينا الآن أن نفحص الممر المتجه جنوبا من هذا البرج (شكل ١٢) وهو يدل على

---

(١) المصدر السابق ص ٧٠٤ .

(٢) المقريزى الخطط جـ ١ ص ٣٤٧ سطر ٣٦/٣٥ ترجمة كازانوفا المصدر نفسه جـ ١١١ ص ٣١٥ جـ ١ ٣٨٠ سطر ، ٢ (ترجمة جـ ٤ ص ٨٨) كازانوفا القلعة ص ٣/٥٤٢ وترجمها فان برشم . ملاحظات المصدر نفسه ص ٤٧٤ .

أنه شبيه بالأجزاء التي فحصناها فعلا بالكلية من حيث نظام مبانيه ومزاغله وسقفه . وبعد اجتيازنا أربعة مزاغل وسلم يفضى إلى ممشى الدروة ننعطف فجأة إلى الشرق عند نقطة تبعد ٤٦ مترا عن البرج ، وبانعطافنا عند الزاوية نلاحظ حنية لضلف باب يمكن عن طريقه فصل هذا الجزء السابق ، وهذا نظام سبق أن صادفناه بالضلع الشرقى للسور . وبعد مرورنا على ثلاثة مزاغل أخرى ندخل برجا نصف مستدير عند نقطة تبعد ٣٧ مترا تقريبا من زاوية المنعطف ويرى من التخطيط أن البرج والممر من النوع نفسه وبأسفله تماما درج مسدود الآن يؤدى إلى الطابق العلوى . وعندما دخلت هذا البرج لأول مرة كان هناك شكل مخروطى كبير من الأنقاض لدرجة أنى زحفت من فتحة بوسط القبو المتعامد وتمكنت من خلاله الوصول إلى الطابق العلوى ، وبعد أربعة أمتار من هذا البرج نجد الممر مسدودا بحائط ولكنه حتى عام ١٩١٨ كان يقود رأسا إلى برج الحداد . والمسافة بين هذه النقطة والمكان الذى توقفنا عنده تقدمنا غربا من برج الحداد تبلغ ١١ مترا وهى الآن مشغولة بغرفتين من غرف الثكنات ولو لم تكن هاتان الحجرتان قد قطعتا فى دهليز السور لكان من الممكن الوصول من هذه النقطة إلى برج الإمام (باب القرافة) .

من برج الصحراء الى الغرب :

إلى هنا فحصنا الجزء العلوى من هذا القسم وأكدنا أنه أعيد تدعيمه بجدار يقرب سمكه من مترين ، والآن لنهبط ونفحص داخله الذى يمكن الوصول إليه من عدة نقط كما يرى فى شكل ١٠ . ويظهر من تكوينه أنه يماثل عدة مئات من الأمتار من السور التى فرغنا من فحصها . ولكنه يختلف من حيث النظام بعض الشيء عنها فالدهليز من داخله ينقسم إلى عدة مسافات قصيرة يفصلها عن بعضها أقسام من السور . وذلك بدلا من أن يكون متصلا . وإذا دخلنا من الفتحة الغربية من برج الصحراء أمكننا المرور فى اتجاه الشرق حتى نصل إلى نقطة مسدودة على بعد ٩٫٥ مترا من الدرجات الموجودة عند L (شكل ١٠) ومن المحتمل جدا أن هذه السدة من عمل سلاح المهندسين الملكى قبل وضع صهريج الماء الكبير فوق قمة البرج ، وإلى الغرب من هذا الجزء من السور تقف على بعد ٢٢٫٢٠ من المتر من نقطة الدخول .

وبعد مسافة تزيد عن ثلاثة أمتار من البناء الصلد نجد جزءا آخر حديثا (O)

مزودا بمزغلين ويستمر الى مسافة تزيد على ٢٥ مترا ونقترب الآن من برج عجيب (P) اسم له على خريطة نابليون، وندخل من (V) فنجد أنفسنا فى قاعة مقبية (Q) لها فتحة غير منتظمة الشكل بالضلع الشمالى ، ويرى بوضوح الخط الفاصل بين مبانى البرج ومبانى الحائط على جانبى الفتحة التى دخلنا منها كما يرى فى التصميم مقدار ٧٨ سم خاصة بالبرج و٦٥ سم للحائط . وإذا مررنا منها نجد مكانا يتضح أنه قاعدة إطلاق (A) من سور صلاح الدين بها ممر مسدود (مغلق) يخرج من الضلع الغربى .

وإذا استدرنا ان الواجهة الجنوبية للبرج أمكننا دخول حجرة مربعة ذات قبو متعامد (S) لها ممر مقبى مملوء بالأنقاض يقود خارجا من الضلع الشرقى ومن الواضح أنه درج يصعد إلى قمة البرج وينعطف إلى اليسار بزاوية قائمة ثم يصعد إلى أعلى غير أنه مسدود تماما لدرجة لاتمكن من ارتقائه ، ومع كل فإن جزءه العلوى يمكن رؤيته من قمة البرج .

ويستمر فى اتجاه الجنوب تقريبا جزء حديث من السور الذى يثبت بعد فحصه أنه من النوع السابق تماما إذ لايوجد دهليز مستمر بل مجرد أجزاء قصيرة كالسابقة وللقسم الأول (T) مزغلان مسدودان عند كل طرف كما يرى (١) ويتكون القسم الثانى (U) من قاعة إطلاق وسلم طويل به مايقرب من ٢٠ درجة يصعد مباشرة إلى الدروة دون انعطافات ،ويسير القسم الثالث (V) يمينا ويسارا كما هو واضح ويقود يمينا الى حجرة غريبة الشكل (W) بدون أى مزغل ، ويتضح أنها كانت مقسمة إلى قسمين بجدار بقى منه جزؤه العلوى فقط ومن عجب أنه لم يسقط إذ لايوجد عتب ولأن الجزء غير المسدود يزيد طوله على مترين وإلى الجنوب نجد درجا يصعد مسافة ٦٥ر٢ من المتر إلى قاعة إطلاق (X) من الطراز نفسه يخرج منها ممر ينعطف بعد قليل الى الغرب ويؤدى بنا الى قاعة إطلاق أخرى (Y) وهو مقطوع بالجزء العلوى من السور فى مسافة ليست بالبعيدة ، ولكن الجزء السفلى يستمر الى نقطة تبعد ٧٠ر١١ من المتر من الزاوية وينتهى عند الجانب الذى كان من قبل عبارة عن قاعة العزل بالمستشفى الحربى (المتحف الحربى الآن) والكسوة الخارجية التى تبدأ من برج الصحراء تستمر بطول هذا القسم ثم تقف هى أيضا عند المستشفى .

---

(١) الممر المتجه جنوبيا لا يذهب بعيدا بسيط الدرج الهابط من ب فى خط معه .

وإذا ارتقينا الدرج أمكننا النظر الى حديقة المستشفى الواقعة أسفل منا وهى محدودة بالضلع الشمالى بحائط متين به برج ضخم فى الوسط . وإذا مامعنى هذا الذراع الذى تتبعناه الآن ؟ إن نظرة إلى خريطة نابليون تدلنا على أن الحائط الذى فرغنا من تتبعه كان فى ذلك الوقت حد القلعة عند هذه النقطة ، وأنه كان يستمر بمحاذاة خط يتفق مع الوضع الحالى ، وعلى ذلك يصبح الجدار المحدد للحديقة متأخرا عن عام ١٧٩٩ م ، وإذاً فقد بنى محمد على القصر الذى أصبح المستشفى العسكرى بحيث تتفق الواجهة الشمالية لهذا البناء وحد الحائط القديم تقريبا ، ونتيجة لذلك لا بد أن جزءا كبيرا من حائط صلاح الدين قد دمر ولما لم يكن من المعقول أن يترك فراغ كبير فى السور فمما لاشك فيه أن الحائط الجديد قد بنى فى الحال . ومن المحتمل أن هذا الحائط الجديد قد استغل فى بنائه المواد القديمة إلى درجة كبيرة ، وأنه كان يرتفع كلما تقدمت أعمال هدم الحائط القديم . ويؤكد فحص صفاته المعمارية وجهة النظر القائلة بأنه يرجع الى محمد على الذى أزال الزاوية الكبيرة المرتدة من البرج الذى انتهينا من فحصه والزاوية الشمالية القريبة للقلعة ، وكان عليه لكى يتم هذا العمل أن يقيم حائطه فوق منخفض (انظر ش ١ ولوحة ١٢) تجنبه تخطيط صلاح الدين كما هو واضح ، وسنقوم فى القسم التالى بدراسة الصلة الحقيقية بين الطرف الغربى لحائط محمد على والمبنى القديم :

والآن دعنا نعود إلى البرج الموجود بالركن ، ويدل التخطيط على أن تغيرات كبيرة لابد أنها حدثت لأن الأطراف المشوهة لحائط صلاح الدين قد وضعت داخل بناء متأخر يسد الفراغ بينهما وزيادة على ذلك فقد لاحظنا أن هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بنسبة الكسوة الخارجية إلى جنبلاط فهل يرجع الجزء الداخلى المقبى إليه أيضا ؟ قبل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال دعنا نعيد تكوين هذا الركن . والآن إن الأركان الثلاثة التى سبق أن قابلناها فى أعمال صلاح الدين يدافع عنها جميعا برج نصف مستطيل موجود بالزاوية أعنى برج المبلط وبرج الرملة (قلبه) وبرج الحداد (قلبه) وعلى ذلك يمكن أن نتوقع أن يدافع عن هذا الركن بنفس الوسيلة أيضا . وإذا سرنا حوله خارج السور لانجد آثارا ظاهرة لمثل هذا البرج مباشرة غير أن شيئا يدعو الى الدهشة يحتاج منا أن ننظر إليه ، وأقصد بقايا برج مستدير ضخم له نفس نسب برج الرملة وبرج الحداد ويظهر من هذا

البرج ثلاثة مداميك أو أربعة بوضوح بين المخروط الكبير المكون من الأنقاض الذى ينحدر عند هذه النقطة(١) .

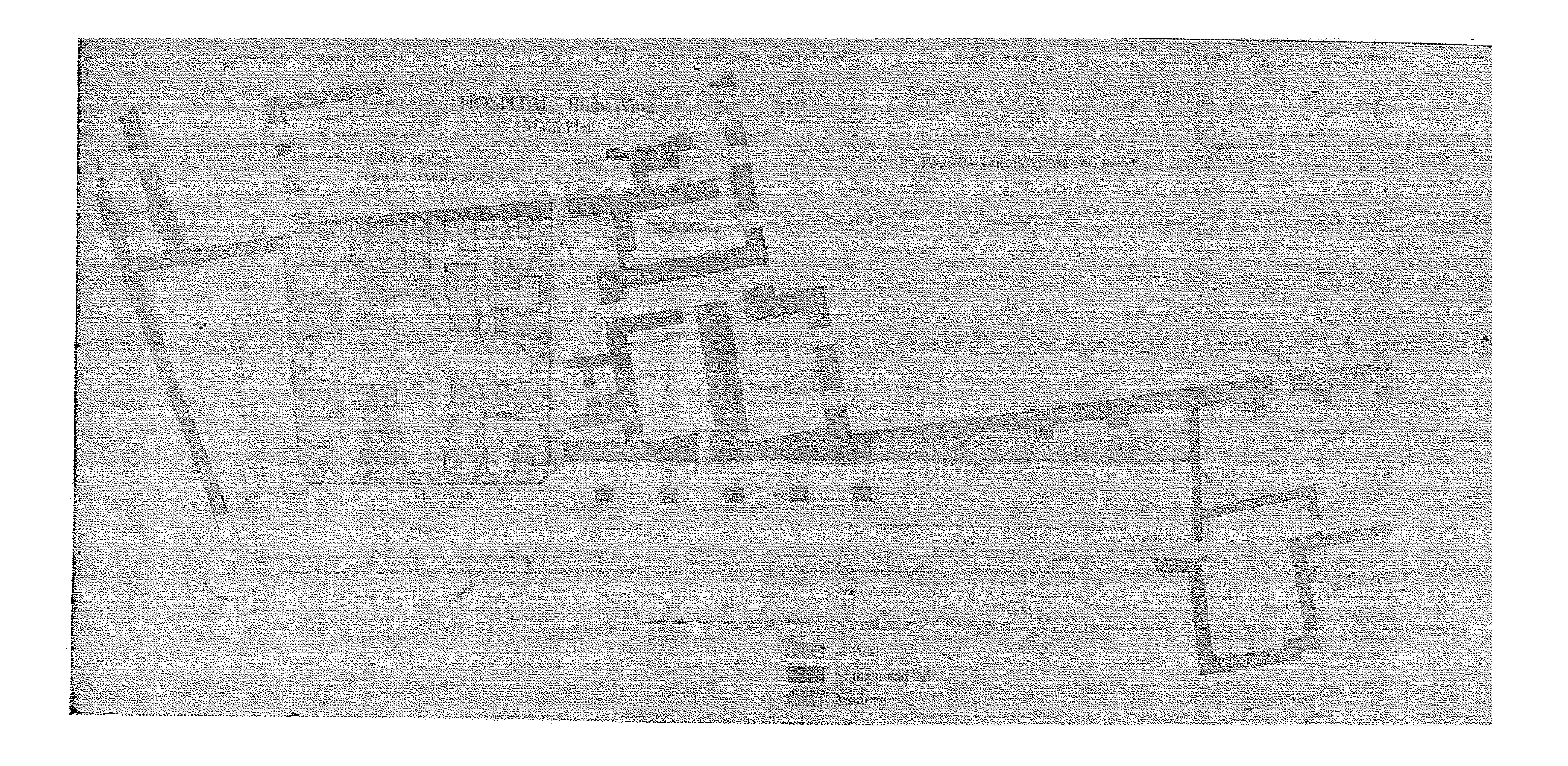
وبعد أن فرغت من عمل تصميم هذا الجزء ذهبت لأبحث مرة أخرى لأرى ما إذا كنت أستطيع العثور على آثار برج صلاح الدين الذى لابد أن يكون بباطن البرج قياسا على برج الرملة وبرج الحداد . وقد كشفت عملية تنظيف بسيطة عن جزء مقوس لواجهة مبنى يزيد عن متر ونصف متر بارتفاع مدماك فى نفس الوضع المطلوب وفق نظريتى ، ويعتمد على امتداد طولى لحائط صلاح الدين فى التصميم الذى وضعته وعلى الرغم من أن كمية ضخمة من الأنقاض تنحدر عند قاعدة البرج من الخارج إلا أن كميتها عند القمة كانت قليلة نسبيا والأيام القليلة التى خصصت لتنظيفها كانت كافية لتدلنا على أن المسافة داخل الزاوية المرتدة تتكون من سطح مستو تماما من الصخر بنيت فوق الحوائط . وقد نظف هذا السطح كله تقريبا من المبانى ومع هذا فقد كشفت حفرياتى عن جزء قليل من السطح المقوس لبرج صلاح الدين وكانت أبعاد البرج ٥٠ر٦ × ٧٠ر٦ من المتر تقريبا .

وعلى ذلك فقد أعدت رسمه بخطوط منقطة كما يرى . وتركت أيضا مكان التقوس الشرقى للبرج الخارجى الذى كانت تغطيه الأنقاض ووجدت أنه كان مشيدا أيضا على الصخر الذى كان على مستوى منخفض عند هذه النقطة . ولقد اتضح الآن أن هذا كله لابد أن أزاله جانبلاط أو طومان باى الذى وجد هذا البرج الضخم المركب إما مهدما أو رأى أنه مهجور ، وواضح أيضا أن الجزء الموجود بالركن المعقود الذى يربط بين طرفى حائط صلاح الدين لا يمكن أن يرجع إلى صلاح الدين أو العادل إذ تنتهى أعماله بعيدا عن هذا . ولذا أستنتج أنه من كسوة جانبلاط والوسيلة المناسبة لدخوله هى درجة وهو صالح أيضا كمصطبة للمدافع ، توضع هنا لتسيطر على الفناء الكبير ذى الزاوية المرتدة وقد ألغى هذا فى عهد محمد على .

ولا يمكننا الهبوط إلى حائط محمد على من هذه النقطة لأن ممشى الدروة منخفض بمقدار ٢٠ر٨ من المتر عن قمة هذا البرج ولكى نفحصه هو والزاوية الشمالية الغربية للقلعة وهى مهمتنا التالية علينا إذا أن نقوم بدورة كبيرة لنعود إلى الساحة

---

(١) من الغريب حقا ان هذه البقايا الملفتة للنظر لا تظهر على خريطة مساحة من قياس ١ : ١٠٠٠



شكل (١١) (أصلا ١٣) : قلعة الجبل – الركن الشمالى الغربى

الكبيرة المكشوفة داخل الباب الداخلى ثم نمر داخل الساحة المربعة التى تؤدى إلى الجناح الغربى للمستشفى وهو الآن المتحف الحربى .

الركن الشمالى الغربى :

هـــذا الجزء دون استثناء هو أكثر الأجزاء تعقيدا وسترى أن التعديل قد لحقه باستمرار ولكى نصل اليه علينا أن نمر فى الساحة المربعة المؤدية إلى الجناح الغربى للمتحف الحربى ومن ثم من خلال باب منخفض (A) (ش ١١) على الجانب الشمالى الغربى وهذا يقودنا إلى سور ضيق طويل خلف الدروة وفى مواجهتنا مخرج له عقد نصف دائرى (لوحة ١٣) هو المخرج الداخلى الباب المدرج الذى ندعه الآن لنعود إلى فحصه فيما بعد ونمر خلال باب (E) (نفس اللوحة رقم ١٣) وهنا نجد أنفسنا فى سور آخر ضيق طويل يحده شمالا الدروة (F) المسطبة (G) التى تساعدها كما تعلو عنها وهذه المسطبة محمولة على عدد من العقود تعلو عن مستوى رءوسنا عند ما تقف على عتبة الباب . غير أن الأرض ترتفع بسرعة وتصبح على مستوى المسطبة بعد ٣٥ مترا تقريبا ؛ ويمكن رؤية الباب (E) والمسطبة والدروة بشكل أفضل (باللوحة ١٢) وينتهى هذا السور الضيق الذى يبلغ طوله ٧٥ مترا تقريبا ببرج مستدير (H) يرى على يسارنا باللوحة ١٢ ومن بعده مجموعة من ست درجات تصعد الى مساحة شبه منحرفة (مربع منحرف) ويحد السور الضيق الذى اخترناه الآن يمينا بجدران مرتفعة من أنواع مختلفة من المبانى (لوحة ١٢) ويسند ثلثاه الأخيران الطابق العلوى للجناح الغربى لقصر محمد على (أصبح فيما بعد المستشفى العسكرى وهو الآن المتحف الحربى) كما تسند الأعمدة الخمسة المربعة a a a a a الشرفة . وإذا دخلنا من الباب الصغير (L) الواضح فى لوحة (١٢) نجد أنفسنا فى قاعة كبيرة متعامدة التخطيط تذكر بداخل برج كركيليان وفى الركن الخارجى حجرة إطلاق ذات قبو متعامد(M) لها مزغلان فى حنايا ذات قبو اسطوانى ومع كل فكلاهما مسدود تقريبا ؛ ويتضح أن أساس هذا الركن من حريم محمد على هو فى الحقيقة برج مربع كبير ، وزيادة على ذلك فإن هذه التغيرات العميقة لا بد أنها حدثت فى هذا الركن . ويتضح لنا حتى بدون فحص البرج المستدير (H) أن هذا البرج المربع الكبير بمزاغله لا بد أنه كان يوما ما الركن الشمالى الغربى للقلعة وأن البرج المستدير يرجع الى عصر متأخر عندما تقدم السور الى هذه النقطة وتتأكد وجهة النظر هذه عند ما نلاحظ مزغلا واحدا يكاد يكون مسدودا جميعه عند (O) وثمة

مفاجأة أخرى بغرفة الإطلاق (N) إذ لا يوجد مزغل واحد عند (ع) فحسب بل يوجد مزغل آخر عند (V) مما يدل على أن السور كان يبدأ منها متجها الى يمينها واذا سرنا فى فحصنا ومررنا خلال (R) إلى (S) نلاحظ حجرة ذات قبو اسطوانى ودرجا صاعدا عند نهاية أحد طرفيها وممراً مغلقا يقضى خارجا إلى الشمال ؛ واذا انعطفنا الى ممر الدخول يمكن رؤية باب مسدود عند (U) ؛ وإذا جعلنا المزغل (Q) فى موضع الاعتبار لرأينا أن الدرج ربما كان يؤدى إلى ممشى الدروة وأن (U) فتحت لتؤدى إلى مستوى الأرض الداخلى الملاصق للسور ولهذا فقد أوضحت بدايته المحتملة بسهم عند هذه النقطة ويوجد باب صغير إلى اليمين من (U) ويفضى إلى ممر ودرج جميل له قبو اسطوانى مرتفع ويهبط هذا الدرج ٦ درجات ثم ينعطف إلى اليمين ويهبط مرة أخرى حتى يصل إلى عقد مسدود على بعد ٥٫٤٠ من المتر من الانعطاف . وإذا تعقبنا خطواتنا لوجدنا من الممكن العثور على الممر على ذراع من أذرع الحجرة المتعامدة عند (W) وهذا الممر مملوء بالأنقاض ولا نرى درجا ولـكن ذراعا أخرى على زاوية قائمه يمثل منحدرا شديدا من الأنقاض الذى يكشف عند ارتقائه عن منحدر آخر ينتهى بسقف كما يدل على ذلك خط منقط حل مكانه سقف من الخشب . وهذا واضح من (لوحة ١٢) وهو عبارة عن أرضية الجناح الغربى للقصر الذى يتضح أن طابقه العلوى كان يمثل سطح البرج والذى لا بد أن أنشىء من أجله هذا الدرج .

ويدل فحص الذراع الجنوبية الغربية للقاعة المتعامدة على وجود باب مسدود عند (X) ومع كل فإن السد المغلق غير تام ، إذ أنه لا يصل إلى قمة الحنية الأمر الذى يسمح لحسن الحظ برؤية عرق له قاعدة لمحور البـاب بالجانب البعيد . ونجد فى مواجهة (W) بابا مقابلا (Y) لا يفضى إلى غرفة إطلاق تشبه (M) كما كان يجب أن ينتظر ولكن إلى ممر صغير عجيب كما هو واضح . وفى مواجهة المدخل باب ثانى (b) سد هو الآخر والسبب فى ذلك واضح. فإن العتبة قد تصدعت ولم يكن من المأمون إزالتها كما نجد بابا ثانيا أو حنية (G) سدت هى أيضا . ولقد شعرت أنه يجب أن أدخل إلى الحجرة الموجودة بالزاوية بأية وسيلة لكى أرى ما إذا كان بالضلع الجنوبى الغربى مزاغل أم لا ، حيث أن مثل هـذا المزغل يساعد على تحديد وضع حائط السور كما حدث فى (Q) ، وأخيرا دخلت عن طريق (d) ووجدت أن (Z) ما هو إلا تكرار دقيق للحجرة (M) ذات القبو المتعامد

ومزغلين فى حجرتين لهما عقد اسطوانى (f, e) ولابد أن حائط سور آخر كان يبدأ فى مكان ما متأخر عند (f) . دعنا ندور الآن حول البرج ونتزل الدرج (g) الهابط إلى حجرة طويلة ضيقة يغطيها قبو اسطوانى قطاعه نصف مستديروإلى اليمين ثلاثة أبواب تؤدى إلى الطابق السفلى للبرج وفى تخطيطه يكاد يكون تكرارا للطابق العلوى فيما عدا الممرات التى تصل أذرع الصليب بالحجرات الجانبية إذ اختلف وضعها كما هو الحال فى برج كركيليان ، وقد سقفت أذرع القاعة الكبيرة المتعامدة بأقبية اسطوانية مدببة ، أما الجزء الأوسط فبعقد متعامد وحالة الجميع سيئة للغاية . فالجدران سويت فى أماكن عدة وبنيت دعامة مربعة تمتد منتصف القبو المتعامد . ولا يمكن الدخول إلى الحجرة الموجودة أسفل (Z) وكذلك ركن الدرج ، غير أن الحجرات أسفل (M, N) حالتهما جيدة إلا أن المزاغل الموجودة بالجانب الشمالى الشرقى والجانب الجنوبى الشرقى قد سدت على التوالى ، وفى (M_1) أزيل المزغل فى الواقع ووضع ما يملأ الفراغ ويمكن مشاهدة الاتصال المقوس غير أنه لم يبق صنج من هذا العقد ومن الواضح أن الأبواب التى ندخل منها إلى (M_1, N_1) إلى الدهليز المقبى . مزاغل حولت إلى أبواب ويظهر ذلك بصفة خاصة فى (N_1) حيث يمكن مشاهدة أحد الجوانب المتراجعة للمزغل القديم خلف الباب . ويجب علينا أن نضيف أن القبو الاسطوانى الدهليزالطويل يرتكز على جدار سمكه حوالى نصف المتر ولذلك لانرى جانب البرج الكبير ويوجد المستوى السفلى لهذا الطابق أسفل الدروة (F) بمقدار ٢٣و٧ من المتر وتشير مزاغله إلى حقيقة هامة وهى أن الحائط (F F F) لايمكن أن يكون قد وجد حينما كان البرج مستعملا وهذا ما يمكن استنتاجه .

وإذا صعدنا الدرج (I) نجد أنفسنا فى مكان منبسط تغطيه الحصباء وعلى يميننا البرج الكبير بمزاغله الثلاثة وعلى يسارنا الدروة التى ترتفع مع الدرج (شكل ١٢) وفى مواجهتنا حائط مرتفع له باب إلى اليسار قريبا من الدروة ونصل إلى هذا الباب بدرج عند (K_1) وبمرورنا منه نجد أنفسنا فى ممشى سور حائط محمد على وهو الوتر الذى تكلمنا عنه والذى يقطع المنحنى المرتد الناتج من سور صلاح الدين عند هذه النقطة والذى خصص لحديقة القصر . ويمكننا السير فوق الأسوار ونمر إلى البرج الكبير نصف المستدير حتى نقف عند النقطة التى ينعطف

عندها صور صـــلاح الدين إلى الداخل (١). وبسور محمد على دهليز داخلى له اتساع وارتفاع لابأس بهما ويمكننا أن ننظر إلى داخل هذا الدهليز من نافذة صغيرة أسفل الدرج .

فأين كان يتصل سور محمد على بالمبانى القديمة ؟ يدل فحص الجزء الخارجى على أن امتداد المداميك يستمر دون أى انقطاع إلى أن تقابل البرج المستدير (٢) عند الركن الذى لاتتفق مداميكه مع المداميك الأخرى وعلى ذلك تكون هذه النقطة هى نقطة الاتصال . ولكن كيف كان تخطيط السور السابق ؟ تشير خريطة نابليون للقاهرة (شكل ١٢) إلى أن السور القديم كان موازيا لجانب البرج المربع الكبير ، غير أن هذه الخريطة ذات مقياس صغير جدا لسوء الحظ . ومع كل إذا افترضنا أنها صحيحة تماما فهل يوجد أى أثر لمثل هذا السور ؟ فى هذا المجال يصبح لوضع الدرج (X) معنى فى الحال وعلى قدر ما يمكن قياسـه نجده موازيا للبرج ، فهل يمكن أن يكون هو للدرج الأصلى المؤدى إلى الحصن القديم ؟ إن فحص الدروات حيث تتصل بالبرج المستدير يمدنا بتأكيد غير عادى فى هذه النقطة إذ بالرغم من أن المداميك العليا قد انقطعت نتيجة تخطيط سور محمد على إلا أن المدماك السفلى قد نجا من ذلك بمصادفة غريبة وقد قطع حجر هذا المدماك السفلى (ش) عند الركن بحيث يوازى البرج الكبير ، وإذا استمرفإنه يصل إلى جانب الدرج وزيادة على ذلك فإنه لايزال مشاهدا بين البرج والدروة بعض المبانى المهدمة التى لابد أنها الجزء العلوى المنزوع من الدروة القديمة ولهذا فقد رسمت ثلاثة خطوط منقطة ، اثنان منهما لاستمرار الدرج والثالث للدروة وافترض أن سمك الأخير يساوى سمك F F F دون شك . ونلاحظ الآن أن أكثر هذه الخطوط الثلاثة دخولا (الجانب الداخلى للدرج) يتفق تماما مع جانب الدهليز الموجود عند قاعدة الدرج (g) وإذا هبطنا مرة أخرى دلنا فحص هذا الباب على أن المبانى قد اسود لونها بسبب تعرضها للجو فى هـــذه الأماكن التى لم يعد طلاؤها ، وهذا تأكيد إضافى لما أعتقده من أن هذا هو حائط السور القديم ، ومع كل فهى أحدث عهدا من أبنية

---

(١) عند اقترابنا من هذه النقطة يستمر مستوى السور على حال واحد ولكن ترتفع الدروة كما يرى فى لوحة ١١ ، ومن الممكن التقدم الى نقطة تتفق مع القطع الرأسى فى المبانى (لوحة ١١ ب) وليس من الممكن الاستمرار الى أبعد من ذلك لان السور القديم أكثر انخفاضا فى مستواه كما يمكن أن ترى الحلية الناتئة الخارجية .

(٢) مداميك البرج المستديرة تتفق ومداميك الحائط رد والذى تكون مبانيه وحدة واضحة .

الحائطين الخارجين من البرج الكبير ، وخوفا من أن يعترض أحد ، أسرع وأضيف إلى ذلك عدم وجود الأسهال الضيقة التى تميز بوضوح أعماله .

ويمكن أن نلاحظ أن المساحة المثلثة الشكل قد تركت بين هذا السور وسور محمد على ، وإذا دخلنا الأخير من الحديقة نجد أن دهليزه الداخلى يمتد لمسافة متر ونصف المتر تقريبا (K) أسفل المسافة التى انتهينا من فحصها . أما باقى المساحة المثلثة فمن المفروض أنها ملئت بالدبش ويمكن أن يمتد السور القديم إلى المسافة التى يرى عليها فعلا أى إلى نهاية الدهليز المقبى عند قاعدة الدرج (g) والحائط (m) ، وبعد ذلك يشغل مكانه حديقة بين سور محمد على والقصر الذى ينخفض مستواه إلى مستوى أرض الدهليز المقبى .

تاريخ البرج المربع :

يرتبط هذا البرج الكبير بتكوينه الداخلى ارتباطا وثيقا ببرج كركيليان ؛ غير أن مبانيه تعرضت للتلف وكسبت بدرجة يصعب معها العثور على قطعة تمثله ، ومع كل فإن الفحص الدقيق بالقرب من مستوى الأرض يكشف عن كتل منحوتة لا تزال متماسكة تشبه المبانى المسنمة التى شاهدناها فعـــلا فى البرجين المربعين والبرجين الكبيرين المستديرين . وكذلك تتشابه المزاغل : ولم تغط بقبو كما هو الحال فى مبانى صلاح الدين ولكن بقبو اسطوانى متناقص شبيه بنصف مخروط قائم على جانبيه ، وأقبية الحجرات الموجودة بالأركان فى الطابق السفلى قطاعها مدبب كما هو الشأن فى الأقبية التى تغطى أذرع الصليب ولكن على المستوى العلوى ، وبالرغم من أن أقبية حجرات الأركان مدببة القطاع كما هو الحال فى أسفل الاأن أذرع الصليب يغطيها قبو اسطوانى نصف مستدير يدعمه عقد نصف دائرى فى الذراع الشمالى الغربى ، ومظهر الجميع جديد تماما ، وبدلا من أن يكون الجزء الأوسط له عقد متعامد نراه مغطى بقبة منخفضة قائمة على مثلثات كروية من نفس التقعير وهى أيضـــا ذات مظهر جد حديثة ، ولذلك أنسب هـــذا البرج إلى العادل واستنتج أن محمد على أعاد بنـــاء أقبية بعض أجزاء الطابق العلوى وكانت بلا شك مهدمة حينئذ قبل أن يبنى قمتها ، وإذا تتبعنا خطواتنا نجد جزءا من السور طوله ٢٥ر٩٠ من المتر يلى هذا البرج والفتحات الموجودة به هى باب مسدود وعدد من النوافذ لهـــا مظهر القرن ١٩ ميلادى تماما وزخارف الأبواب هى فى الواقع من أعمال محمدعلى كما هو واضح ويدل الفحص على أنه جزء من قصر محمدعلى الذى شغله فيما بعد المستشفى ،

ولن أصفه بالتفصيل لأن التصميم (شكل ١١) يوضح كل ما هو ضرورى ، وسأكتفى بأن أشير بما يتفق وفرضنا — إى أن قياسا أخذ مباشرة من النافذة دل على أن الضلع الجنوبى الشرقى للبرج الكبير لابد أنه كان محددا كما هو موضح فى التصميم بجدار يكون جانبا من القاعة الرئيسية للقصر (الجناح الأيسر) وبمرورنا خلال هذه القاعة إلى الحديقة التى سبق أن أشرنا إليها نرى أن الزاوية الشرقية للبرج الكبير قد شطفت كما هو الشأن فى الزاوية الشمالية والغربية (١) .

وفى ذهابنا إى الباب (E) نلاحظ جزءا آخر من السور يمتاز بحجم مبانيه (لوحة ١٢ أ) وقد شوهت هذه المبانى تشويها فظيعا ، ويتضح من كمية الملاط التى أضيفت إلى الجزء العلوى أنه كان يوما ما جانبا من قاعة كبيرة أو مخزن على ما يحتمل ، وكما يدل وصف من حفر عالية مربعة على وجود سقف خشبى . وعلى ذلك فإن نظرة ثانية تكفى للدلالة على وجود عدد طيب من الكتل الضخمة المسنمة الشبيهة بمبانى العادل ولا تؤدى الفتحات التى ترى إلى شىء لأن هذا الحائط يسنده من الخلف حائط آخر يكون الضلع الجنوبى الغربى للساحة المنحرفة الشكل التى تؤدى إلى الجناح الغربى للقصر . ويمكننا أن نتسلق من قمة باب المدرج إلى الحائط المشيد فوق الباب E ومن ثم إلى أعلى الحائط الضخم المتماسك ولا يرتفع هذا الحائط إى ارتفاع حائط الساحة المنحرفة كما يمكن أن يرى من اللوحة ويتقابل الحائطان بزاوية حادة كما فى قلعة بصرى وثمة مسافة صغيرة بينهما عند الطرف الجنوبى تسمح برؤية دعائم الحائط الساحة المنحرفة ، وطول هذا الجزء من الحائط هو ١٠ ر٢٥ من المتر وطرفه الجنوبى ذو السطح المنحرف قليلا مبين بوضوح . غير أن الطرف المقابل مشوه ولذا يحتمل أنه كان يمتد إلى أبعد من ذلك يوما ما فى ذلك الاتجاه فهل يمكن أن يكون بقايا البرج الثانى الكبير المربع ؟ ولكى أبحث عن تأكيد ألقيت نظرة مرة أخرى على خريطة نابليون ، (شكل ١٢) وهنا أشير بوضوح إلى هذا الركن من القلعة بمربعين أسودين جدا مرقومين برقم ٦٩ وإذا عدنا إلى النص تقرأ بالفهرس الموضح للخريطة المذكورة أنه ٦٩ عبارة عن أبراج مهدمة تهدما جزئيا .

ويوافق البرج الظاهر تاليا لهذا الركن البرج الذى ناقشناه مثلا كما هو واضح.

---

(١) أشك فى ان الاركان كانت مشطوفة دائما .

على ذلك يجب أن يكون البرج الآخر الذى كان فى زمن نابليون المربع الرابع (؟) على مايبدو ولذا فقد رسمته منقطا بالتالى (١) ووصلنا إلى النتيجة التالية وهى أن هذا البرج كان أكثر تدميرا عن زميله ولذلك فضل محمد على عندما قام ببناء قصره أن يحيط الأخير بمبان من أن يواجه نفقات هدمه ولكن الآخر كان أكثر سوءا لدرجة دعته إلى تنظيف المكان من أجل الساحة المنحرفة تاركا جانبا واحدا منه فقط .

وعلى ذلك كانت هناك أربع مراحل متتالية لهـذا الركن من القلعة على النحو الآتى : —

١ — باب المدرج وجزء السور الذى يسير حتى البرج المستدير بالركن ربما فى مكان البرج المربع الكبير .

٢ — اعتبار البرجين الضخمين المتبقيين من أعمال عهد العادل .

٣ — إهمال هذين البرجين وبناء جزء السور المرقوم (F F F) على البرج المستدير بالركن واستمراره فيما يلى ذلك بموازاة الواجهة الشمالية للبرج المربع . ولا بد أن المسافة بين الخط الجديد والقديم قد ملئت بكميات عظيمة من المواد إلى ارتفاع ٤ ، ٥ أمتار فوق قاعدة برج الركن ومما لا شك فيه أن مخلفات المبنيين كانت المصدر الرئيسى للتزود منه فى البناء .

٤ — امتداد سور محمد على الذى تقـدم الواجهة الشمالية للسور محيطا بجزء من السور الذى يرجع إلى الفترة الثالثة التى تستمر شرقا من برج الركن ولكنه دمر الباقى .

تاريخ البرج المستدير والسور المتجه جنوبا :

هذا البرج المستدير أصم وكذلك جزء السور ، ولا ترى على أقل تقدير أى فتحات بالخارج أسفل الدروة ، ويدعو هذا إلى افتراض أنه بنى فى أيام المدفعية أى أنه لا يسبق عهد جانبلاط . والدروة من نوع مبانى الجزء الأسفل وقد بنيت لتصلح لاستخدام البنادق والمدافع ومع كل فإن هذه المبانى جد مختلفة عن مبانى الكسوة

---

(١) برج كركيليان وبرج الطرفة والبرج الموجود بالركن الموصوف أعلاه كلها مربعة غالبا وعلى ذلك يصبح استنتاجا عادلا ان يرسم هذا البرج على انه مربع وزيادة على ذلك فقد رسم مربعـا بخريطـة نابليون .

بالقرب من برج الماء الذى أنسبه الى هذا السلطان ، ومن جهة أخرى فإن الأحجار واختفاء الأسهال الضيقة التى تميز عمل صلاح الدين تشابه مبانى برج المقطم فيما عدا أنها مزودة بطبقة سميكة من الأسمنت وأن الأحجار لم تجهز جيدا . وبالإجمال فإنى أميل إلى أن أجعله من مبانى القرن الأول للعصر التركى (أى ١٥١٧ / ١٦١٧) وبقيت نقطة واحدة فقط لا أستطيع حلها وهى كيف يتصل البرج المربع الثانى بباب المدرج ؟ إن وضع الركن الغربى بهـذا البرج باتصاله بالمنزوج الداخلى لباب المدرج يثير مشكلة عويصة .

محاولة تحليل حائط السور الأول :

نحن الآن فى مركز أفضل يسمح لنا بأن نناقش تكوين الجزء الذى دمره محمد على ، ويمكن أن تثار المشكلة على النحو الآتى :

إذ ينتهى حائط سور صلاح الدين الذى كساه جانبلاط بإزاء قاعة العزل — بالمستشفى (سابقا) فى حين أن الحائط الذى يخرج من الركن الشمالى الغربى للقلعة ويختفى وراء السور الجديد الذى بناه محمد على يرجع إلى القرن ١٦ م على ما يحتمل . قد سجلت خريطة نابليون لحسن الحظ التخطيط بين هاتين النقطتين ولكن أين تقع نقطة الاتصال بين نوعى الحائط وكيف تأثرت انى أرى أن سور صلاح الدين اخترق برج العادل المربع الكبير الموجود بالركن عند النقطة المشار إليها بالسهم (شكل ١١) وأن كسوة جانبلاط ربما كانت تمتد أيضا بهذا الطول كله غير أن الجزء الموضح بخريطة نابليون لا يستمر فى جانب برج العادل المربع الكبير وهذا يعنى بالضبط أن السور كان يتقدمه حائط فى القرن ١٦ م والسؤال الآن أين كان يتصل بحائط صلاح الدين ؟ إذا نظرنا الى خريطة نابليون (شكل ١٢) مرة أخرى نلاحظ أن الزاوية الكبرى المرتدة تتكون من ستة أطوال مستقيمة ونفترض الآن كما علينا أن نفصل ذلك فى اعتقادى . أن حائط صلاح الدين كان ببرج السلطان العادل المربع الكبير . ومن الواضح أنه كان موجودا خلف القسمين الأولين (ابتداء من الركن الشمال الغربى) اللذين يتقدمان خط التخطيط المطلوب . وعلى ذلك أصل إلى النتيجة الآتية وهى : أنهما كان جزءا من السور المتقدم الذى يرجع الى أوائل القرن ١٦ م الذى لايزال باقيا جزء منه كما رأينا ، وأن الأجزاء الأربعة الباقية كانت جزءاً من سور صلاح الدين الذى كان أصلا



شكل (١٢) (أصلا ١٤) : قلعة الجبل (فى خريطة كتاب وصف مصر ـ نابليون)

خلف القسم الأول والثانى من التخطيط ، وإذا كان الحائط الموضح بخريطة نابليون لا يزال موجودا فإنى أتوقع أن أجد الاتصال بين أعمال العهد التركى وأعمال صلاح الدين عند نقطة تقابل القسم الثانى والثالث .

باب المدرج :

نعود الآن إلى المخرج الداخلى لباب المدرج (شكل ١٣ ولوحة ١٣ ج) وهو عبارة عن فتحة عادية يكاد يزيد اتساعها عن أربعة أمتار لها عقد نصف دائرى ذو صنج مزررة تمتد إلى حافة الربع البارز المحيط به تماما كما فى باب برج الظفر (١) . ويكون هذا العقد الطرف الخارجى لقبو اسطوانى نصف دائرى طوله ١٣ ر ٥ من المتر ويؤدى إلى قبة منخفضة تقوم على مثلثات نصف كروية من نفس التقعير (لوحة ١٣ ب) كما فى باب الفتوح وباب زويلة ، ونجد على يسارنا أسفل القبو الاسطوانى حنية صماء يغطيها قبو اسطوانى نصف دائرى وعلى يميننا حنية مماثلة تماؤها المبانى إلى سطحها (٢) وأسفل القبة إلى اليمين وفى مواجهتنا حنايا مماثلة كل واحدة منها تؤدى إلى ماكان مزغلا فى يوم ما ، إذ حولت هذه المزاغل إلى كوى للمدافع وقد سد جزء منها الآن . وعقود هذه الحنايا جميعا لها صنج مزررة تخرج من حزمة — عبارة عن أعمدة ثلاثة يرتبط بعضها ببعض لها تيجان على هيئة اللوتس . وقد تكرر تغطية الداخل كله بطبقة سميكة من الملاط ونشاهد خمس طبقات منها فى الحنية الموجودة إلى اليسار حيث سقط جزء كبير من الملاط وقد أزال ماكس هرتز حوالى عام ١٨٩٣ تلبية لإشارة كازانوفا وبموافقة الكولونيل توماس عدة طبقات من الملاط كانت أولاها سمراء اللون من أثر الدخان ، وقبل أن يحدث هذا كان هناك مايقرب من خمسة عشر أو ستة عشر طبقة فى بعض الأماكن وقد اكتشف أثناء هذه العملية أن القبة كانت مغطاة فوق المبانى بثلاث طبقات متتالية يزين كل منها نقش كتابى من حروف بيضاء على أرضية حمراء ويتضمن النقش اسم السلطان الناصر محمد ، وقد أزيلت الطبقات العليا التى أصابها بعض التلف وبقيت الطبقة السفلى فقط وزينت المثلثات الكروية الأربعة بتوريقات ملونة باللون الأحمر والأخضر والأسود ومناطق (مداليات)

---

(١) يوجد خلف الجزء العلوى لباب الفتوح عقد دقيق عمل بالطريقة نفسها . انظر ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢) يحتمل أن هذه الحنية ربما كانت يوما ما مزغلا ثم سدت عندما استغنى عنها نتيجة بناء جزء السور الذى نجده عند هذه النقطة وأحول البرج عند الركن الشمالى الغربى .

بها اسم السلطان والكتابة مكتوبة باللون الأحمر (لوحة ١٣ جـ) . كيف نفسر وجود هذه الطبقات المتتالية ؟ يمدنا كازانوفا بنظرية مقنعة وهى أن الناصر محمد حكم — كما هو مشهور . ثلاث فترات متتالية الأولى من ٦٩٣ إلى ٦٩٤ هـ ، والثانية من ٦٩٨ إلى ٧٠٨ هـ ؛ والثالثة من ٧٠٩ الى ٧٤١ هـ ، ومن المحتمل أنه دهن النقش الأول عند ما تولى الحكم فى ٦٩٣ هـ غير أنه خلع فى ٦٩٤ هـ ومن ثم طلى المغتصب اسمه بالطلاء الأبيض ؛ ثم عاد إلى الحكم مرة أخرى فى ٦٩٨هـ ونقش اسمه من جديد ، وتنازل فى ٧٠٨ هـ ثم أعاد نقش اسمه فى ٧٠٩ هـ (١) . ويزين مركز القبة زخرفة لولبية بارزة وعلى يسارنا أسفل القبة جزء صغير من قبو اسطوانى فى نهايته فتحة ذات عقد مدبب (٢) وبعبورنا اياها نجد أنفسنا خارج السور . ومهما يكن من شئ فإننا لا نصبح الآن فى الخلاء تماما اذ يكون جانب الباب الجديد لمحمد على مع سور صلاح الدين مساحة ضيقة طويلة يغلقها فى الطرف الآخر باب صغير لابد أن نلاحظه عندما ننظر إلى الخلف حين نجتاز لأول مرة الباب الأخير عند زيارة القلعة وإذا استدرنا الان نلاحظ أن المدخل المعقود الذى جئنا منه موضوع فى حنية غير غائرة ذات عقد نصف دائرى موضوع داخل ربع مستطيل ذى حافة بارزة ومنطبقة عارية فى كل ركن (لوحة ١٣ أ) .

ويوجد أعلى العقد الداخلى بلاطة من الرخام عليها تسعة خطوط بقلم النسخ وهى عبارة عن نقش تأسيس القلعة ويسجل أن تشييدها تمّ بناء على أوامر صلاح الدين على يد الوزير قراقوش فى ٥٧٩ هـ (١١٨٣ — ١١٨٤ م) (٣) .

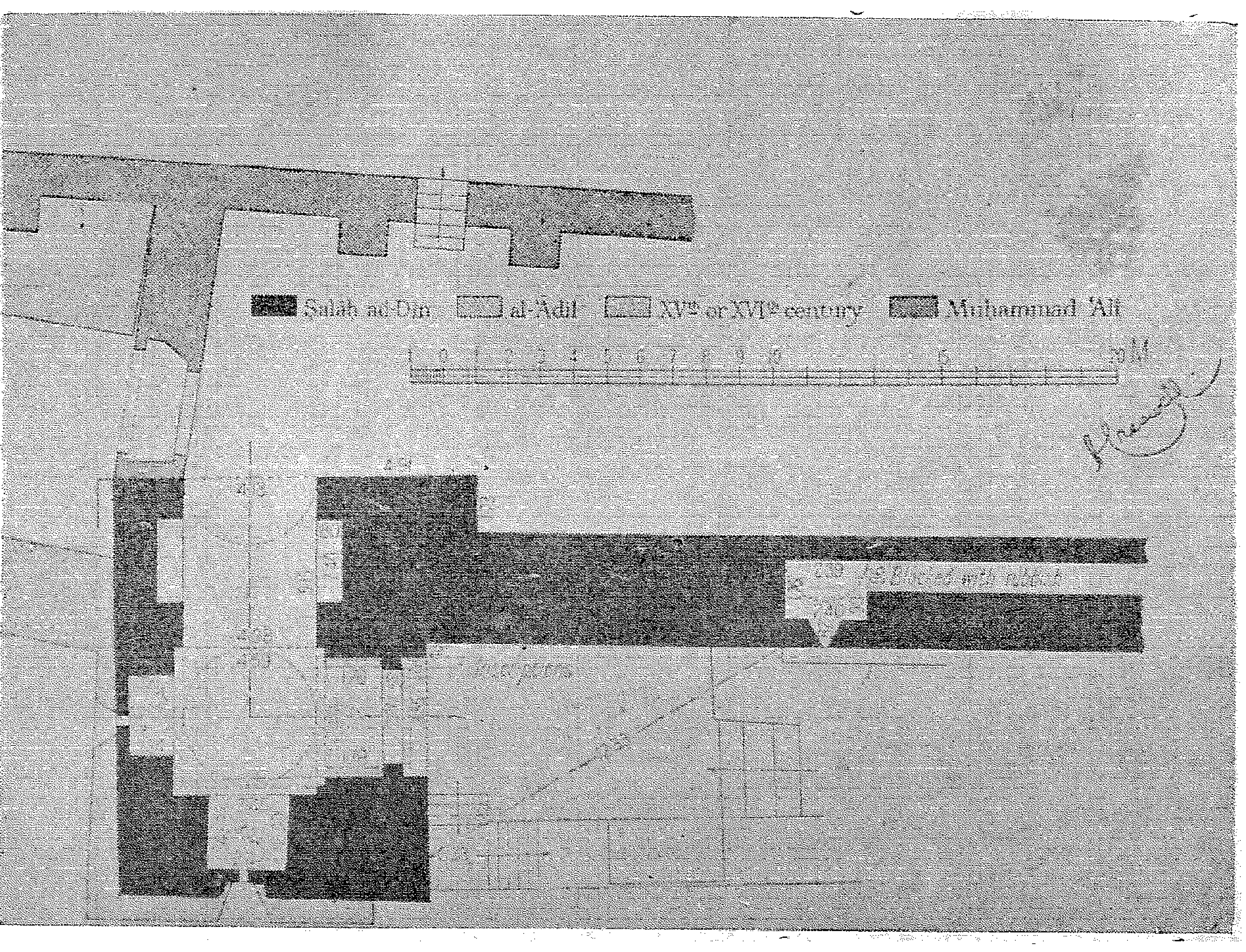
أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة بالعرمة التى جمعت نفعا وتحصينا وسعة على من التجأ الى ظل ملكه وتحصينه مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة أمير المؤمنين فى نظر أخيه وولى عهده الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد خليل أمير المؤمنين على

---

(١) B.I.E., III, sér., No. 4, pp. 52-3, Citadelle, loc. cit., pp 627-9

(٢) لم يبق فى موضعه غير نصف الباب المصفح بالحديد (انظر لوحة ١٣ ب الى اليسار) وهو يدور على عقب بالطريقة العادية والعقب موضوع فى عرق خشبى يمتد خلف العقد (لوحة ١٣ جـ) .

(٣) Mehren, Cahirah og Kerafat, I pp. 18-19;
Casanova, Citadelle, pp. 569-71 ; Van Berchem.
C.I.A. — Egypte, I, pp. 80-85 ; Lane — poole.
Saladin, p. 152 ; Wiet, Repertoire, IX pp. 123-4.



شكل (١٣) (اصلا ١٥) : الباب المدرج

يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش عبد الله المكى الناصرى فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة (١) ويعلو هذا النقش مباشرة فتحة يمكن أن يطلق منها قذائف على جماعة مهاجمة تحاول اقتحام المدخل وقد أكد فان برشم فعلا أهمية هذا النقش كأنه أول نقش نسخى بمصر ، (٢) وأنه أحد التجديدات الكثيرة التى أدخلها صلاح الدين فى ميدان العمارة والفن والنظم السياسية منها والدينية (٣) وعلى ذلك لم تعد الكتابات الكوفية ذات الزخرفة الجميلة التى تعد فخر وعظمة الفن الفاطمى (٤) مستخدمة فى النقوش التاريخية ولكنها ظلت وحدها فى العصابات الزخرفية المشتملة على آيات من القرآن والى حد يقل باستمرار . وكان القلم النسخى مستخدما فعلا فى سورية لمدة قرن من الزمان تقريبا ، وأقدم مثل معروف هو نقش منارة الجامع الكبير بحلب وقد شيد الطابق الأسفل من هذه المنارة (٥) فى ٤٨٣ هـ (١٠٩٠م) القاضى أبو الحسن محمد بن الخشاب بأحجار أخذت من حمام قديم . أما الطابق العلوى فقد انتهى فى ٤٨٧ـــ ٨هـ (١٠٩٤/٩٥) (٦) وقد ذكر فان برشم عددا من أمثلة القرن ١٢ م فى سوريا (٧) وليس هناك مجال للشك فى أسبقية

---

(١) History of Egypt, pp. 201-3 and fig. 46.

(٢) كان هذا النقش أول مثل معروف فى مصر حينئذ لان تابوت الامام الشافعى كان مغطى دائما بكسوة ولكنها نزعت منذ ذلك الحين فظهرت نقوش رائعة (راجع ص ٧٤ من الاصل الانجليزى) أحدهما بقلم النسخ ومؤرخ ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) أى أنه أسبق من نقشنا بخمس سنوات ولذا فانه يحتمل مكان النقش الاول كأقدم مثال للقلم النسخ فى مصر ويصبح نقش قراقوش الثانى ولكننا لسنا فى حاجة الى القول بأن ما يقوله فان برشم من أن النسخ أحد التجديدات العديدة التى أدخلها صلاح الدين لا يزال قويا .

(٣) Notes d'Archéologie arabe in the Journal Asiatique, 8ème Sir. XVIII, pp. 72-9
his Inscriptions arabes du Syrie, M. I. E. III, pp. 450-55 ; C.I.A. — Egypt, I pp. 89-6.
Van Berchem and Strzygouski, Amida, pp. 125-8 ; 353, No. I ; Herzfeld. Archeologische Mitteilungen aus Iran, VII, pp 73-81. حيث نجد آخر دراسة لهذه الحقيقة

(٤) لقد ظهرت فعلا مجموعات كاملة لدراسات هامة عن تطور هذا الأسلوب الذى يعد أكثر الأساليب الزخرفية فى الكتابة Flury, Die Ornamente der Hakim und Ashar Moschée Heidelberg, 1912.
Ashar Moschée Heidelberg, 1912
Islamische Schrifchander Amida Diarbekr XI. Jahrbundert, Basel 1920 ; The Kufic Inscriptions of Kissimhazi Mosquée Zanzibar 500 A.H. in J.R.A.S., 1922 pp. 257-64.

(٥) وانظر رسما لهذه المنارة فى الجزء الأول من كتاب كريزويل عن العمارة الاسلامية ش ١١٧ مواجهة ص ٢١٤ .

(٦) ابن العديم . انظر Herzfeld, Ars Islamica, X, p. 34.
M.I.A., II — Syrie du Nord. Inscriptions et Monuments d'Alep, I, pp. 150-51, pls., LVI-LVI-LXIII

(٧) المصدر نفسه فى LXIII. ص ٤٥١/٤٥٢ .

سوريا على مصر فى استخدام القلم النسخى للنقوش التاريخية ، ولكن هناك شك فى ادعاء أسبقية سورية عن باقى البلاد الإسلامية إذ أن هذا القلم استخدم فى إيران فى القرن ٤ هـ (١٠م) على عملة ساسانية وبالرغم من افتقارنا الى نقوش تذكارية .

إن الباب الذى فرغنا من فحصه الآن عبارة عن جزء داخل برج مربع تقريبا (١) ويمكن أن نرى فى (شكل أو لوحة ١٣ج) الطريقة التى اتبعت فى وضع أبواب محمد على بجواره ، ويمكن التعرف بسهولة على أعمال صلاح الدين فى مبانى السور إلى اليمين ، وكذلك مبانى المدخل المعقود (الاطار البارز) والمبانى الموجودة الى يساره ذات الأسهال الضيقة . أما المبانى الموجودة بالجانب الآخر من البرج (لوحة ١٣ د) والتى ترى قبل الدخول من الباب الجديد فمختلفه جدا ، وليس الاختلاف فى النقطة فقط بل فى اختفاء الأسمال الضيقة التى تميز عمل صلاح الدين اختفاء تاما . وزيادة على ذلك فإن هذه المبانى واحدة فى النوع هى ومبانى البرج الأصم بالزاوية الشمالية القريبة الذى لابد أنه بنى كما رأينا بعد فترة طويلة من عدم استعمال برج العادل المربع الكبير الموجود بالركن ، ومما يلاحظ أيضا أن الأسطح ذات واجهة مائلة بعكس الواجهات العمودية التى تضم عقد المدخل ومن الواضح أن بناء البرج المستدير الموجود بالركن الشمالى الغربى وجزء السور الخارج منه الى الباب المدرج قد كسى جانبين اثنين فقط من البرج الأخير فى الوقت نفسه . وتمدنا كوتا المدفع اللتان كانا يوما مزغلا بتأكيد آخر إذ يبلغ سمك الحائط الغربى والشمالى اللذين عملا فيهما ٦٢ر١ م ٠٢ر١ من المتر على التوالى بينما يتراوح سمك الحائط الخارجى لكل غرف الرماه بالسور بين ٤٥سم ٦٠سم فقط ، وهو فى الأبراج نصف المستديرة لا يزيد أبدا عن المتر ولا يظهر حتى أن الكسوة الموجودة على أحد هذه الجوانب قد علمت كما يمكن أن يرى عند الصعود الى قمة البرج ٤ التى يمكن أن نصل إليها من أعلى جدار السور على الجانبين وتسلق الدورة إلى سطح الباب الجديد البالغ ارتفاعه المتر تقريبا . من ثم نرى أن الواجهة الخارجية للبرج متراجعة بمقدار ٧٠ سم عند نقطة تبعد ٨٠ر١ من المتر من الركن الجنوبى الغربى (شكل ١٣) فما هو تفسير هذه الظاهرة الغريبة .

---

(٣) بالرغم من هذا الشكل المنحرف بعض الشىء فان المقاييس الدقيقة تدل على أن الذراعين بالداخل يقع كل منهما على زاوية قائمة على الآخر وهذا بلا شك لتجنب الصعوبة الناشئة عن استخدام المثلثات الدروية والا تشوهت .

(٤) جميع الشرافات الاصلية حل محلها دروة بها كوات للمدافع .

السور الساتر الذى بناه برقوق :

استنتج كازانوفا من مقارنة عدد من الفقرات المبهمة والمتناقضة بعض الشيء التى ذكرها المقريزى والجوهرى وأبو المحاسن أن برقوق بنى فى ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) سورا ساترا يتعامد لهذا على باب حائطا المدرج ليحجب بذلك ملحقات القلعة(١) . وبناء على هذا النظام يجب على المرء أن يدخل أولا من باب الدرفيل ويستمر بطول الجانب الداخلى لهذا الجدار ثم يصعد باستمرار حتى يصل الى باب المدرج وعلى الرغم من أن مكان باب الدرفيل هذا غير مؤكد الا أن سورا كهذا موجود بخريطة نابليون يحد شارعا يسمى سكة القرافة وينتهى عند برج باب المدرج ولا تزال باقية هذه الطريق موضوع البحث ويحده من الجانب الجنوبى جدار متماسك أعيد بناء جزء منه ويتفق موضعه مع موضع ذلك الحائط بخريطة نابليون ومن الواضح أن الطرف العلوى لهذا الحائط (يرى بلوحة ١٢ وإلى اليمين) يرجع إلى محمد على ويحمل باب مسدود (إلى الأسفل من الحافة اليمنى لنفس اللوحة) نقشا باسمه مؤرخ ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ — ١٨٢٥) (٢) .

والآن حيث إن الحائط الذى بناه برقوق فى ٧٩٠ هـ والذى يعتقد كازانوفا أنه الوارد فى نقش برقوق المؤرخ ربيع الثانى ٧٩١ هـ (أبريل سنة ١٣٨٨ م) (٣) يبدأ اعتماداً على خريطة نابليون من الواجهة الخارجية لبرج باب المدرج عند طرفه الجنوبى فإن البناء الذى نسب إليه البرج الموجود بالزاوية الشمالية الغربية وجزء السور الواقع إلى الجنوب منه لابد أنه كان غير قادر على كسوة كل الوجهة الخارجية بأكملها عندما قام بعمل كسوة برج باب المدرج . وعندما أزال محمد على جزءا من حائط برقوق ليفسح مكانا للباب الجديد تسبب فى إيجاد الحالة الراهنة للبرج . وقد أشار كازانوفا (٤) إلى أن الباب المدرج يحمل اسمه من المدرج المقطوع فى الصخر المؤدى إليه (٥) ويصعد هذا الدرج عموديا على حائط السور

---

(١) Citadelle : op. cit. pp. 678-80

(٢) نشره كازانوفا ـ انظر المصدر نفسه ص ٧٢٩/٧٣٠ .

(٣) نشره فان برشم ـ انظر C.I.A. ص ٨٩ ـ ٩٠ وكازانوفا نفس المصدر ص ٦٧٩/٨٠

(٤) Citadelle p. 580

(٥) يظهر هذا السلم فى خريطة نابليون (شكل ١٢) ويشير اليه فعلا نقش جقمق المؤرخ ٨٥١ هـ (١٤٤٨ م) الموجود بطول الحائط المجاور له حيث يقول : أمر بتجديد هذا الدرج أمام باب قلعة =

ثم ينقسم بعد ذلك إلى فرعين يؤدى الأيسر منهما إلى الباب الذى ندرسه والأيمن إلى باب السر الذى نجده بجانب الباب الأوسط الحالى تقريبا (١) وكان على المرء أن يتوقع وجود الصخر منحوتا بالجانب الخارجى للمدرج بعـد أن ينعطف يسارا ليترك فراغا لعـدة أمتار وبذلك يرغم كل اقتراب إلى باب المدرج بالالتصاق بالسور ومن ثم يصبح تحت رحمة المدافعين وهى وسيلة تتبع فى التحصينات وترجع إلى أيام Tiryns and Mycenae (٢) ونجد فى قلعة الرها مثالا من العصور الوسطى بالشرق الأوسط وكذلك فى بيرجيك والمصيلحة (٣) ولهـذا فإن ما يدعو إلى الدهشة هو أن الصخر لم يقطع تبعا لهذه الطريقة كما يمكن أن يرى ذلك فى عدة أماكن (مثلا الجانب الغربى للباب الجديد لوحة ١٢ د) .

جدار السور جنوب باب المدرج :

نجد بأعلى هذا السور وملاصقا للمدخل نقوشا ثلاثة : (لوحة ١٣) اثنان منها منحوتان فى الجدار نفسه والثالث منحوت فى بلاطة وضعت لهذا الغرض ، كما يوجد أيضا مستطيلان غائران ولا بد أنهما كانا يحتويان على بلاطتين أخريين يوما ما بهما نقش وتشير النقوش الثلاثة الباقية إلى أعمال قام بها السلطان جقمق فى ذى القعدة عام ٨٥١ هـ (يناير وفبراير سنة ١٤٤٨ م) ،

= الجبل انظر Van Berchem C.I.A. Egypte pp. 91-2 وكذلك Casanova : op. cit. p. 701-2

ويقول Belon du Mans (١٥٤٨) ان القلعة ترتكز على صخر صلد نحتت فيه درجات ليسهل ارتفاعه وتنسبه تقريبا الدرجات الموجودة بقلعة امبواز انظر ..
Les observations de plusieurs singularités en Grèce Asie etc. fol. 109 a ; Thévenot, Relation d'en Voyage, p. 266 ; Paul Lucas, Voyage I p. 206

ان المنحدر الموصل الى باب المدرج مرصوف اليوم ولهذا يختفى الصخر ولكنه مع ذلك مرصوف على درجات .

(١) يقول القلقشندى عن أبواب القلعـة « والثـانى باب السر ويختص بالدخـول والخـروج منه بأكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكاتب السر ونحوهما يتوصل اليه من الصوة وهى بقية النشز الذى بنيت عليه القلعة من جهه القاهرة بتعريج يمشى فيه مع جوانب جدارها البحرى حتى ينتهى اليه بحيث يكون مدخله من تقابل الايوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب . وهـذا البـاب لا يزال مغلقا حتى ينتهى اليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلق » جـ ٣ ص٣٧٤ انظر ترجمة مستفيلد ص ٨٧ وترجمة كازانوفا القلعة ص ٥٩٣ وعلى ذلك كان ينتج مباشرة الى السور الجنوبى أو القصر كما هو الحالى فى الباب الأوسط .

(٢) Perrot Chipier : History of Art in Primitive Greece, II, p. III.

(٣) عن الأخيرة انظر . Van Berchem and Fatio, Voyage en Syrie, p. 114, Fig. 46, pl. VI.

وقايتباى فى سنة لم تذكر ، وطومان باى فى رمضان عام ٩٠٦ ﻫ (مارس وأبريل سنة ١٥٠١ م) (١) وإلى اليمين منها بقليل (على بعد ١٢ مترا من واجهة الباب) نجد مزغلا ويستمر السور فى خط مستقيم حتى يصل إلى برج نصف مستدير على بعد ٤٢ مترا من واجهة الباب . ومبانى هذا البرج وجدار السور على كلا جانبيه تشابه مبانى برج الركن الشمالى الغربى وجدار السور الذى يسير إلى الجنوب منه . والمبانى كأنها تعديلات صلاح الدين لهذا العمل الجديد فى الجزء المجاور للباب الصغير الذى أشرنا إليه فعلا بجدار الواجهة الخلفية للباب الجديد وإذا عدنا إلى باب المدرج نجد أن مبانى صلاح الدين تمتد رأسا بطول الواجهة الداخلية حتى ظهر البرج النصف المستدير وليس من الممكن فحصه إلى أبعد من ذلك بسبب اختفائه عند هذه النقطة وما يليها خلف مبان رديئة الغرض منها مساندة الجانب الغربى لثكنات الضباط ، ومهما يكن من شىء فمن الواضح أن هذا الجزء على الأقل الذى يظهر كأنه حائط جديد يرى من الخارج هو فى الحقيقة سور صلاح الدين أعيد تدعيمه . ولكن ما الذى حدث للبرج ؟ إن من الممكن دخوله فقط من الخلف زحفا (٢) وإذا فعلنا ذلك نلاحظ عن يمين وعن يسار العتب العلوى الذى يغطى المدخل المؤدى إلى الدهليز الداخلى للحائط (٣) وليس إلى أكثر من ذلك حيث أن مستوى الأرض قد ارتفع بسبب إلقاء المهملات إلى هذا الارتفاع . وإذا تقدمنا قليلا نلحظ عن يمين وعن يسار بداية العقود (٤) التى تغطى الحنايا التى تساعد المزاغل لرمى السهام رمياجانبيا وقد بقى أقل من نصف هذين العقدين ، وينتهى الداخل أمام حائط أملس مشيد من مبان رديئة به مزغل ضيق عميق يكاد يكون مشوها تماما وغير مستخدم بالمرة اللهم إلا فى كمية الضوء البسيطة التى يسمح بها ويتضح الآن أن النصف الأمامى للبرج القديم قد أزيل وأضيفت واجهة جديدة تتأخر عنه بقدر كاف ومزودة بمزغل واحد عديم الفائدة بدلا من ثلاثة صالحة . ويميل المرء إلا أن يسأل

---

(١) نشرها كازانوفا انظر القلعة ص ٧٠١ ـ ٤ ، فان برشم فى C.I.A. مصر ص ٩١ ـ ٤ وعن نقش لطومان باى انظر Mehren نفس المصدر ص ١٩\٢٠ . ويقرأ كازانوفا نقش السلطان جقمق جمادى الأولى عام ٨٥١ ﻫ بدلا من ذى القعدة .

(٢) وجدت أثناء زيارة حديثة أن مدخل هذا البرج قد اقتلع .

(٣) من الواضح أن الدهليز الذى يتجه الى اليمين يخدم المزغل الذى لاحظناه على بعد ١٢ مترا من باب المدرج .

هل تكون بقايا برج صلاح الدين قلب برج الركن الشمالى الغربى كما هو الحال هنا ؟ وعلى كل حال ان الإجابة على هذا يجب أن تكون بالنفى إذ أن وجود برج العادل المربع الكبير يقضى على أى احتمال لوجود برج لصلاح الدين وجدار سور خارجه ذلك الجدار الذى لا بد أنه يجعل من مزاغل طابقه الأسفل مزاغل عديمة الفائدة ويستمر السور من هذا البرج مع تغيير بسيط فى اتجاهه إلى البرج المستدير الكبير الذى يكون طرفا من أطراف الخط الفاصل بين السورين ومايمكن أن يكون باقيا بداخله من أعمال صلاح الدين فهو محجوب فى جانب بالحائط الساند لثكنات الضباط وفى الجانب الآخر بالكسوة التى ترجع إلى القرن ١٦ م على ما يحتمل . وإذا نظف الدهليز الداخلى المكدس الآن بالدبش فإنه يصبح من السهل العثور على الطرف الآخر لمبانى صلاح الدين :

باب القرافة :

يتضح الآن أن القلعة ذاتها — أعنى السور الشمالى له أربعة أبواب هى :

١ — باب المدرج :

٢ — الباب الذى اكتشفته عند برج المطار :

٣ — الباب الذى اكتشفته عند برج الإمام .

٤ — باب القُلّة : الباب الداخلى الحالى (الأوسط) (١) الذى يصل بين السور الجنوبى والشمالى :

غير أن المصادر العربية تتحدث عن ثلاثة فقط وهى باب المدرج وباب القلة وباب القرافة ويضاف إليها باب السر الذى يفتح على السور الجنوبى فى القلعة أوسور القصر والذى لا بد أنه كان قريبا جدا من موقع الباب الأوسط الحالى وعلى ذلك لا بد أن باب القرافة كان أحد الأبواب التى اكتشفتها (انظر رقم ٢ أو ٣ أعلاه) فأيهما ؟

---

(١) يحمل نقشا باسم محمد على تاريخه ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ — ٧ م) ويتضح أن العقد وحليته البارزة من عمله . ومهما يكن من شىء فان هذا هو كل ما يمكن أن ينسب اليه لأن الأبراج المتعددة — الأضلاع التى تحيط به قد أشار اليها بيكوك عام ١٧٢٥ م اذ يقول : على جانبى الباب الأوسط برج من عدة أضلاع Description of the East I p. 32 وواضح أنها من نفس تاريخ البرج المتعدد الاضلاع التالى لبئر يوسف .

يصف العمرى (١) باب القرافة هكذا « يدخل إلى القلعة من بابين أحدهما بابها الأعظم مواجه القاهرة والثانى ينفذ إلى القرافة بينهما ساحة فسيحة جانبها يتجه إلى الشرق . وإلى الشمال بيوت تتجه نحو الشمس وجنوبها سوق للمأكل » (٢).

ويضيف القلقشندى (حوالى ١٤١٢ م) بعض تفاصيل فيقول : ولها ثلاثة يدخل منها إليها أحدها من جهة القرافة والجبـــل المقطم وهو أقل أبوابها سالكا وأعزها استطراقا » (٣) وتشبه عبارة المقريزى ما قاله العمرى « ويدخل إلى القلعة من بابين أحدهما بابها الأعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج . . والباب الثانى باب القرافة وبين البابين مساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق للمأكل » (٤) .

ونجد الآن أن العبارة المنقولة عن المقريزى تطلق على القلعة اسم قلعة الجبل كما بين كازانوفا (٥) وتشير إلى السور الشمالى فى حين أن الجنوبى الذى لم يشيد على الصخر كالسابق سمى بالقلعة فقط .

ويمكننا الآن أن نوضح النقط الآتية فيم يتعلق بباب القرافة :

١ ــ أنه كان يؤدى إلى السور الشمالى .

٢ ــ وأنه كان فى مقابل باب المدرج .

٣ ــ وأنه كان يواجه المقطم والقرافه .

٤ ــ وأنه كان نادر الاستخدام وكان من الصعب جدا الوصول إليه .

ويضعه كازانوفا فى الزاوية المرتدة المكونة من السور الشمالى والجنـــوبى على الجانب المواجه للمقطم وبجوار باب الجبل مع أنه لايذهب بعيدا ليحققه بالباب الآخر كما هو الحال الآن . وعلى العكس من ذلك اقترح أن الباب الأخير كان بالضلع المقابل لبرج المقطم فى عهد نابليون ومن ثم نقل من مكانه (٦) . ويدل

---

(١) مؤلف مسالك الأمصار عاش من ٦٩٧ هـ الى ٧٤٩ هـ (٨/١٢٩٧ الى ٩/١٣٤٨ م) .

(٢) نشرها وترجمها كازانوفا فى Citadelle ص ٦٦٨ عن مخطوطة رقم ٥٨٣ بالمكتبة الاهلية بباريس .

(٣) ص ٣٧٤ وترجمة وستنسفيلد ص ٨٧ . نشر كازانوفا النص العربى . المصدر نفسه ص ٦٨٦ .

(٤) النصوص جـ ٢ ص ٢٠٤ سطر ٦/٣٤ وترجمة كازانوفا المصدر نفسه ص ٥٧٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ٥٧٨ .

(٦) شرحه ص ٣\٥٨١ .

فحص خريطة نابليون (شكل ١٢) على أن باب الجبل كان فى موضعه الحالى ويؤكد هذا اللوحة المنشورة عنه رقم ٦٩ (نشرها كازانوفا تحت رقم ١٠٢) والتى تبين منظرا داخليا للسور الشمالى مأخوذا من داخل الباب الأوسط تماما :

ويسير جزء من جدار السور إلى برج المقطم كما يسير الجدار الخارجى للسور من البرج الأخير فى اتجاه اليسار ومما يؤكد أن جدار السور هذا قد شوهد من الداخل الحقيقة الماثلة فى ظهور طواقى المزاغل المقبية بها وكذلك مدخل برج المقطم الذى يمكن رؤيته اليوم مواجها للشمال الغربى ، وكذلك المدرج الصاعد إلى ممشى الدروة .

ومن الواضح أن كازانوفا قد أخذ هذا المنظر ليمثل الزاوية المرتدة خارج برج المقطم كما يدل على ذلك عنوان لوحته التى سماها باب الجبل (باب القرافة القديم) فى عام ١٧٩٨ م .

ولا يمكن أن يكون هذا الباب قد نقل من موضعه فى تاريخ مبكر إذ لا يوجد ما يدل على وجود باب مسدود أو جزء جديد من جدار السور فى المكان المجاور المشار إليه . والحقيقة أن جزء السور موضوع البحث (لوحة ٣) بين برج المقطم برج الصفة متماسك تماما وواضح أنه من عمل صلاح الدين ويندر أن يكون باب القرافة هو برج المطار إذ لا يمكن أن يوصف هذا فى مقابل باب المدرج (انظر شكل ١) لم يكن الوصول إليه من الصعوبة بمكان على الإطلاق . ولا نريد أن نتعب أنفسنا فيما يتعلق بالنقطة الثالثة إذ أنها أمر غير ممكن إذ لا يمكن لباب يواجه المقطم (أى شرقا) لا يمكن أن يواجه القرافة (أى غربا) ولذلك استنتج أن باب القرافة كان الباب الموجود عند برج الإمام الذى هو فى مقابل باب المدرج والمواجه للمقطم والذى يصل إليه المرء عبر خندق محفور فى الصخر .

وفيما يتعلق للباب الآخر المسدود (برج المطار) يدل عدم ذكره عند العمرى والمقريزى والقلقشندى على أنه كان مسدودا فعلا قبل عام ١٣٤٤ م حيث اعتبر الباب الآخر ذو أهمية دعت العادل إلى إعادة تدعيمه .

ملخص وتحليل :

بعد أن فحصنا كل جوانب السور الشمالي يمكننا الآن أن نلخص النتائج التي وصلنا إليها فيما يلي :

١ – يجب أن ينسب إلى صلاح الدين الجزء الطويل من السور الموجود به الأبراج نصف المستديرة والذى يبدأ من الجانب الشرقى لبرج المقطم ويستمر بالجانب الجنوبي والشرقى والشمالى للسور حتى ينعطف ويقف فجأة أمام الجزء الذى أصبح فيما بعد قاعة العزل بالمستشفى . ويرجع اليه أيضا البابان – السريان والجزء الداخلى من برج القرافة ، وباب المدرج وكذلك جدار السور الذى يبدأ منه فى اتجاه الجنوب مشتملا على الجزء الخاني للبرج نصف المستدير بين الباب الأخير والباب الأوسط وبعبارة أخرى كان سور صلاح الدين متكاملا قويا متينا كما سمح له الوقت بعمله وتركه (إلى الأبد كما يدل ذلك) عندما دعى إلى فلسطين فى ١١ مايو سنة ١١٨٢ (١) بسبب ظروف حرجة أثناء حروب الصليبيين ليبدأ عدة حملات توجت باستيلائه على بيت المقدس فى شعبان عام ٥٨٣ هـ (أكتوبر ١١٨٧ م) وقرر أخوه وخلفه العادل فى وقت هدوء نسبى القيام بعمل تحصينات أخرى للمدن الرئيسية والنقط الاستراتيجية بالامبراطورية (٢) معتمدا على الموارد التى استولى عليها كرئيس للدولة الأيوبية ولا تزال تحمل قلعة حلب و دمشق وبصرى وعجلون والقاهرة شواهد من نشاطه .

٢ – يجب أن ينسب إلى العادل الأبراج الثلاثة الكبيرة بالضلع الجنوبى وبرج الصفة وبرج كركيليان وبرج الطرفة والزيادات الموجودة بباب القرافة والجزء الخارجى لبرج الرملة وبرج الحداد والجزء الداخلى لبرج الصحراء والبرج الكبير الذى نرى قاعدته فى (لوحة ١١ ب) (٣) والبرجين المربعين الكبيرين بالركن الشمالى الغربى للسور . لقد كملت أعمال العادل كما رأينا سابقا فى عام ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ / ٨م) .

٣ – وأعتقد أنه يجب أن ننسب إلى جانبلاط وطومان باى فى عام ٩٠٦ هـ

---

(١) ابن الاثير جـ ٩ ص ٣٢٩ وابن شداد : سيرة صلاح الدين طبعة شولتسز ص ٧٨ والمقريزى الخطط جـ ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) أبو الفداء ضمن مجموعة Recueil des Historiens orientaux des Croisa des I p. 84
المقريزى السلوك طبعة زيادة ص ١٦٨ ، سطر ١٧ وبلوشيه ترجمة نفس المصدر جـ ١ ص ١٤١ .

(٣) فى الأصل الانجليزى .

١٥٠١ م الكسوة المضافة إلى الواجهة الجنوبية ابتداء من برج الصحراء إلى الغرب وكذلك سد باب القرافة .

٤ ــ وأنسب الى تركى مجهول لنا فى القرن ١٦ م ، ١٧ م برج المقطم والبرج المهدم جزء منه المجاور للباب الأوسط وكذلك جزء جدار السور الصلد بينهما بما فى ذلك الأبراج المتعددة الأضلاع التى تحيط بالباب الأوسط وليس المدخل المعقود نفسه وكذلك برج الركن الشمالى الغربى المستدير وجدار السور الذى يربطه بباب المدرج وكسوة ذلك الباب وإعادة كسوة جزء من واجهة الحائط المتجه منه إلى الجنوب .

٥ــ ويجب أن ينسب الى محمد على جدار السور الضخم المحيط بحدائق قصره وينتهى عند برج الركن الشمالى الغربى وكذلك المدخل المعقود للباب الأوسط والزلاقة المضافة إلى الواجهة الجنوبية على كلا جانبى برج كركيليان وإعادة جزء من جدار السور بالضلع الغربى لبرج المطار وأغلب دروات السور .

السور الجنوبى :

لانزال فى حاجة إلى دراسة كل شىء بالسور الجنوبى ومن الواضح أن حدوده الحالية أكبر من حدود السور الشمالى ولذلك نجد خط الحدود الأصلية لصلاح الدين داخله ولقد قلت (بداخله) للأسباب الآتية :

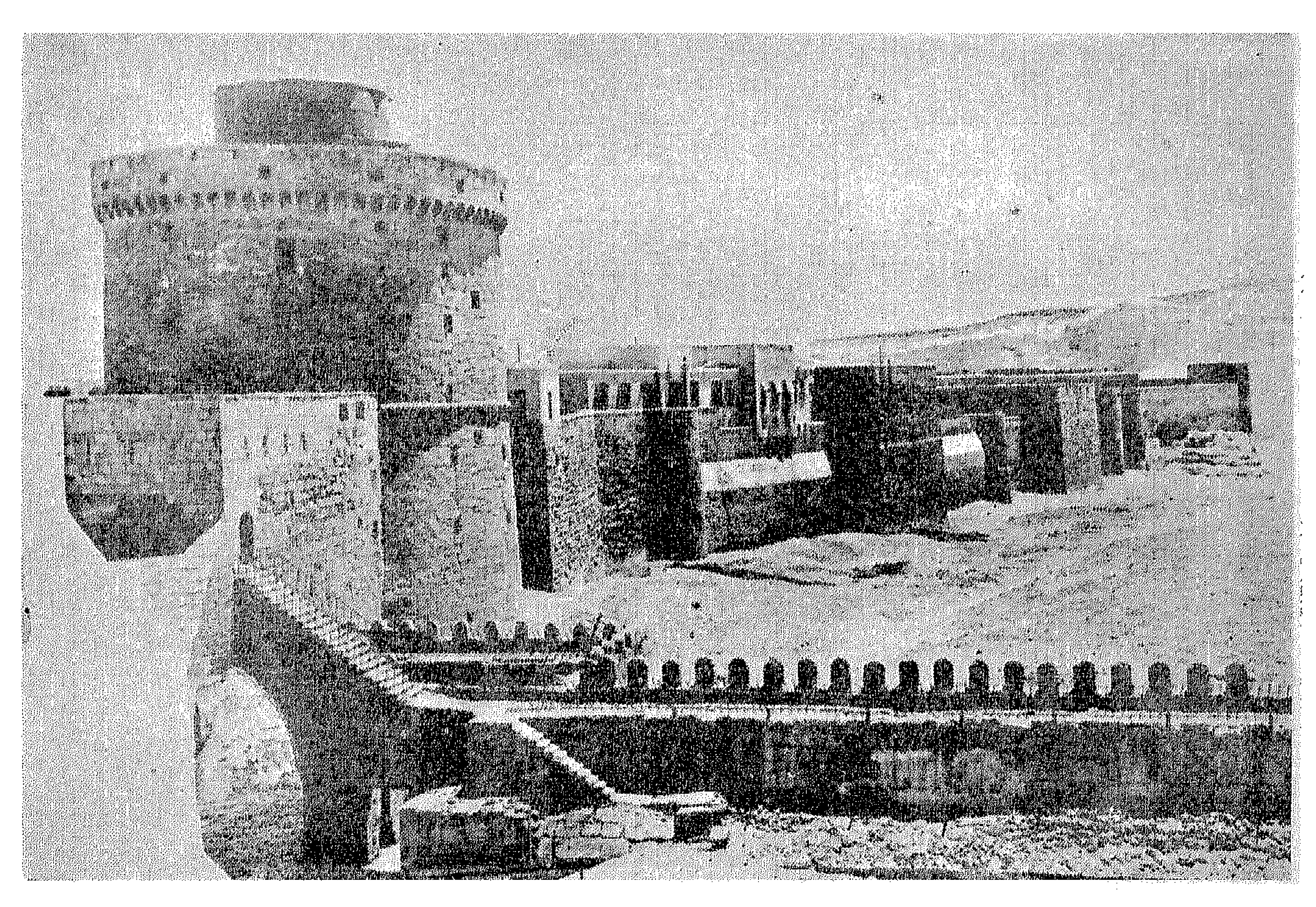
يذكر عماد الدين كاتب صلاح الدين والذى لابد أن الوثائق الرسمية كانت تحت يده أنه شاهد فى ديوان الحسبة تفاصيل امتداد تحصينات صلاح الدين التى يريد عملها فقال إن محيط القلعة كان ٣٢١٠ أذرع هاشمية وهو الذراع الذى يعادل ٦٥ر٧ سم أى أنه ٢١٠٣ر٧٦ من المتر . ولقد رأينا الآن أن قسما واحدا من سور (قلعة) صلاح الدين يكون ثنية كبيرة يتجه أحد أطرافها إلى برج المقطم والآخر إلى البرج الكبير بمحاذاة الباب الأوسط ويمكن قياس سجل طول هذه الثنية بسهولة حيث أن حدود الجزء الذى اقتطعه محمد على سجل على خريطة نابليون ومقياسها تقريبا هو ١٤٠٠ مترا وعلى ذلك يجب أن يكون فى التقدير حوالى ٦٥٠ مترا تقريبا . ومن السهل أن نرى أن ٦٥٠ مترا هذه يمكن أن تكون سورا أصغر بكثير من السور الجنوبى البالغ طوله ١٣٠٠ مترا أى ضلعه تماما . وفى اعتقادى أن جزءا من جدار سور صلاح الدين لايزال مردوما فى الجزء السميك جدا من الجدار الموجود بين برج المقطم والبرج المتأخر فى الزمن الذى يستر (يحجب) البئر المعروف باسم بئر يوسف .

ومن آثار المبانى التى كانت لاتزال موجودة منذ سنوات قليلة والتى ترى خلال الأنقاض والحصباء الموجودة بالخارج وإلى الغرب من الباب الأوسط يمكن أن أقول إن أعمال حفر عند هذه النقطة قد تؤدى إلى نتائج سارة ومن المؤكد أن البرج الموجود به النسر الذى لارأس له متأخر عن عصرى صلاح الدين والعادل. وكذلك يتأخر كثيرا فى الزمن جدار السور إلى الجنوبى منه ويربط هذا البرج بالبرج الذى يحمل نقش الناصر محمد وعلى منسوب يتساوى مع السطح الخارجى لكل منها وقد أوضحت نقطة الاتصال بفاصل رأسى كامل فى المبانى ، ومن الواضح أن هذا قد بنى متقدما عن جدار سور سابق يكون هذان البرجان بروزا له .

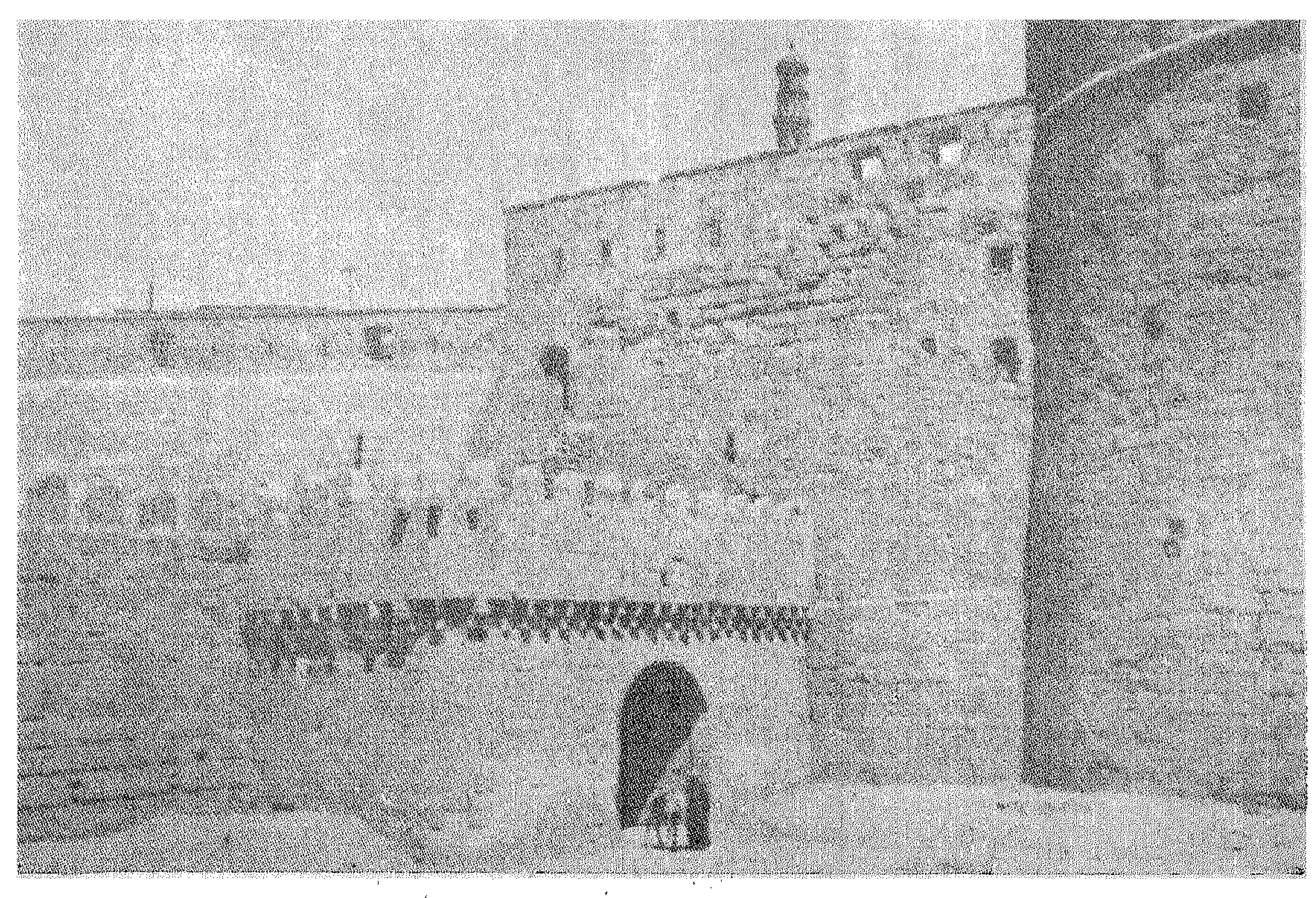
اللوحات



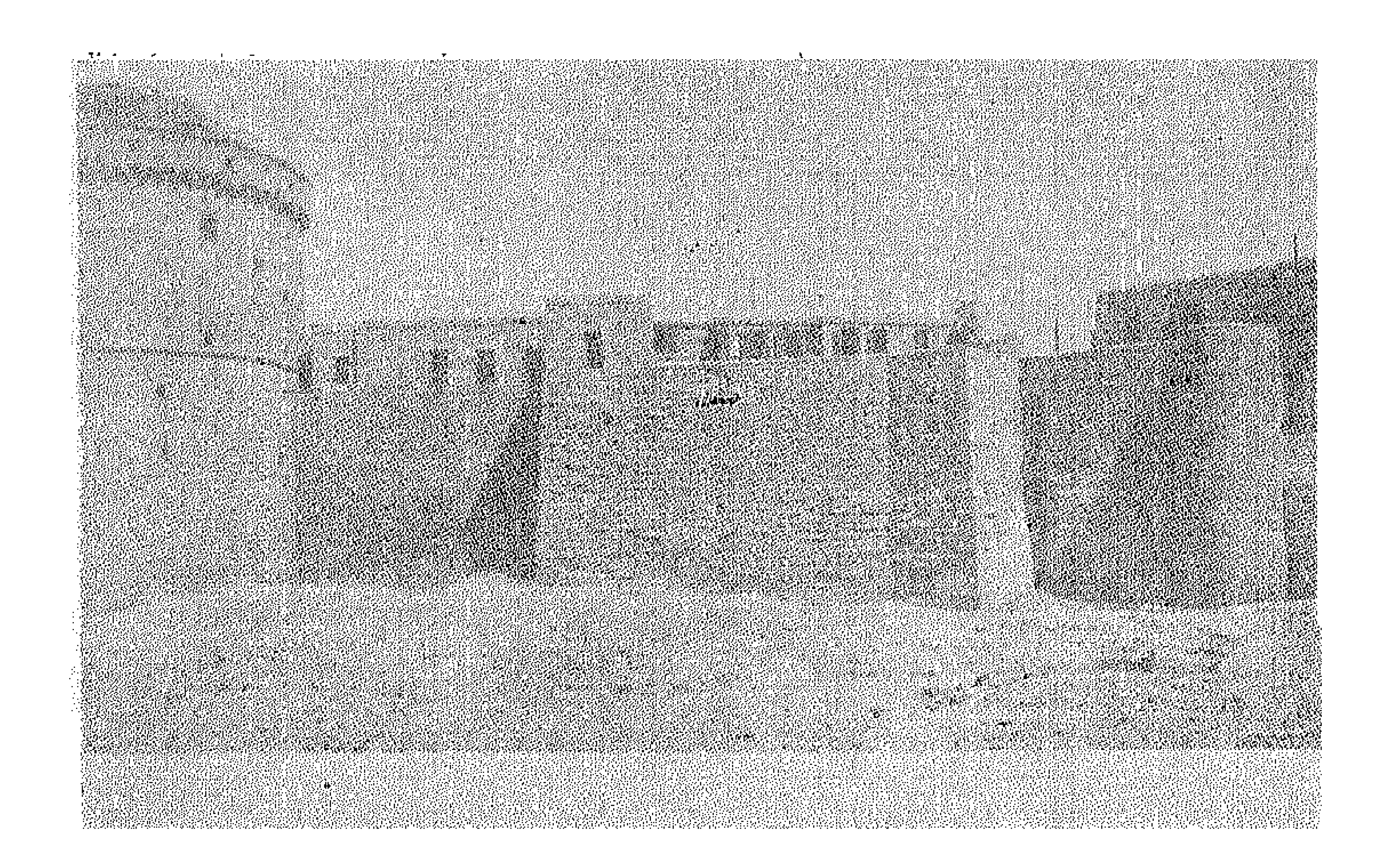
لوحة (١) ـ القلعة من المقطم عام ٥٧٢ هـ ومابعدها (١١٧٦ ومابعدها)



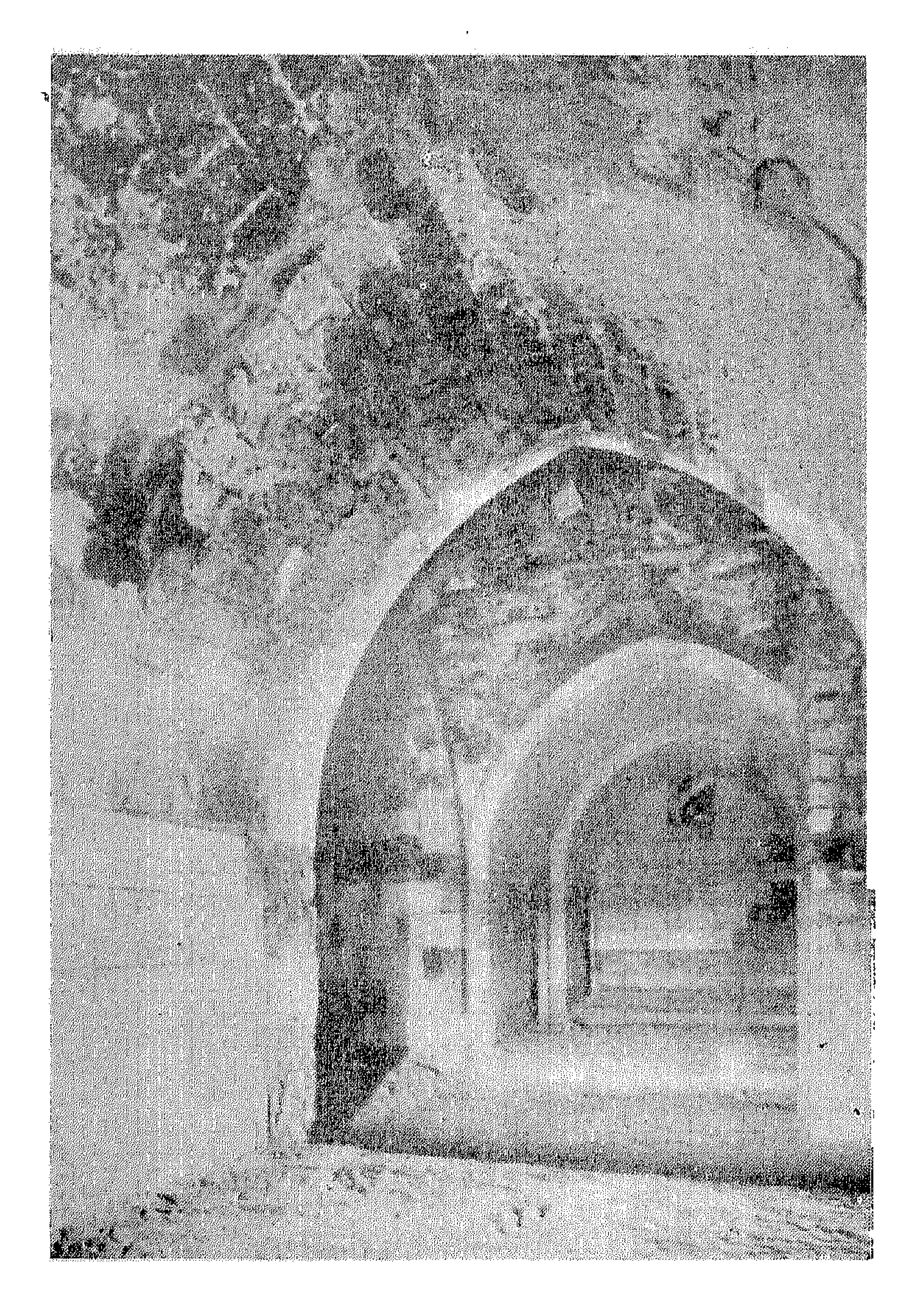
لوحة (٢) ـ أ ـ السور الشمالى ـ الواجهة الجنوبية (من أعلى باب المقطم)



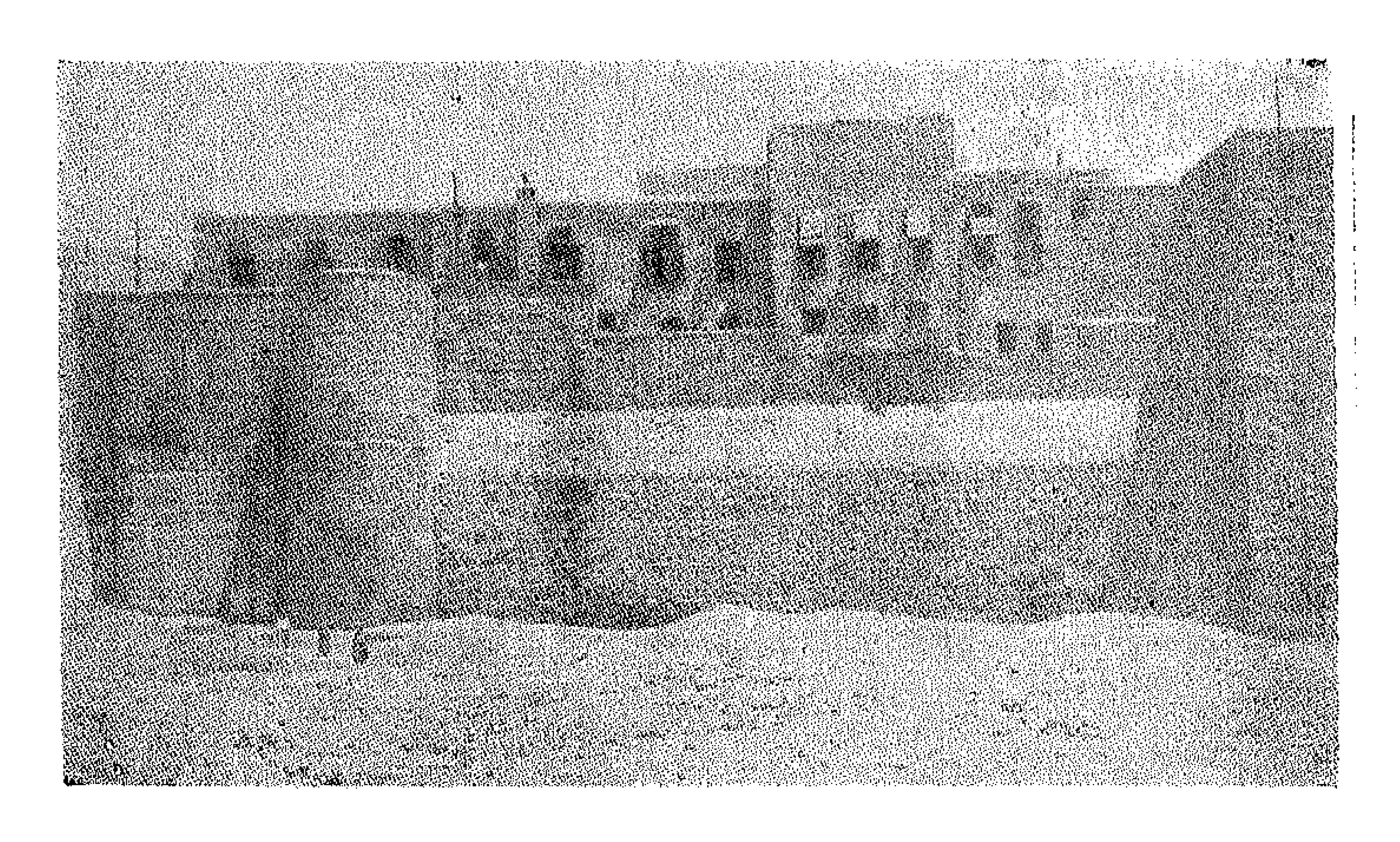
لوحة (٢) ـ ب ـ باب المقطم من الخارج بناه يكن باشا عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥/٨٦ م)



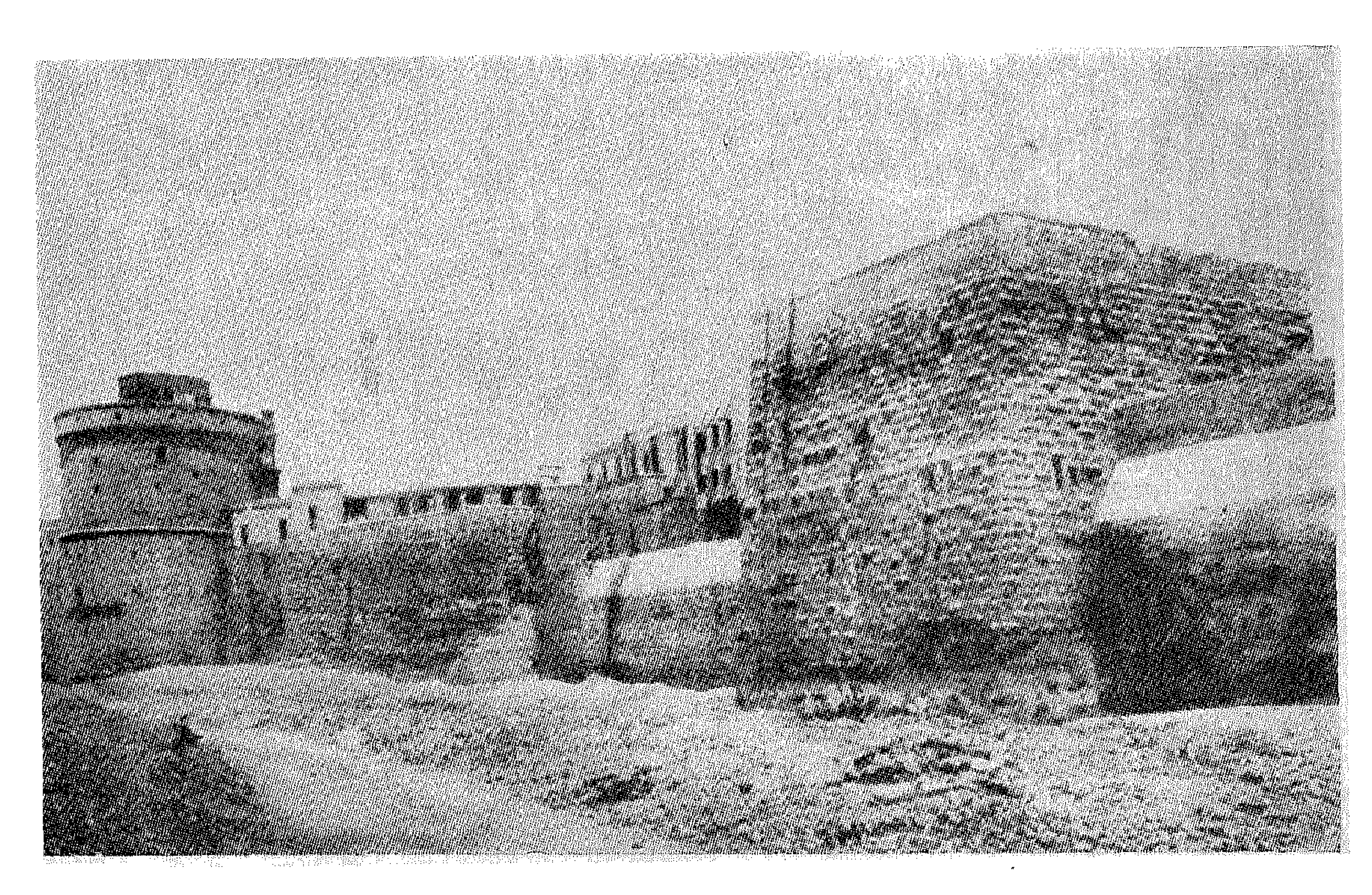
لوحة (٣) - أ - المقطم وبرج الصفة وبرج العلوة .



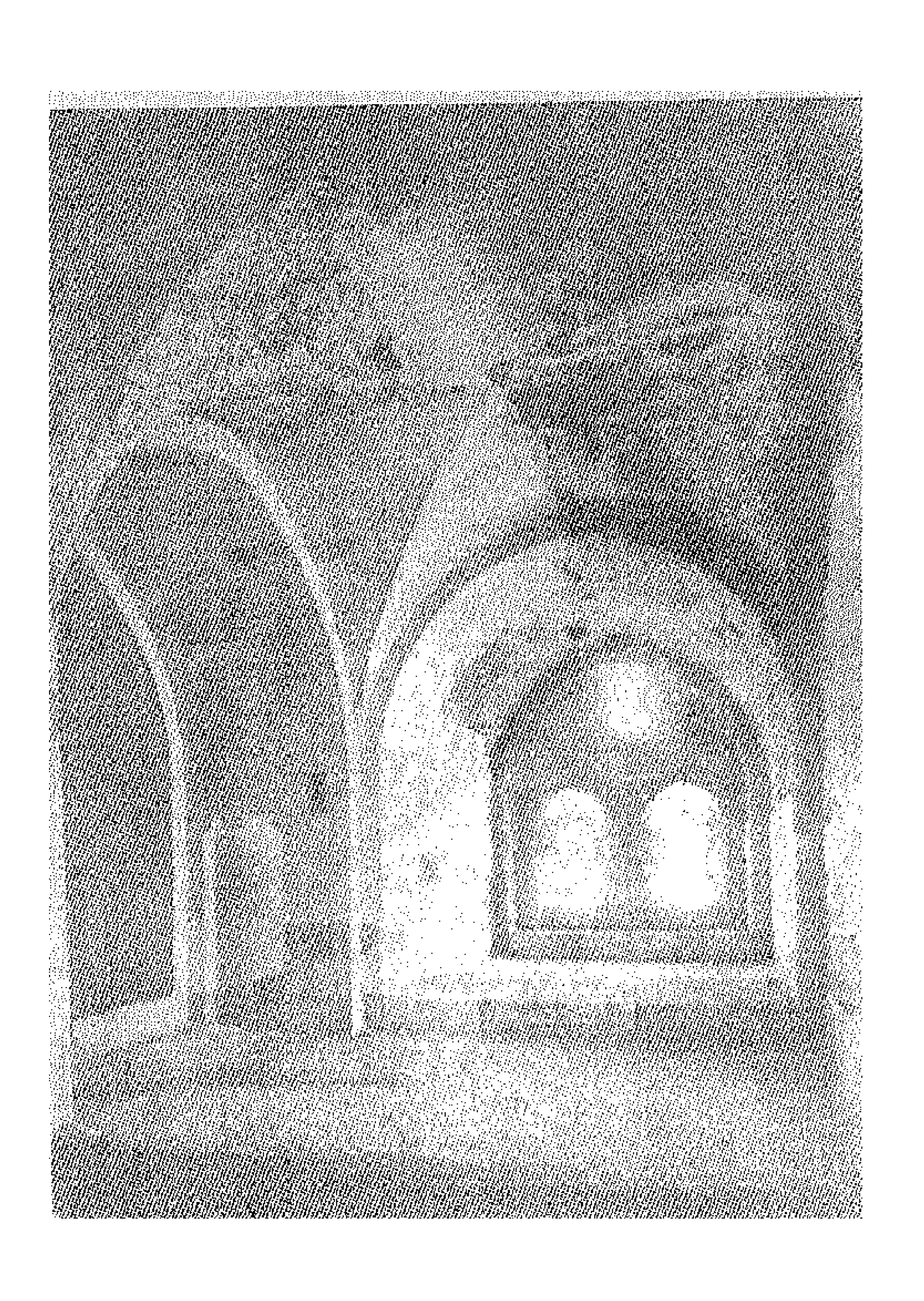
لوحة (٣) - ب - برج الصفة : القاعة الوسطى المتعامدة التخطيط نحو الشمال .



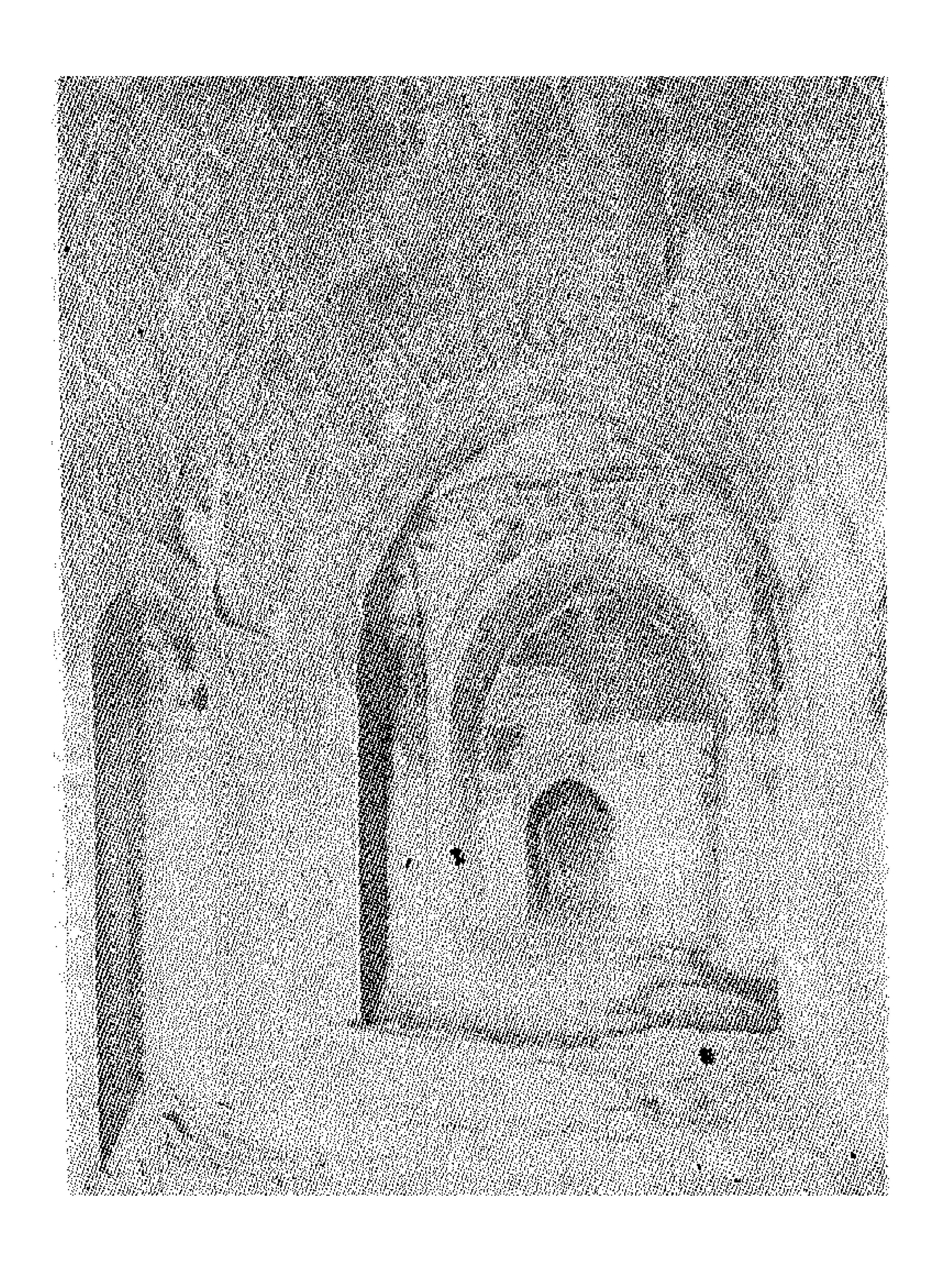
لوحة (٤) ـ أ ـ السور الشمالى ، الواجهة الجنوبية توضح برج الصفة
وبرج العلوة وبرج كركيلان



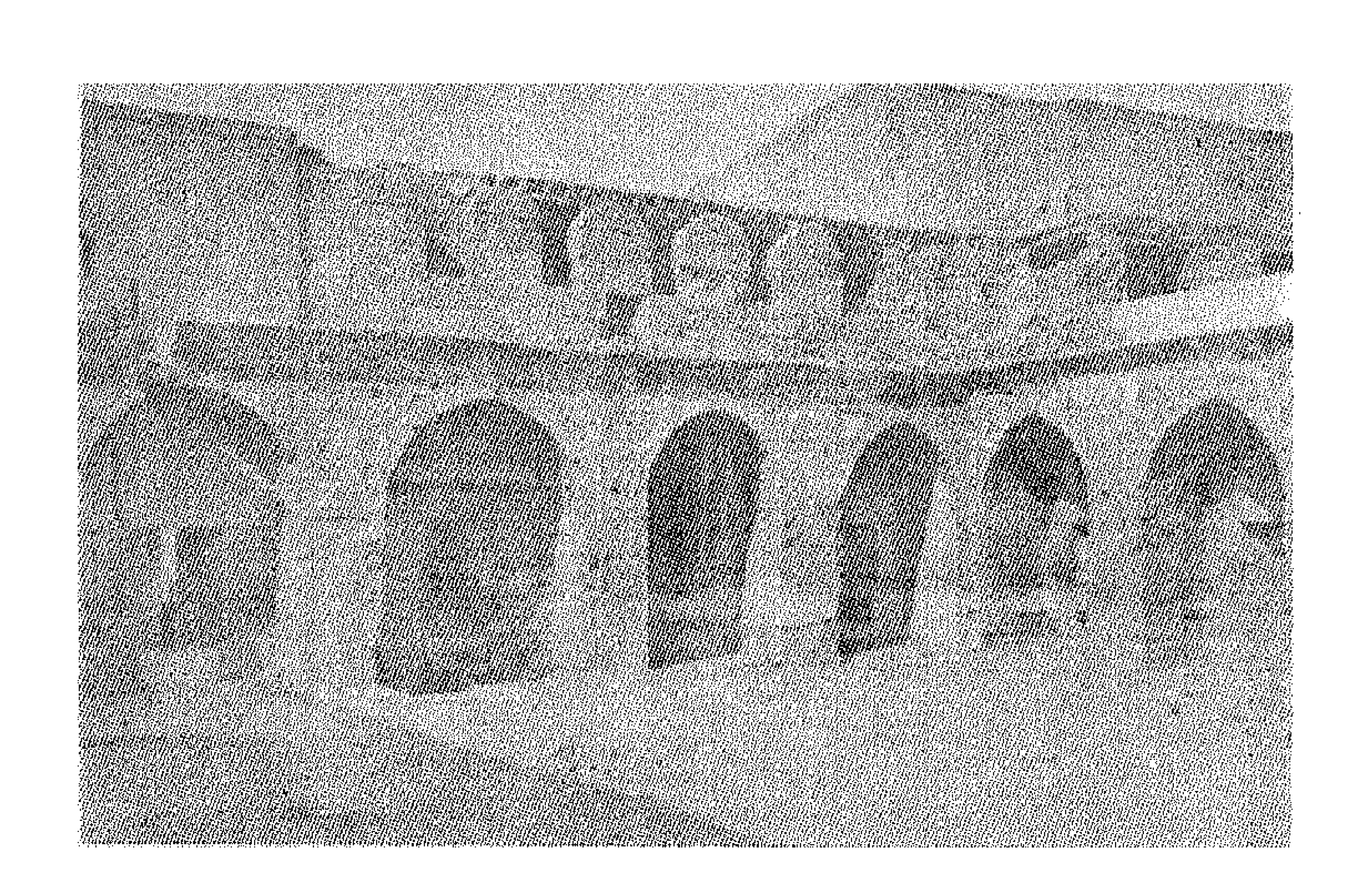
لوحة (٤) ـ ب ـ الواجهة الجنوبية توضح برج المقطم وبرج الصفة
وبرج العلوة وبرج كركيلان



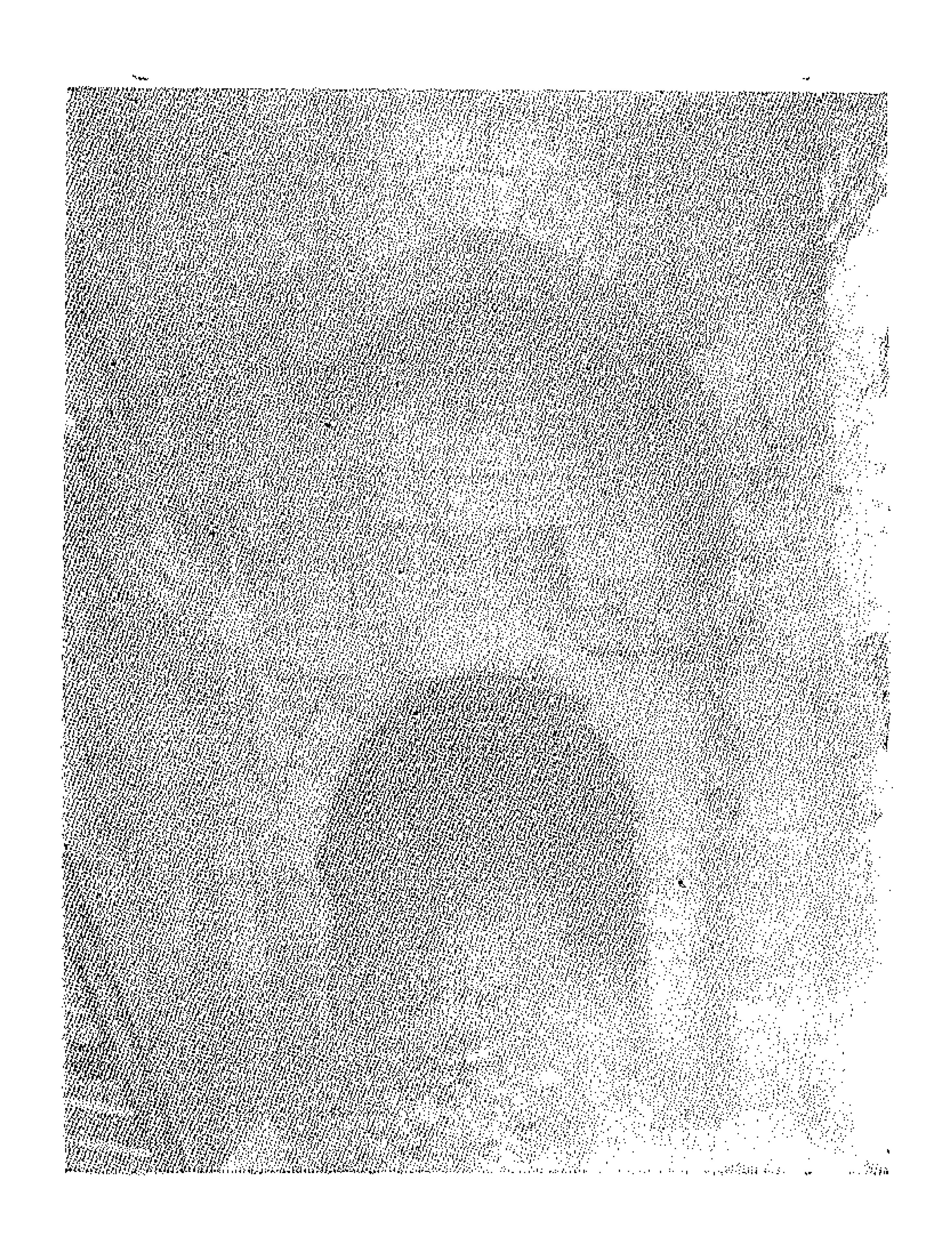
لوحة (٥) ـ أ ـ برج كركيلان : الطابق العلوى نحو الشرق



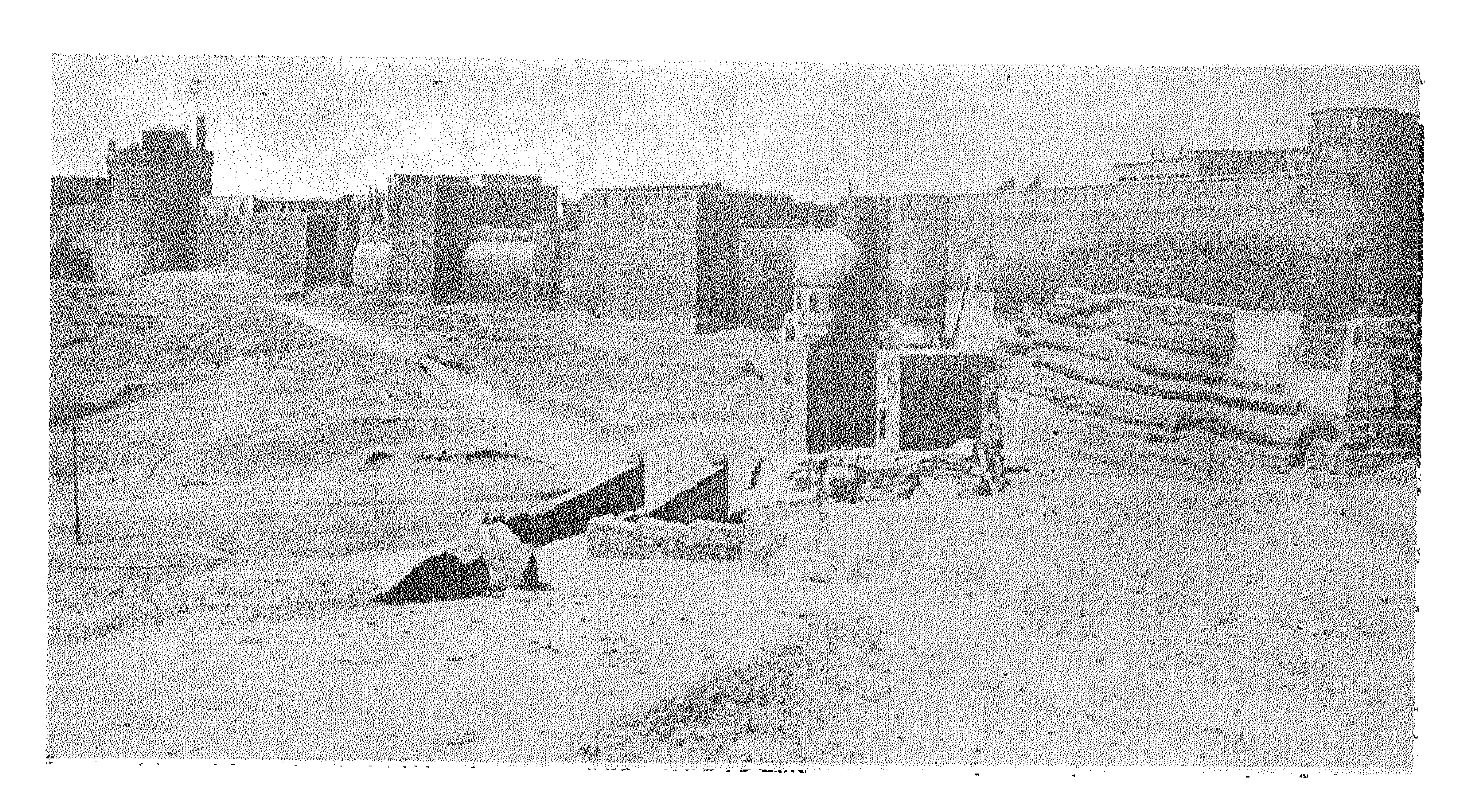
لوحة (٥) ـ ب ـ برج كركيلان : الطابق السفلى نحو الشمال



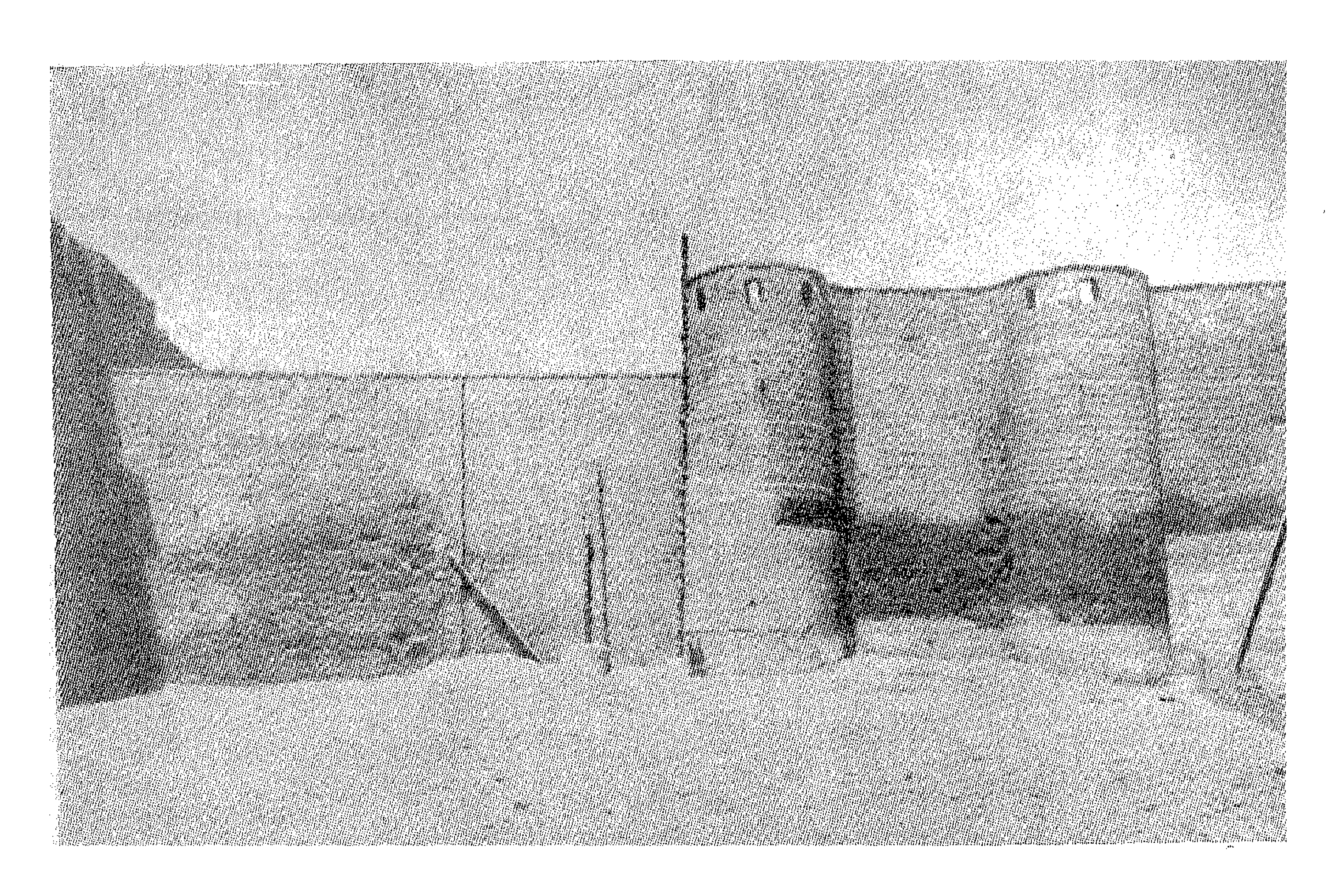
لوحة (٥) جـ ـ برج كركيلان : السطح ـ الركن الشمالى الغربى



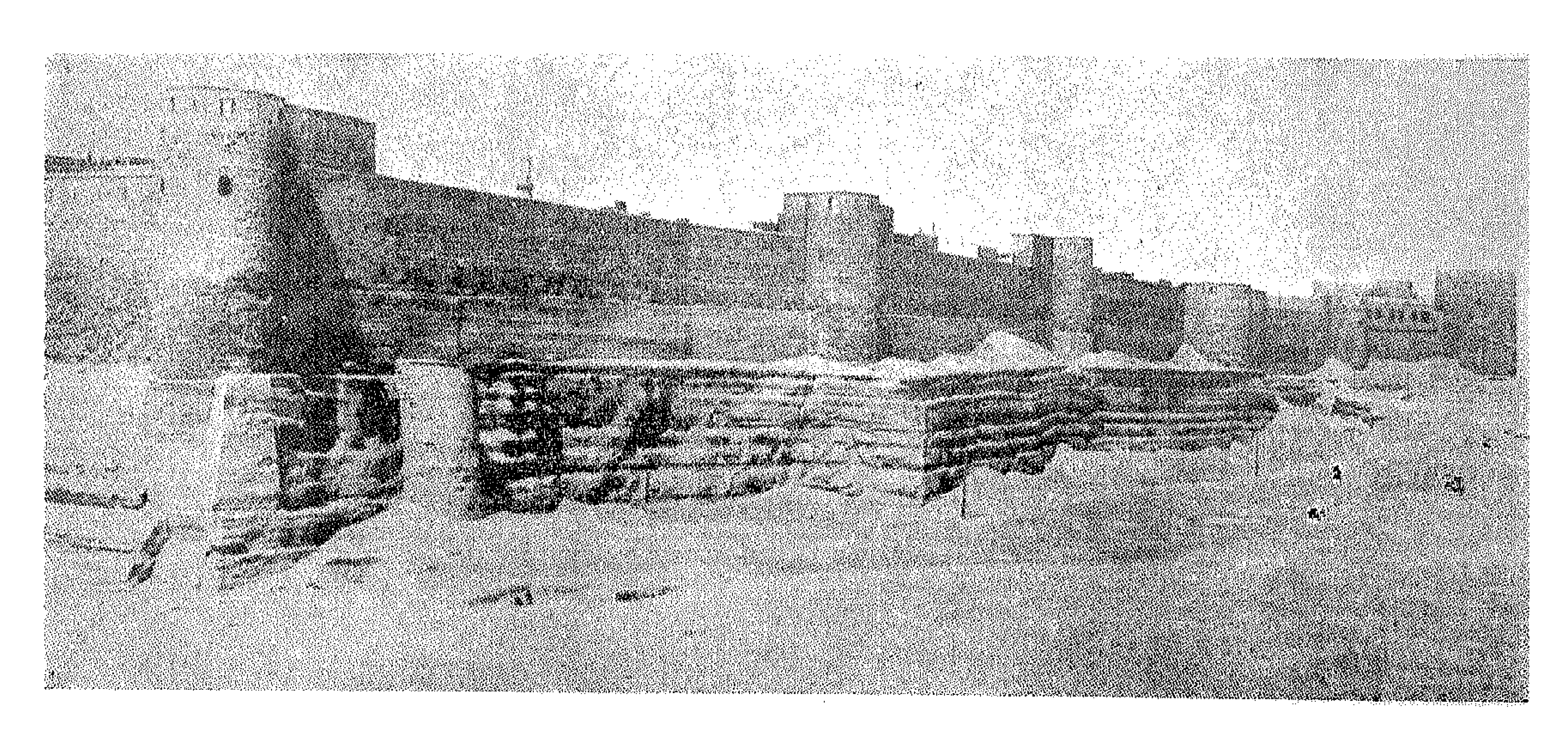
لوحة (٦) أ – برج المطار والمدخل المزود .



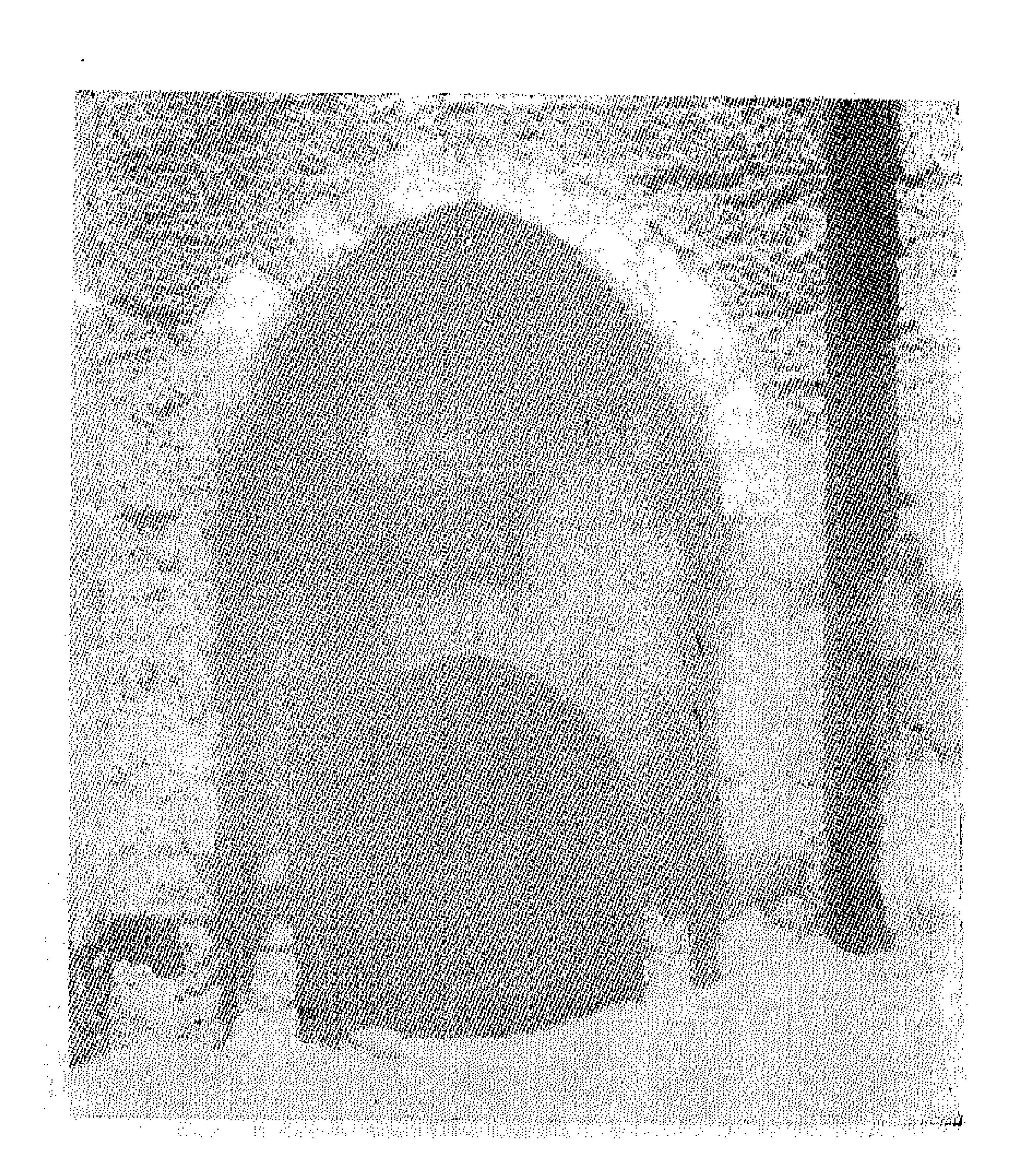
لوحة (٦) ب – السور الشمالى : الواجهة الجنوبية توضح : (١) باب المقطم ، (٢) برج المقطم ، (٣) برج الصفة ، (٤) برج كركيلان ، (٥) الطرفة ، (٦) برج المطار ، (٧) برج المبلط



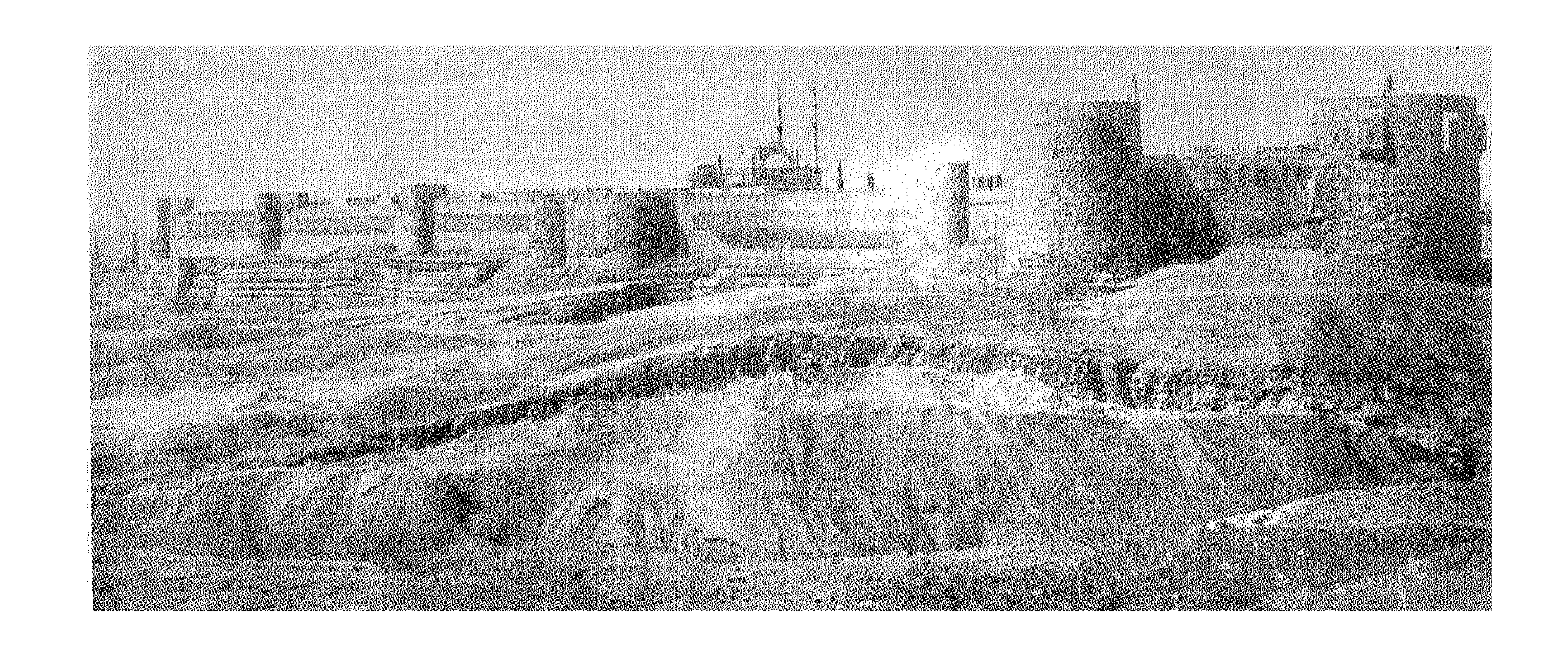
لوحة (٦) ج ـ برج المطار ـ الواجهة الخارجية

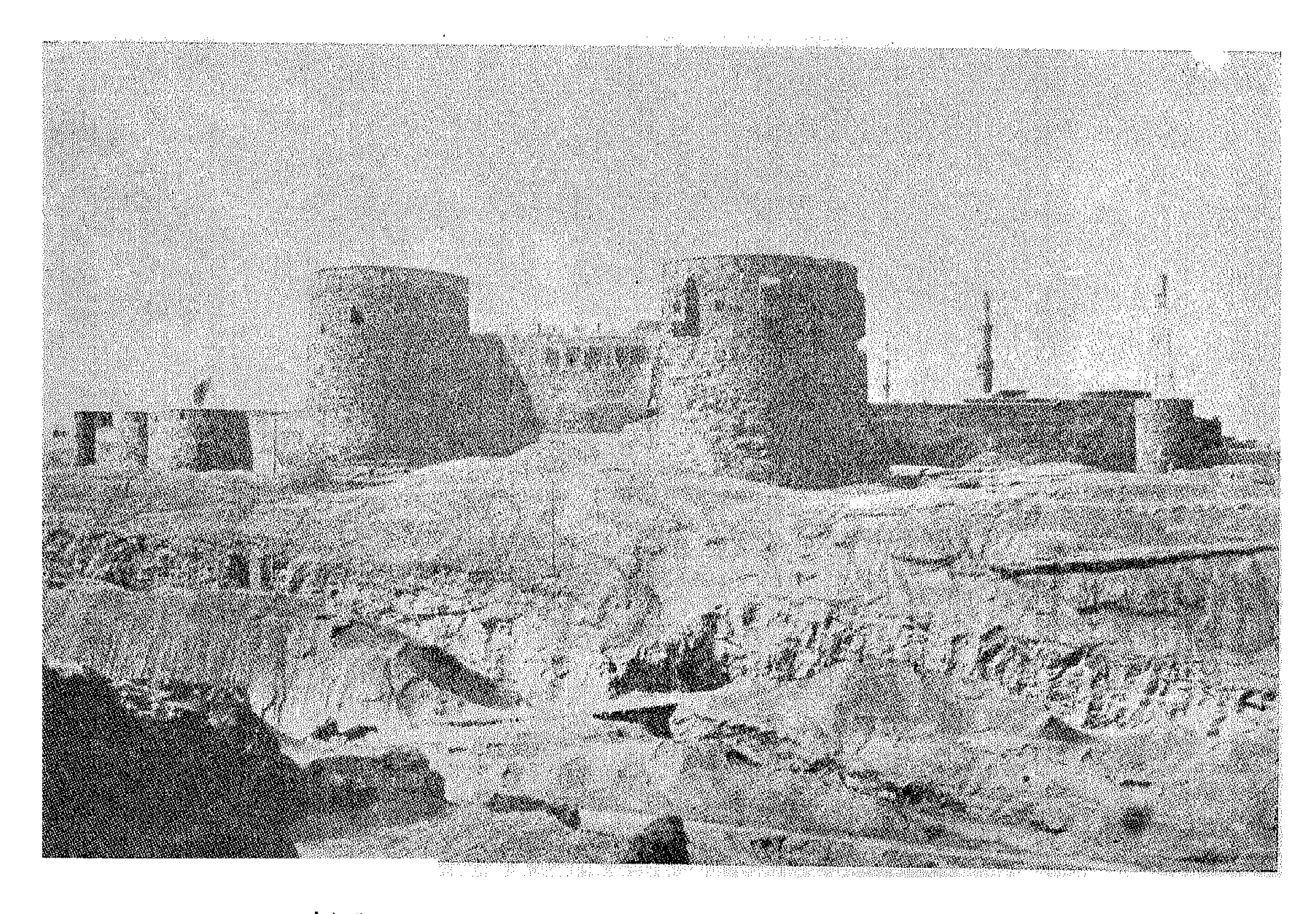


لوحة (٧) أ ـ السور الشمالى : الجانب الشرقى : (١) برج المبلط ، (٢) برج المقوصر ،
(٣) برج الامام ، (٤) برج الرملة

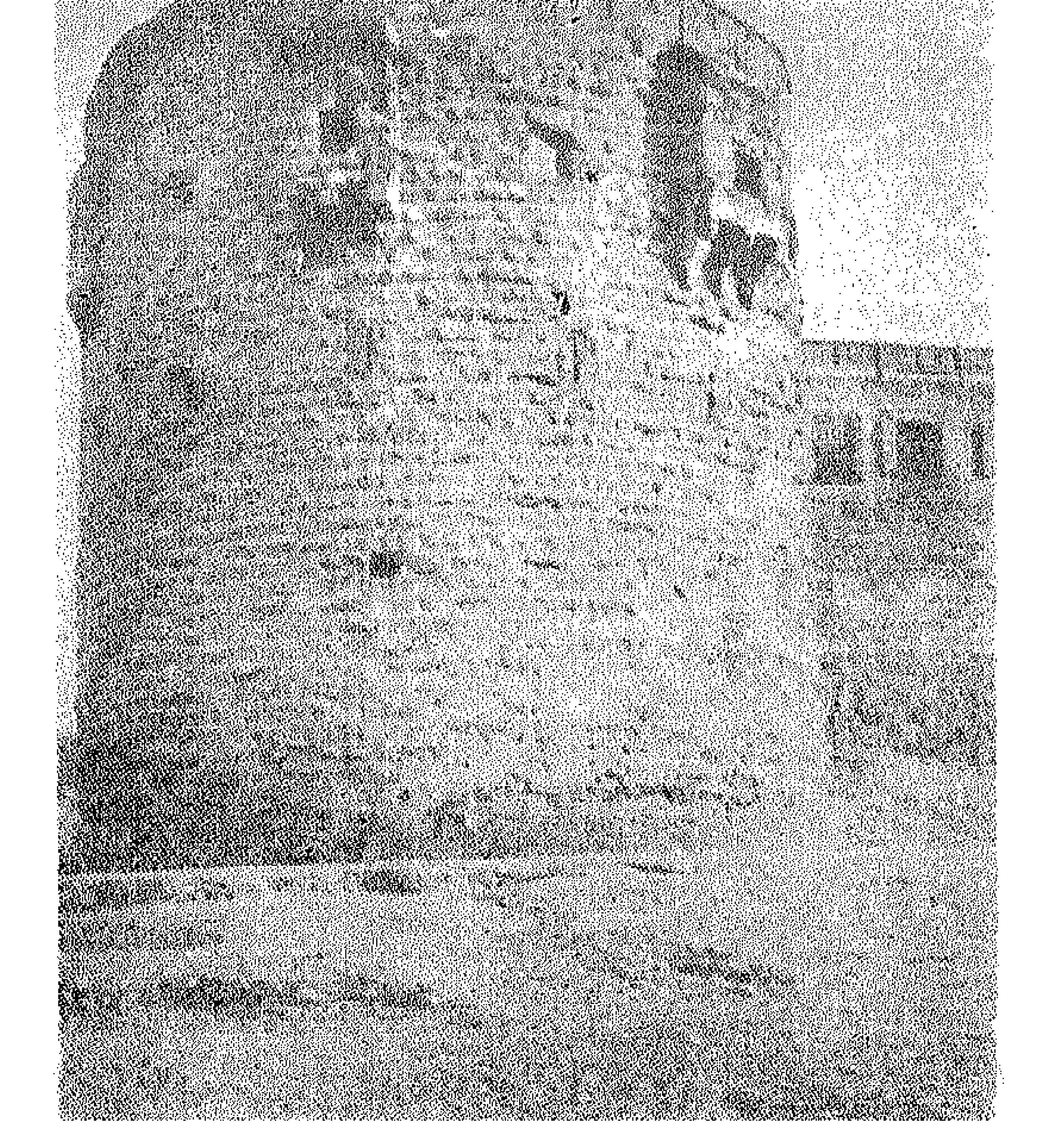


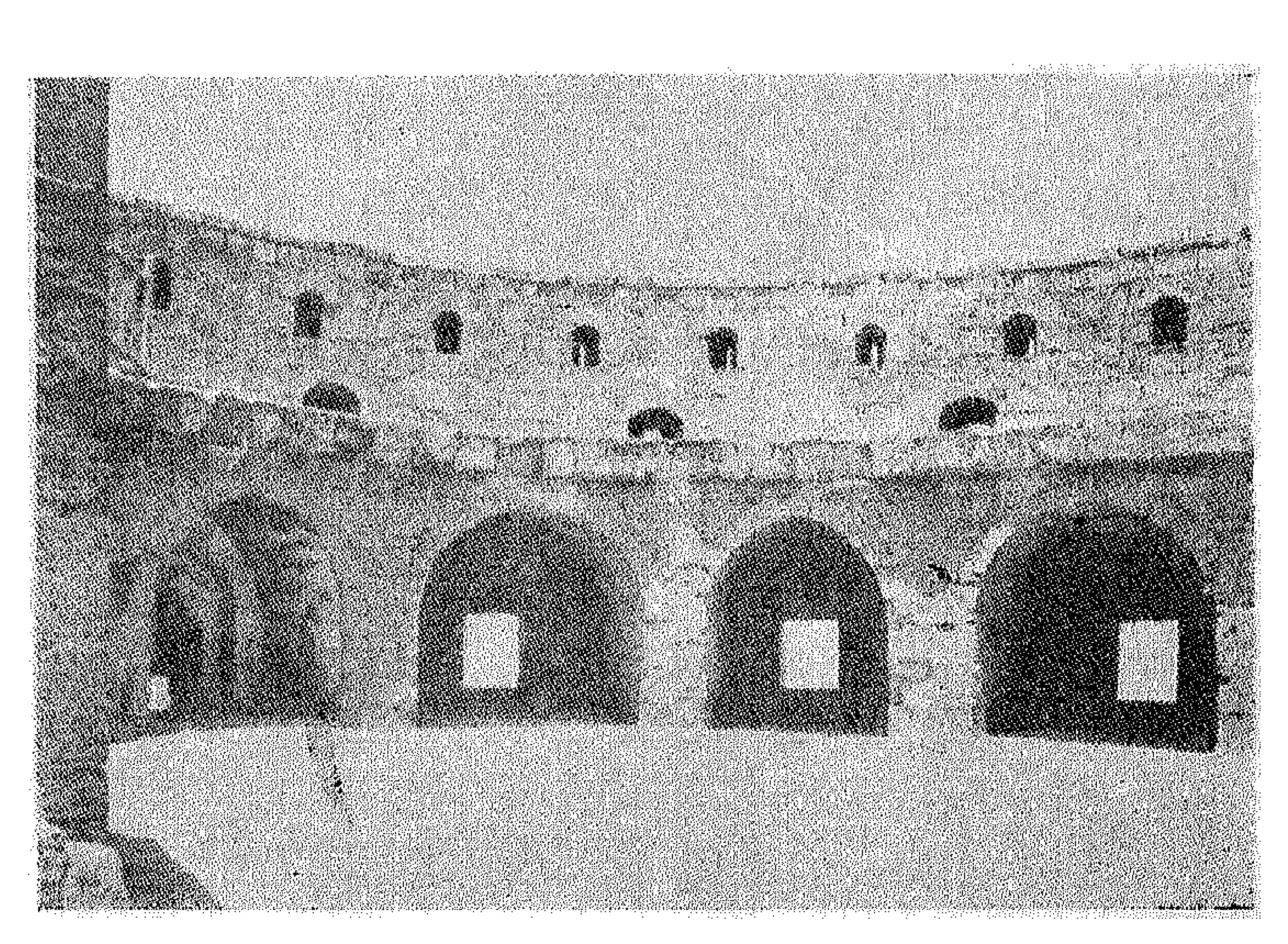
لوحة (٧) ب ـ برج الامام ـ المدخل المزور

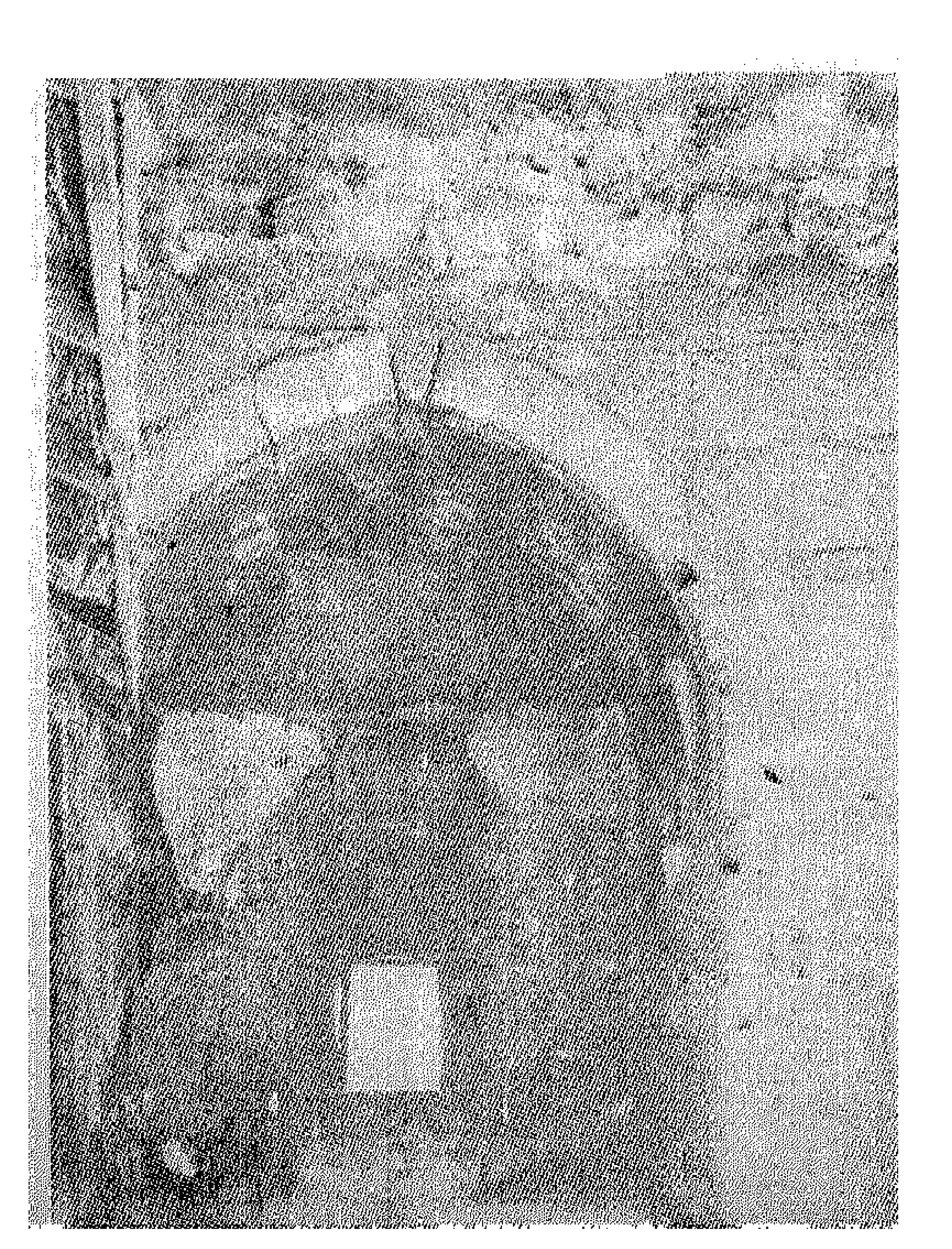


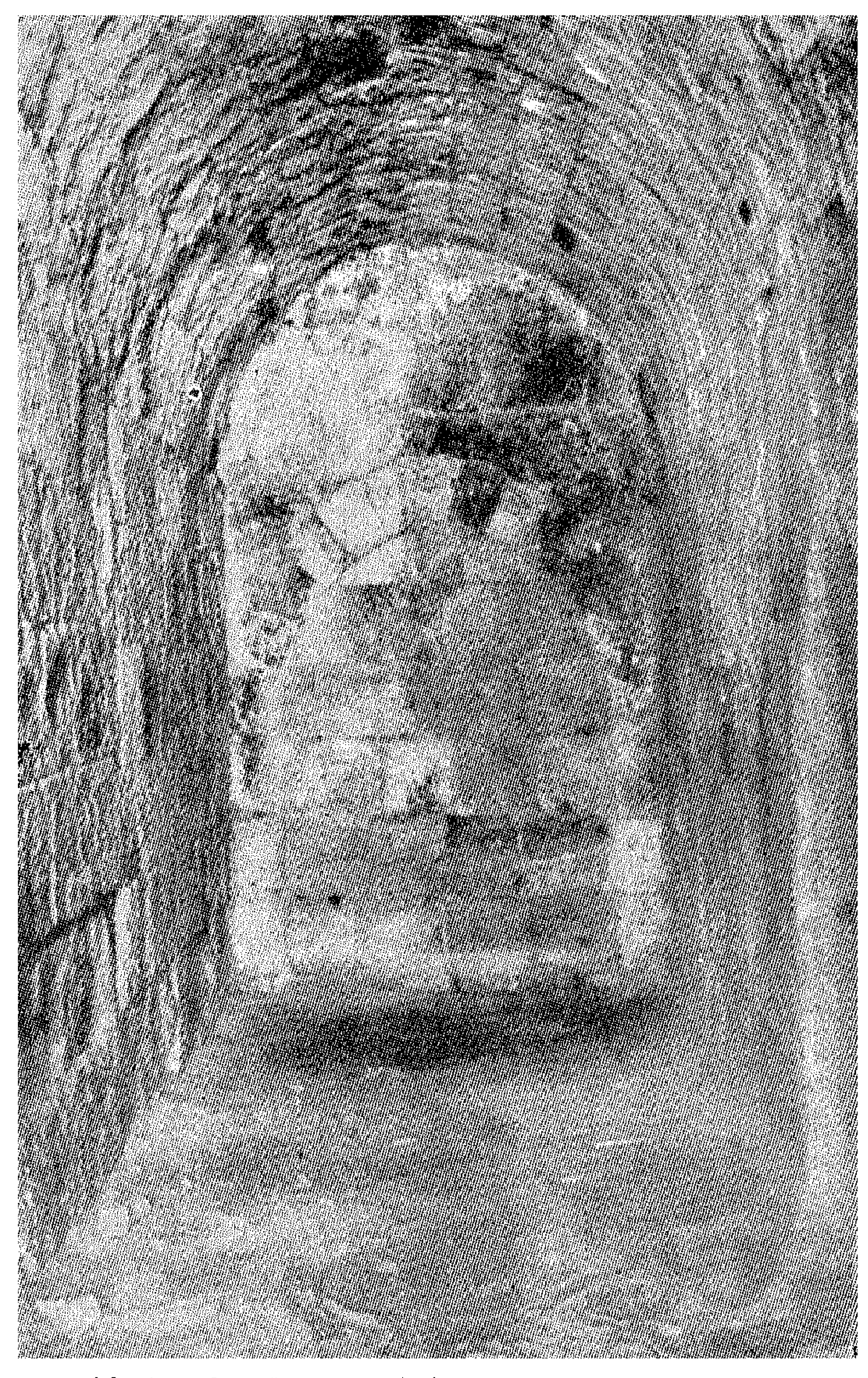


قلعة الجبل - ١١٣

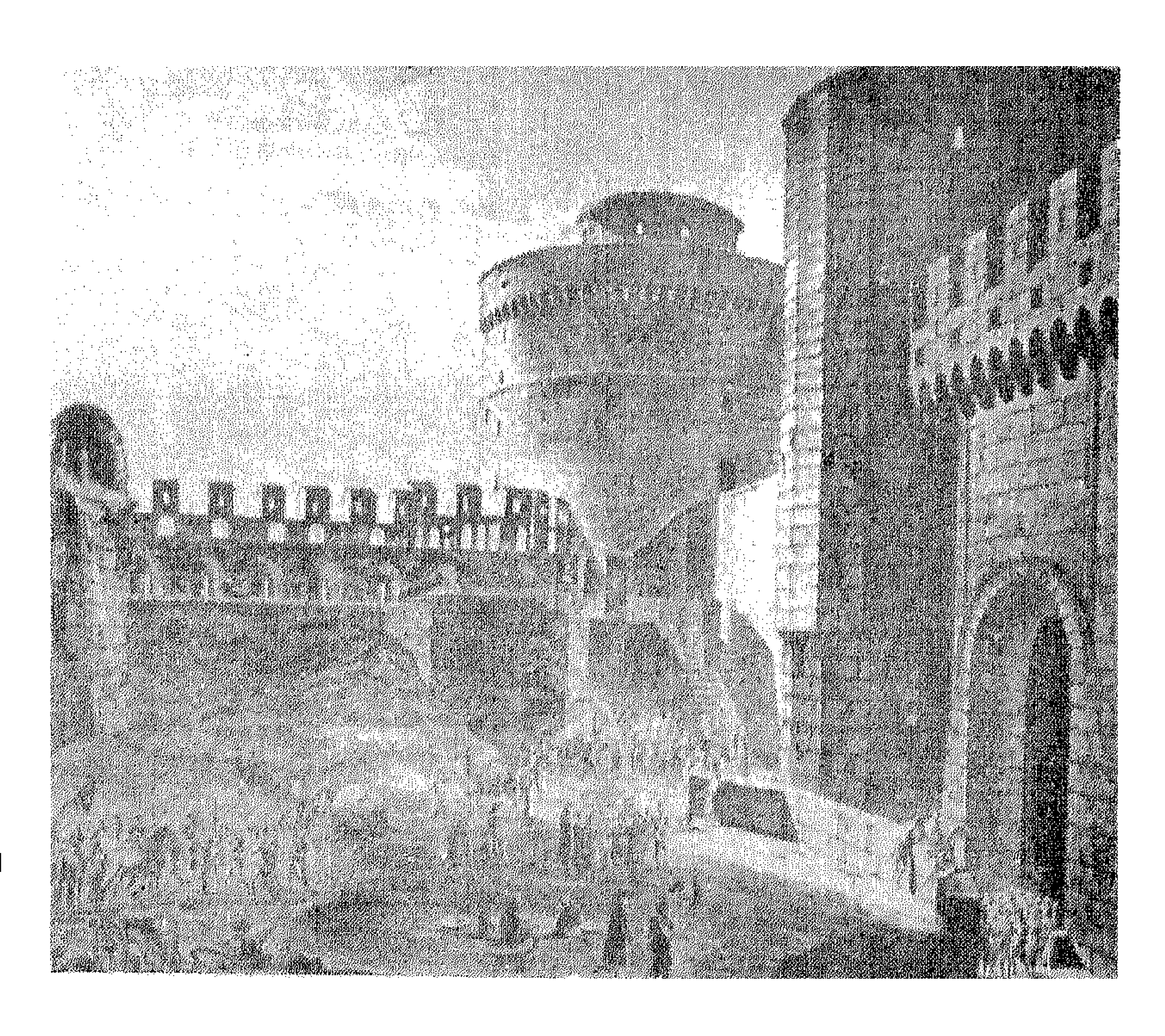

لوحة (٩) أ ـ برج الحداد ٠


لوحة (٩) ب ـ برج الحداد (قمة البرج) ٠

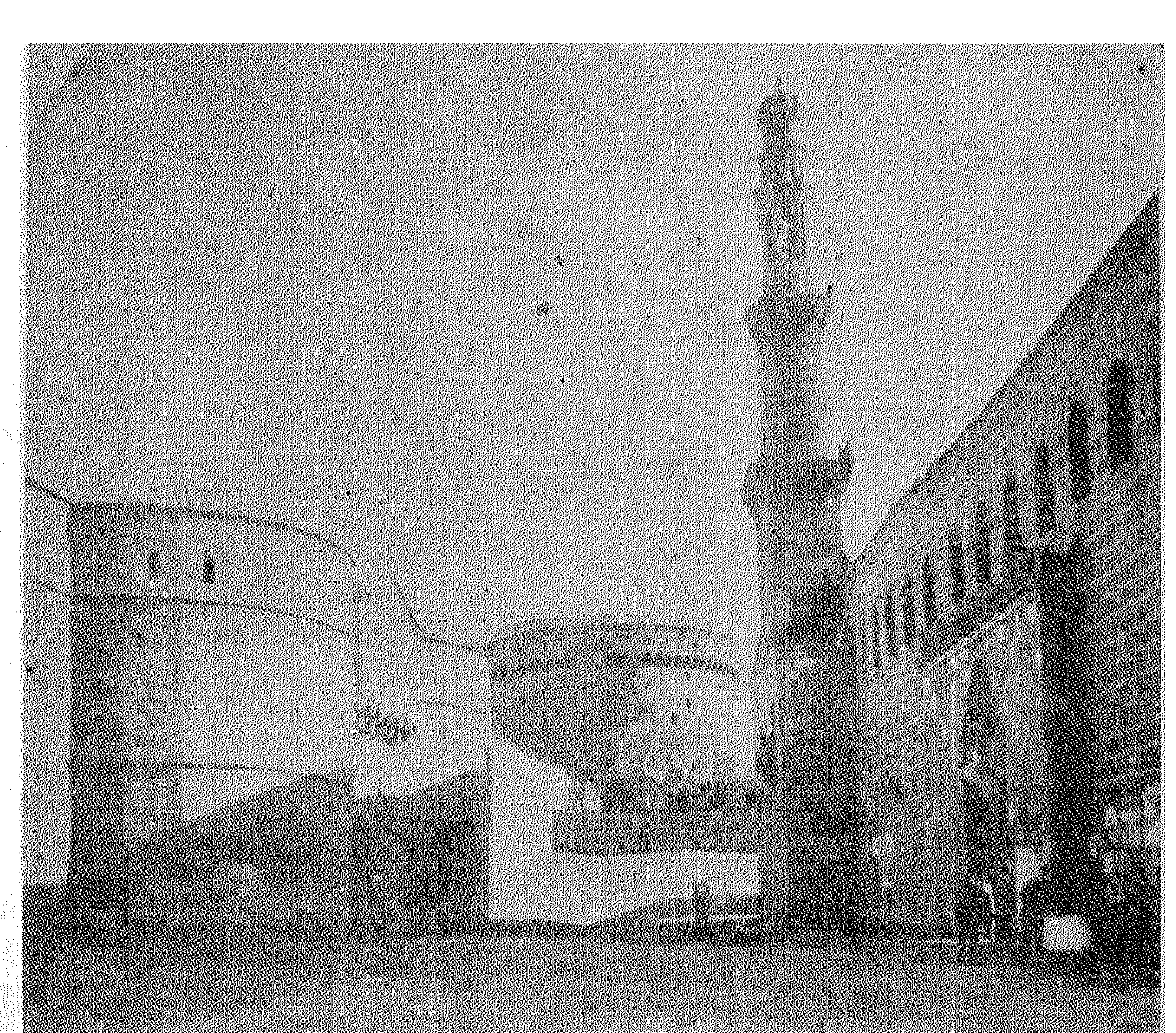

لوحة (٩) جـ ـ مزغل فى برج الحداد ٠



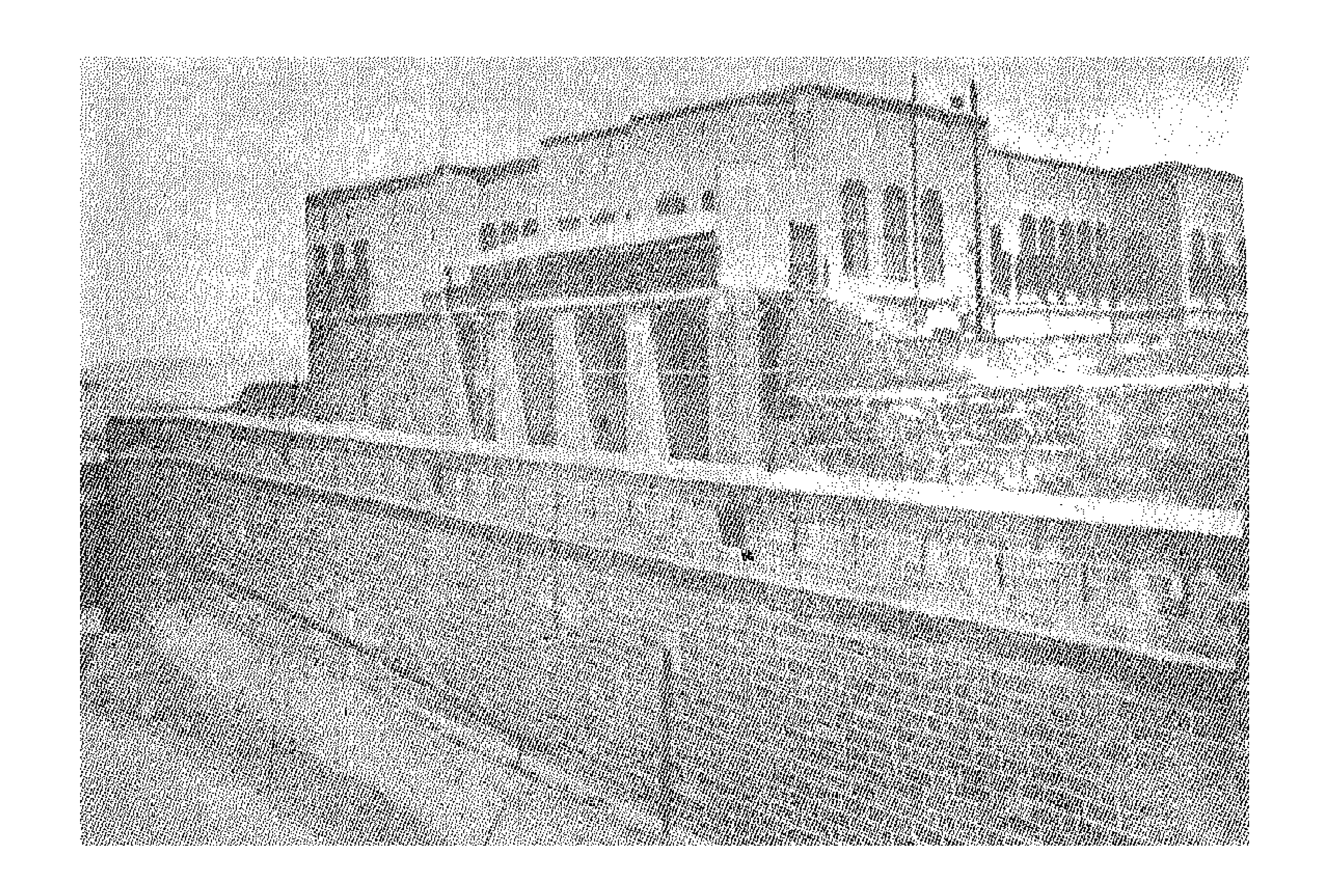
لوحة (١٠) ـ برج الصحراء من الداخل ـ ممر مقبي يؤدى الى الباب
السرى المسدود



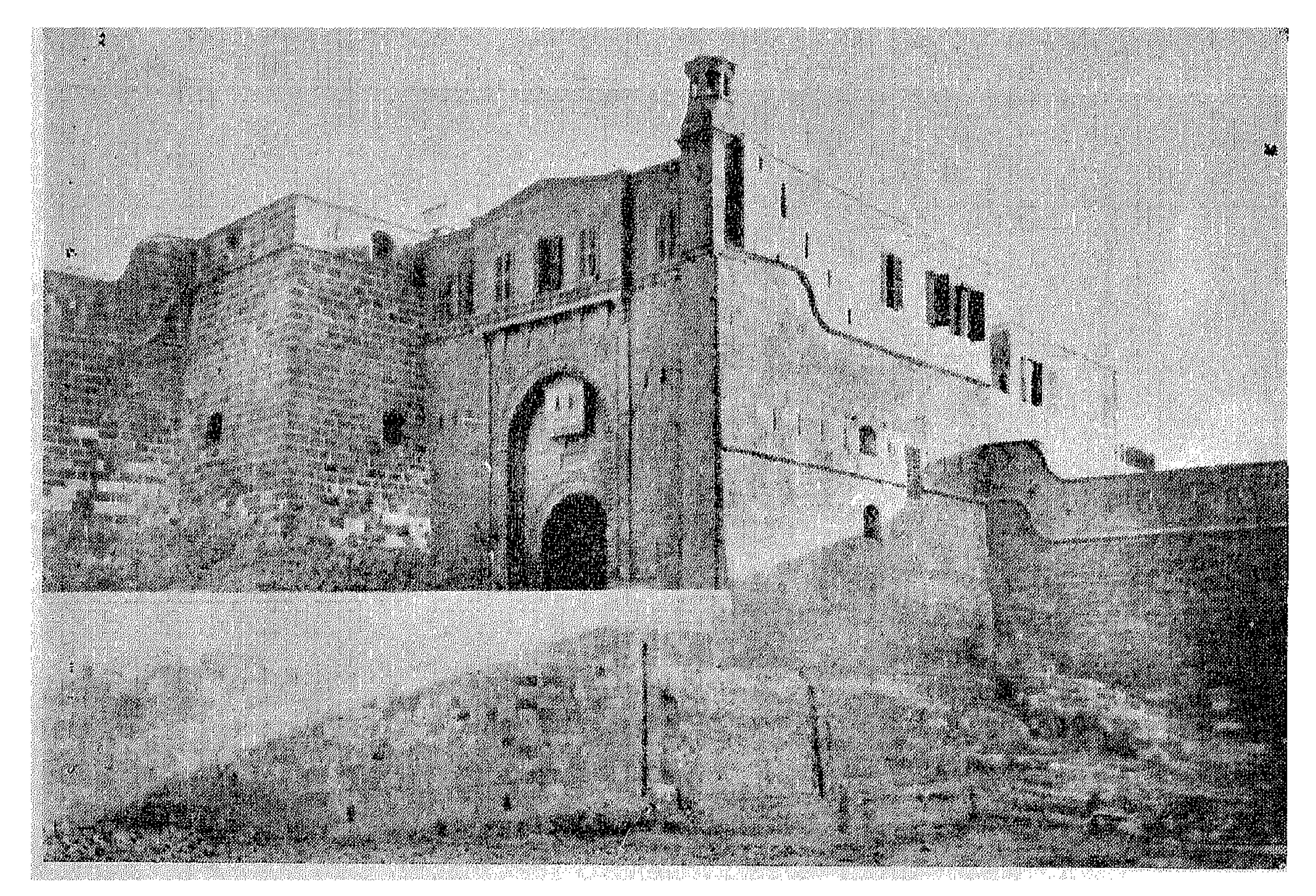
لوحة (١١) أ ـ باب الجبل كما صورته الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ (كازانوفا ـ لوحة ١٢) .



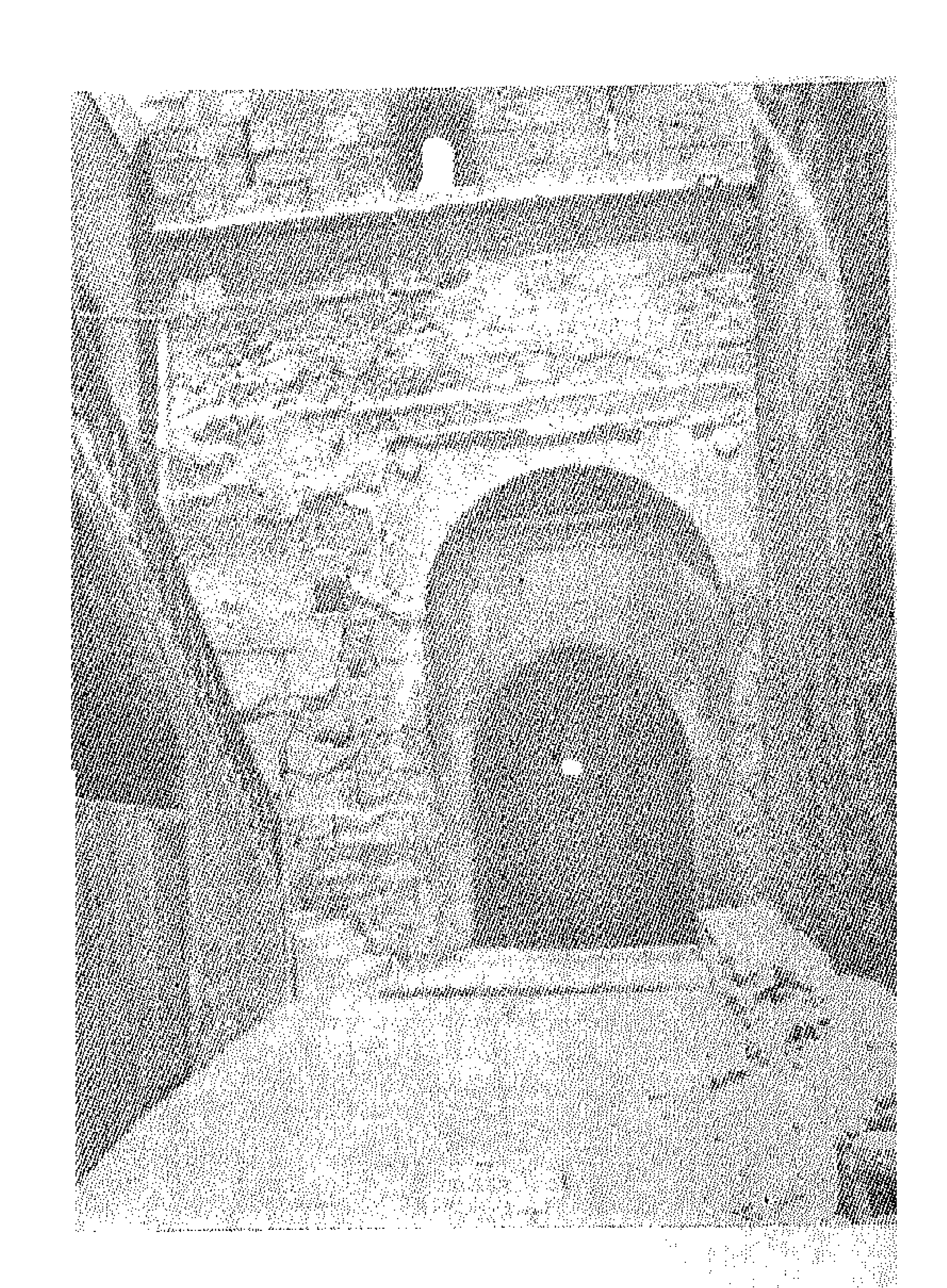
لوحة (١١) ب ـ باب القلعة أمام الباب الشمالى لجامع الناصر محمد بن قلاوون .



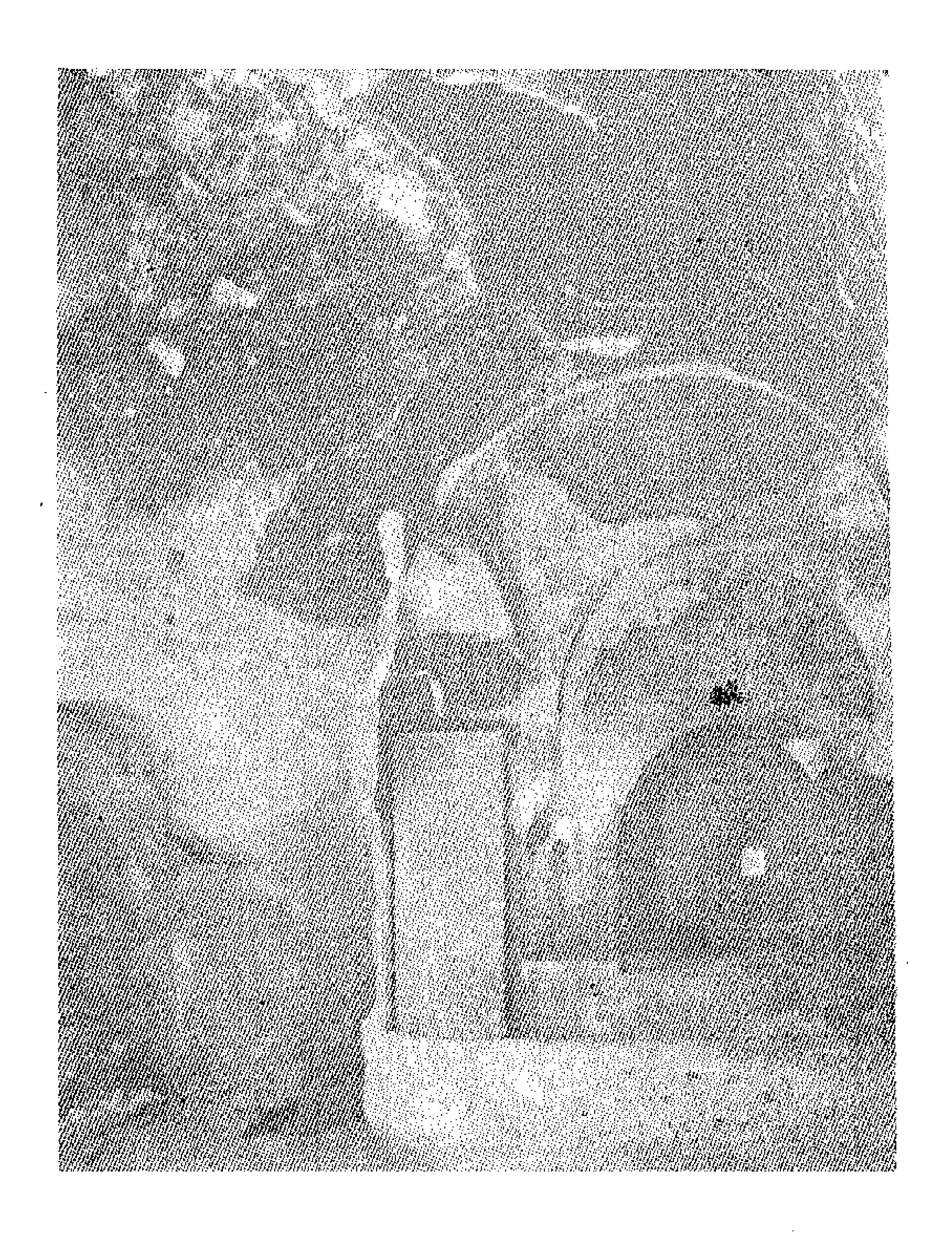
لوحة (١٢) أ - الزاوية الشمالية الغربية في السور الشمالي ٠



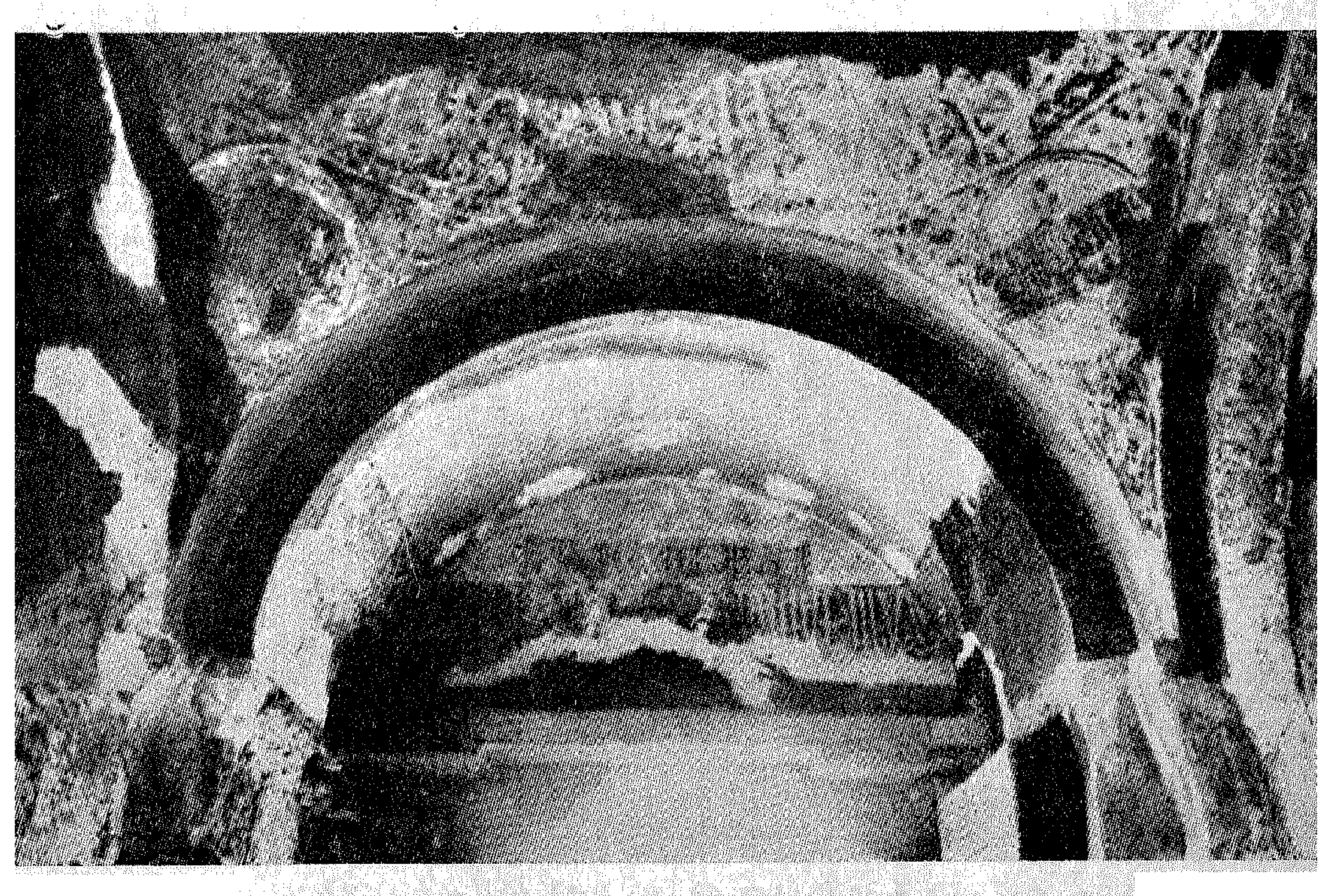
لوحة (١٢) ب - الباب الجديد الذي بناه محمد علي ويستتر الباب المدرج



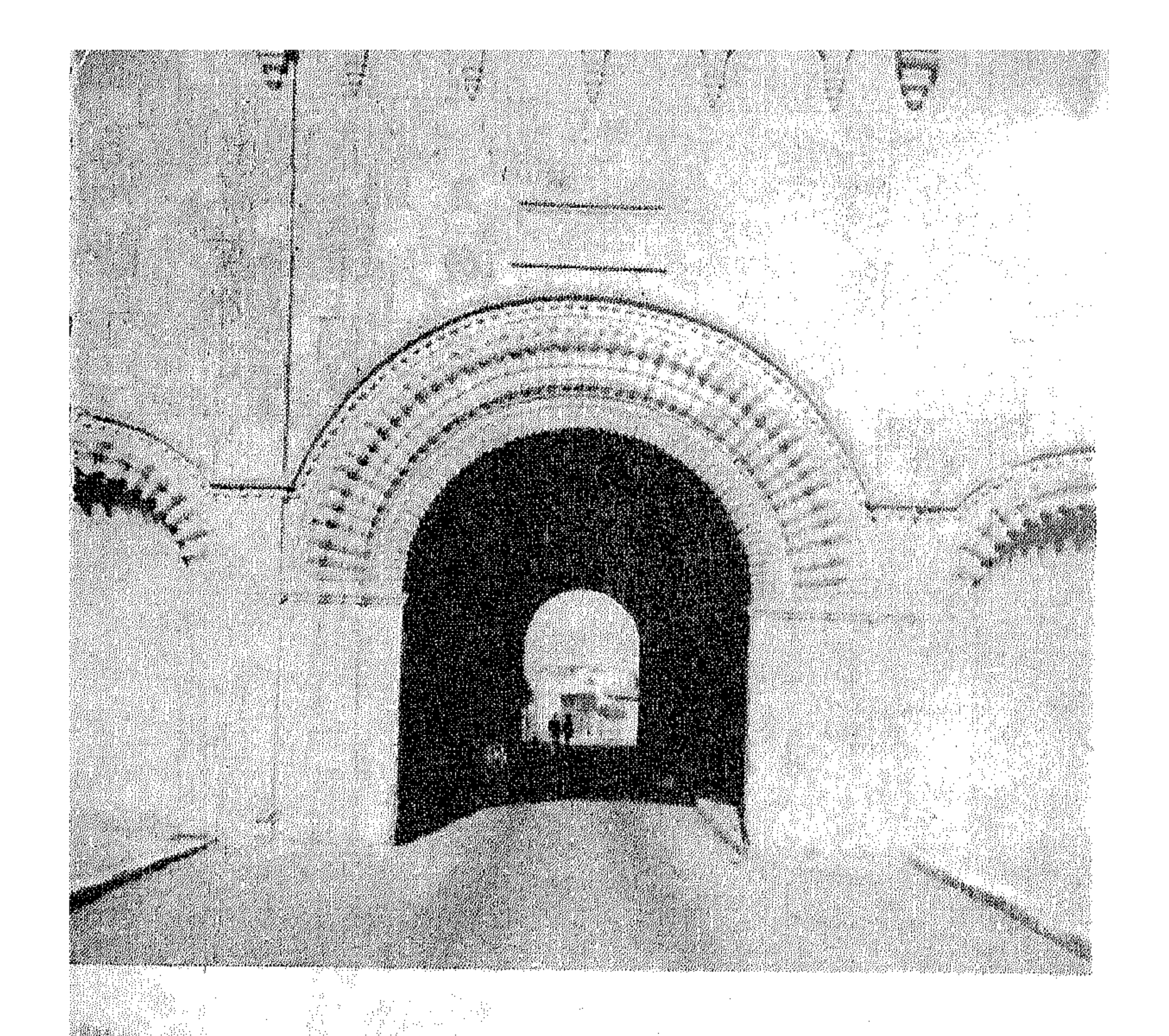
لوحة (١٣) أ ـ الباب المدرج من الخارج



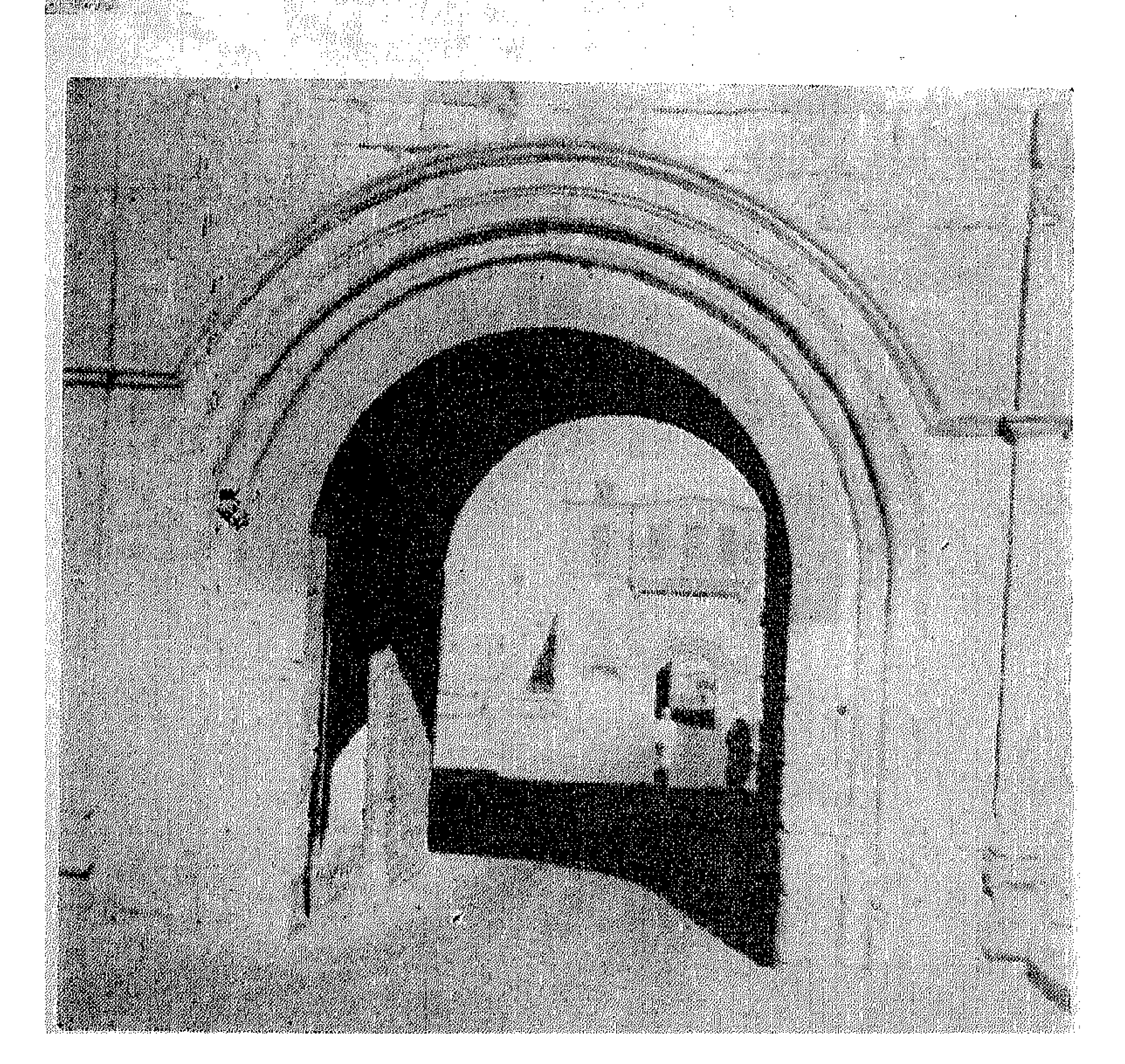
لوحة (١٣) ب ـ الباب المدرج من الداخل نحو الجنوب الغربى



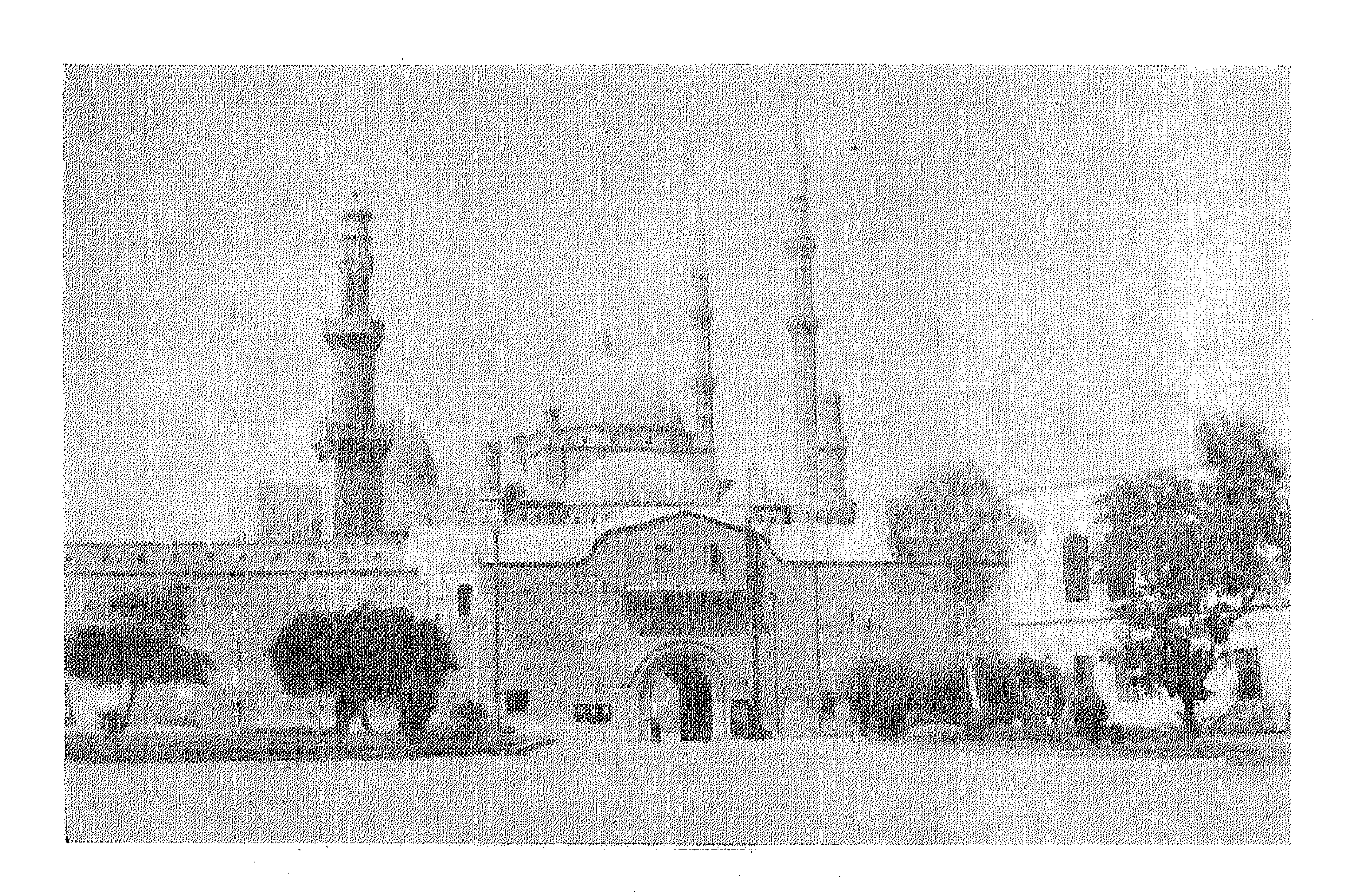
لوحة (١٣) جـ ـ الباب المدرج ـ المثلوثات ورنوك السلطان الناصر محمد بن قلاوون



لوحة (١٤) أ - الواجهة القبلية للباب الجديد المواجهة للباب الوسطانى (بناء محمد على) ٠



لوحة (١٤) ب - الواجهة القبلية للباب الوسطانى (محمد على) ٠



لوحة (١٥) ـ باب القلة ، الواجهة الشمالية المطلة على ساحة المتحف الحربى وفى الخلفية
مآذن جامعى الناصر محمد ومحمد على

المراجع

١١٨٣ — ابن جبير : (رحلة) طبعة رايت صفحات ٤٧ ، ٤٨ طبعة دى غوية ص ٥١ وترجمة كابر يللى ص ٢١ وترجمة برود هيرست ص ٤٣ .

١٢٣١ — عبداللطيف : (مختصر تاريخ مصر) ترجمة دىساسى ص١٧١، ١٧٢، ص ٢٠٨/٢١٢ .

١٢٥٦ — ١٢٧٤ — ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٢٠ دى سلان ج ٢ ص ٥٢٠ .

١٢٩٢ — بارهبريوس .

١٣٢١ — أبو الفدا : (المختصر فى تاريخ البشر) طبعة ريسكه ج ٤ ص ٣٠ .

حوالى ١٤١٢ — القلقشندى : (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) ج٣ ص٣٧٢/٣٧٧ وترجمة وستنفيلد ص ٨٥/ ٩٠ .

١٤٢٤ — المقريزى : (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٠١/ ٧) .

١٤٤١ — المقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك — طبعة زيادة ج ١ ص٦٣ ، ج ٢ ص ٧/ ١١ ، ص ١٦٩ ، ج ٢ ص ٥/ ٧ . وترجمة بلوشيه فى مجلة Orient Latin ج ٨ ص ٥٢٥ ، ج ٩ ص ١٤١ وترجمة كترمير ج ٢ ص ١٤ ، ٤٩ ، ٢٨٣ .

١٤٥٨ — أبو المحاسن : (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ، ترجمة جاريت ص ٤٧١ ، ٤٧٢ .

١٥٢٢ — ابن أياس : تاريخ (بدائع الزهور) .

١٩٣٩ — محمود أحمد : دليل مختصر لأهم المبانى الأثرية بالقاهرة ص ٨٥/ ٩١ وشكل ١٤ .

1548 Belon du Mans, Observation de plusieurs singularités (Paris, 1555), fols. 108 b — 109 a.

1565 Helffrich (J), Reiss (1581 ed). pp. 126-7.

1589 de Villamont, Voyages (Aarras, 1606), pp. 501-3.

1602 Seusenius in the Z.D.P.V., XXVI, pp. 64-5.

1627 - 32. Lambert (Caesar), Relation, pp. 3-5, 10-12 and 15-17.

1631 Stochove (V), Voyage du Levant, pp. 428-9.

1644 Bremond (F.), Viaggi fatti nell'Egitto, pp. 54-60.

1647 de Monconys, Journal des Voyages (Lyon 1663), I, pp. 257-9.

1657 Thévenot (M), Relation d'un Voyage fait au Levant, (Paris 1664), pp. 266-70.

1692 C. 1708 Maillet, Description de l'Egypte, pp. 190-95 and 211-19.

1699 Lucas (P.) Voyage au Levant (Paris 1704), I, pp. 203-7.

C. 1721 Egmond van der Nyenburg (J.A. van), Reigen (Leiden 1758, III. pp. 73-8.

1734 Thompson (Charles), Travels through Turkey in Asia (1798 ed.), pp. 370-72.

1737 Pococke (R) Description of the East, I pp. 32-5 and pls XIV-XV.

1739 Perry (Charles), A view of the Levant (Landon 1743) pp. 233-4.

1747-51 Fourmont (E.), Description des plaines d'Héliopolis et de Memphis, pp. 54-74. Mostly copied verbatim from Maillet.

1761 Niebuhr (C), Voyage en Arabie (Amsterdam, 1776), I, pp. 92-5.

1771-3 L. (S), (Saviour Lusignan), A History of the Revolt of Ali Bey, pp. 19-23.

1799 Lacorre (Alex.), Coup d'oeil sur l'Egypte et la Palestine, pp. 37-40.

1811 Valentia (Visct.), Voyages III, pp. 363-7.

1812 Jomard, in the Description de l'Egypte, Etat Moderne, II, p. 569 and Planches I, pls 67-9 ; Panckouchés ed., XVIII, pp. 126 and 347-63.

1834 Madox (John), Excursions in the Holy Land, Egypt and C., I, pp. 119-20, and II, pp. 48-9.

1835 Wilkinson (J.G.), Topography of Thebes, pp. 305-6

1839 Schubert (G. H. von), Reise in das Morgenland, II, pp. 94-100.
—— Taylor (Baron) and L. Reybaud, La Syrie, l'Egypte, and C., II, pp. 125-6, 239 — 41 and 248 with 3 plates.

1841 Horeau (H), Panorama d'Egypte, 5th plate and Explanatory text.

1845 St. John (J.A.), Egypt and Nubia pp. 112-20, with I fig.

1846 Roberts (David), Egypt and Nubia, III, 14 th, 16 th, 26 th, and 34 th plates.

1847 Burford (R.), Description of a View of the City of Cairo, p. 12.

1848 Marcel (J.), Egypte, I pp. 141-2.

1851 Poole (Mrs. Sophia). The Englishwoman in Egypt, I, pp. 182-8.

1854 Seetzen (U.J.) Reisen durch Syrien,, III, pp. 168-70 and 194-5.

1857 Laorty, L'Egypte, pp. 224-5 and 226-32.
—— Libay (Ludwig), Aegypten, p. 5 and Taf. VIII.

1859 Forni (G.), Viaggio nell'Egitto, I, 216-19.

1860 Firth (F), Cairo, Sinai, and Jerusalem, 4 th plate and relative text.

1861 Firth (F.), Lower Egypt, Thebes, and the Pyramids, 6 th, and 8 th, plates with relative text

1869 Mehren (A.F.), Cahirah Og Kerâfat I, pp. 17-20.

1877 Prisse d'Avennes, L'art Arabe, Texte, pp. 81-4, 164-5, and fig. 21., Atlas, pl. VI.

1880 Thivel (A,) L'orient, pp. 82-3.

(1880-83) Wilson (Sir Chas.), Picturesque Palestine, IV, pp. 156-8.

1882 Kay (H.C.), Al-Kahirah and its Gates. F. R. A. S., 1882, pp. 244-5, with I fig.

1883 Girard (B), Souvenirs d'une campagne dans le Levant pp. 238-40.
—— Hugonnet (L.), En Egypte, pp. 173 ff.
—— Vaujany (H. de), Le Caire, pp. 212-21.

1887 Béchard and Palmieri, L'Egypte et la Nubie, pls. I and II

1891 Casanova (Paul), in the Journal asiatique, 8ème ser. XVIII, pp. 325-9.

1894 Berchem (M. van), Corpus Inscriptorum Arabicarum. Egypte(I, pp. 86-94 and pls II, XXIV, and XXXIII.

—— Casanova (P.), Histoire et description de la Citadelle du Caire. M. M. A. F. C., VI, pp. 509-781, with 17 plates and 3 plans.

—— Herz (Max), in the B.I.E., 3ème Sér. No. 4, pp. 52-3.

1896 Lane (E.W.), Cairo Fifty Years Ago, p. 30 and 44-53.

1898 Lane-Poole (S). Saladin, pp. 118-20, 151-3, frontispiece, and illus, on p. 110, and facing pp. 118, 152 and 154.

1899 Worsfold (W.B.), The Redemption of Egypt, pp. 84-92, with coloured frontspiece and 4 illus.

1901 Lane-Poole (S.), History of Egypt, pp. 201-3 and figs 45-7.

1903 Reitemayer (E.), Beschreibung Aegyptens in Mittelater, pp. 198-204.

1906 Herz (Max), Catalogue — Musée national d'art arabe (2ème éd.) pp. XLII — XLIII.

1907 Margoliouth (D.S.), Cairo, Jerusalem and Damascus, pp. 49-50. 56.

1910 Becker (C. H.), art. Cairo in the Encyolopaedia of Islam, I, pp. 823-4.

1917 Devonshire (Mrs. R.L.), Rambles in Cairo, I, pp. 26-34, with 3 illus., 2nd ed. (1931), pp. 19-29 and plus. XIII-XIV.

1919 Creswell (K. A. C.), Brief Chronology, B. I. F. A. O, XVI, pp. 69-74.

1924 Briggs (M.S.), Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine, pp. 78, 81, 103, and 189, and fig. 45.

—— Creswell (K.A.C.), Archaeological Researches in the Citadel of Cairo. B.I.F.A.O., XXIII, pp. 89-158, figs. 1-9, and pls. 1- XXX.

1925 Quibell (Annie), A Wayfarer. in Egypt pp. 67,9, 75, and 76-7 and pl. V.

1926 Devonshire (Mrs. R. L.), L'Egypte Musulmane, p. 55, frontispiece and pl. XII.

—— Wiet (G.), Notes d'épigraphie Syro-musulmane. Syrio, VII, pp. 64-5.

1931 Creswell (K.A.C.), in Ross (E.D.), The Art of Egypt through the Ages, p. 65 and pls. 274-5.

1932 Wiet (G.), Précis de l'histoire d'Egypte, II, p. 229.

1939 Mahmud Ahmed, Concise Guide to the Principal Arabic Monuments in Cairo, pp. 85-91 and Fig. 14.

فهرس الأشكال

الموضوع	الصفحة
شكل (١) قلعة الجبل ـ السـور الشـمالى	٢٣
شكل (٢) قلعة الجبل ـ برج المقطم الى برج كركيـلان	٢٨
شكل (٣) قلعة الجبل ـ برج كركيـلان ، مخطط الطوابق الأول والثانى والثالث	٣٣
شكل (٤) قلعة الجبل ـ عن كازانوفا كما تخيلها فى أيام المقريزى	٣٦
شكل (٥) قلعة الجبل ـ برج كركيلان الى برج الطرفة	٣٩
شكل (٦) قلعة الجبل ـ برج المطار والطابق الأسفل	٤٢
شكل (٧) قلعة الجبل ـ برج المبلط الى برج الامام	٤٥
شكل (٨) قلعة الجبل ـ برج الامام (باب القرافة ؟)	٥٢
شكل (٩) قلعة الجبل ـ برج الرملة وبرج الحداد	٦٣
شكل (١٠) (أصلا ١٢) ـ برج الصحراء والجدار المتجه غربا	٧٠
شكل (١١) (أصلا ١٣) قلعة الجبل ـ الركن الشـمالى الغربى	٧٩
شكل (١٢) (أصلا ١٤) قلعة الجبل (فى خريطة كتاب وصف مصر ـ نابليـون)	٨٨
شكل (١٣) (أصلا ١٥) البـاب المدرج	٩١

فهرس اللوحات

لوحة (١) ـ القلعة من المقطم عام ٥٧٢ هـ وما بعدها (١١٧٦ وما بعدها) ١٠٥

(أ) السور الشمالى ـ الواجهة الجنوبية من أعلى باب المقطم .

(ب) باب المقطم من الخارج بناه يكن باشا عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ ـ ١٧٨٦ م) ١٠٦

لوحة (٣) ـ (أ) برج المقطم وبرج الصفة وبرج العلوة ٠

(ب) برج الصفة ـ القاعة الوسطى المتعامدة التخطيط نحو الشمال ١٠٧

لوحة (٤) ـ (أ) السور الشمالى ـ الواجهة الجنوبية توضح برج الصفة وبرج العلوة وبرج كركيلان ٠

(ب) السور الشمالى ـ الواجهة الجنوبية توضح برج المقطم وبرج الصفة وبرج العيوة وبرج كركيلان ١٠٨

لوحة (٥) ـ (أ) برج كركيلان : الطابق العلوى نحو الشرق ٠

(ب) برج كركيلان : الطابق السفلى نحو الشمال ٠

(ج) برج كركيلان : السطح ـ الركن الشمالى الغربى ١٠٩

لوحة (٦) ـ (أ) برج المطار والمدخل المزور .

(ب) السور الشمالى : الواجهة الجنوبية توضح

١ ـ باب المقطم ٢ ـ برج المقطم ٣ ـ برج الصفة

٤ ـ برج كركيلان ٥ ـ برج الطرفة ٠٠ الخ ٠

(ج) برج المطار ـ الواجهة الخارجية .. .. .. ١١٠،١١١

لوحة (٧) ـ (أ) السور الشمالى : الجانب الشرقى ـ

١ ـ برج المبلط ٢ ـ برج المقوصر ٣ ـ برج الأمام

٤ ـ برج الرملة ١١٢

الموضوع — الصفحة

لوحة (٨) ـ (أ) برج المبلط — ٢ ـ برج المقوصر
(ب) ٣ ـ برج الامام — ٤ ـ برج الرملة
٥ ـ برج الحداد . — ٦ ـ برج الصحراء ١١٣

لوحة (٩) ـ (أ) برج الحداد .
(ب) برج الحداد (قمة البرج)
(ج) مزغل فى برج الحـــداد ١١٤

لوحة (١٠) ـ (أ) برج الصحراء من الداخل ـ ممر مقبى يؤدى الى الباب السرى المسدود ١١٥

لوحة (١١) ـ (أ) باب الجبل كما صورته الحملة الفرنســية عام ١٧٩٨ (كازانوفا لوحة ١٢)
(ب) باب القلة أمام الباب الشمالى لجامع الناصر محمد بن قـــلاوون ١١٦

لوحة (١٢) ـ (أ) الزاوية الشمالية الغربية فى السور الشمالى .
(ب) الباب الجديد الذى بناه محمد على ويستر الباب المدرج ١١٧

لوحة (١٣) ـ (أ) الباب المدرج من الخارج .
(ب) الباب المدرج من الداخل نحو الجنوب الغربى .
(ج) الباب المدرج ـ المثلوثات ورنوك السلطان الناصر محمد بن قــلاوون ١١٨

لوحة (١٤) ـ (أ) الواجهة القبلية للباب الجديد المواجه للبــاب الوسطانى (بناء محمد على)
(ب) الواجهة القبلية للبــاب الوســطانى (محمد على) ١١٩

لوحة (١٥) ـ باب القلة : الواجهة الشمالية المطلة على ســاحة المتحف الحربى ، وفى الخلفية مآذن جامعى النــاصر محمد ومحمد على ١٢٠

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير للدكتور عبد الرحمن زكى	٣
القسم الأول	
مقدمة تاريخية	٥
أواخر أيام الأسرة الفاطمية	٧
حريق الفسطاط	٩
الظروف التى شيدت أثناءها	
أعمال صلاح الدين الحربية	١٠
صلاح الدين يصبح حاكم مصر	١٠
محاولات لاعادة أسرة الفاطميين	١٢
نظرية لين ـ بول	١٣
رواية المقريزى	١٤
البئر التى بالقلعة	١٦
الموقع	١٧
وصف وتحليل السور	١٩
السور الشمالى : وصف عام	٢١
وصف تحليلى	٢٥
برج الصفة	٢٦
من برج الصفة الى برج العلوة وبرج كركيلان	٣٠
برج كركيلان	٣٢
من برج كركيلان الى برج الطرفة	٣٨
برج الطرفة	٤٠
برج المطار	٤١
مدخل مزور	٤٤

الموضوع	الصفحة
من برج المطار الى برج المبلط	٤٧
برج المبلط	٤٨
من برج المبلط الى برج الامام	٥١
برج الامام مدخل آخـــر مزور	٥٣

القسم الثانى

من برج الامام الى برج الرملة	٦١
برج الرملة	٦٢
برج الحداد	٦٧
بـاب سرى	٦٩
برج الصحراء	٦٩
وظيفة الباب السرى الثانى	٧٤
من برج الصـحراء الى الغرب	٧٥
الركن الشمالى الغربى	٨٠
تاريخ البـــرج المربع	٨٤
تاريخ البرج المستدير والسور المتجه جنوبا	٨٦
محاولة تحليل حائط السور الأول	٨٧
باب المدرج	٨٩
الســور الساتر الذى بناه برقوق	٩٤
جدار الســـور جنوب باب المدرج	٩٥
باب القرافة	٩٧
ملخص وتحليل	١٠٠
الســور الجنوبى	١٠١
اللوحـات	١٠٣
المراجع	١٢١ ـ ١٢٤

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٨٦ / ١٩٧٤



الثمن ٦٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب